الشَّيخُ يُوسُف المَهدِيّ

ثمرات الجمعة ٣

المهدي المنتظر

إمامُ الأُمّةِ وقائِدُها

ثمرات الجمعة

٣

ثمرات الجمعة

٣

المهدي المنتظر

إمام الأمة وقائدها

الشيخ يوسف المهدي

حقوق الطبع محفوظة

الطَّبْعَة الأُوْلى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

اللهم لك الحمد
الحجة بن الحسن
صلواتك عليه وعلى آبائه
في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً
وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك
طوعاً وتمتعه فيها طويلاً

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما وصلني هذا الكتاب البديع، تساءلت: هل نحتاج إلى كل هذه الكتب عن قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؟ ألا يكفي ما كتبه العلماء المسلمون والمنتمون لمنهج أهل البيت عليهم السلام خصوصًا في هذا الموضوع؟

ووجدت نفسي أجيب السؤال الداخلي بأن كثرة الحديث عن موضوع يكون لها مناشئ متعدّدة؛ موقع ذلك الموضوع في حياة الناس، أو وجود أسئلة كثيرة أو جديدة فيه، أو تغيّر الفئة التي ناقشته وعالجته.. ومناشئ أُخر.

وهذه كلها -بل وغيرها- موجودة في موضوع الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

فمن جهة يشكّل الاعتقاد بالمهدي المنتظر -كعنوان- جزءًا من عقيدة المسلمين في كل مكان، وهم وإن اختلفوا في تفاصيل تلك العقيدة إلَّا أنهم يجتمعون على أصلها! وبناء على هذا فإنها قضية تهمُّهم جميعًا، وينبغي أن يتعرَّفوا عليها، وكلما زادت معلوماتهم عنها ومعارفهم فيها فهم في ذلك في الاتجاه الصحيح.

وبالنسبة للإمامية فإن الايمان بالإمام المهدي يكتسب أهمية خاصة باعتبار أنهم يرونه الإمام الفعلي الحاضر، وليس قضية نظرية، وإنما هو موجود، ولكن الناس محجوبون عنه.

بل هم يرون أن الاعتقاد به وبظهوره مهمٌّ على مستوى العالم كله، حيث أُعدَّ من قِبَل اللَّه سبحانه لتغيير ما على الأرض من فساد، وإقامة العدل على أنقاض الظلم، بكافة أشكاله السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

قضية بهذا الحجم من الأهمية؛ تؤثر في العالم كله، وفي حياة المسلمين، وشيعة أهل البيت عليهم السلام جديرة بالاهتمام والتفكير والحديث والكتابة.

كذلك فإن هذه القضية تثير -كما أثارت في السابق- أسئلة متنوّعة ومختلفة، وهذه طبيعة المسائل العقائدية؛ حيث إن أسسها أو بعض تفاصيلها غيبيّة ربانية، فهي في كثير من الأحيان ليست سهلة التناول، بل -كما كثير من المسائل الغيبية- تحتاج إلى شرح وتفصيل واستدلال.

هذا بالاضافة إلى أن كل جيل يأتي، يحمل معه أسئلة قد لا تكون بالضرورة قد ذُكرت في الجيل الذي سبقه، أو لم تُذكر بالصياغة التي يذكرها الجيل اللاحق، أو أن الأجوبة كتبت بلغة وأسلوب لا ينسجم معه الجيل الجديد، على أثر تطوّر وسائل التعبير والخطاب، فقد تكون أصول الأجوبة والحقائق موجودة في الكتب المكتوبة منذ مئات السنين، لكنّ الجيل الذي يحتاجها في هذا الزمان قد لا يستطيع الاستفادة الكاملة منها بالنحو الذي صيغت به.

لذلك كانت الحاجة إلى أساليب جديدة في التعبير وطرق حديثة في

الإجابة، وكان ينبغي على علماء كل جيل زمني أن يُقرِّبوا الحقائق الدينية بالوسائل المنتشرة في هذا الجيل وباللغة التي يفهمها أبناؤه.

وهذا الكتاب -الذي بين يديك- مصداق لهذه الفكرة، فهو قد تعرَّض لقضية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؛ القضية المهمَّة عالميًّا وإسلاميًّا وشيعيًّا، وتعرَّض للكثير من الأسئلة والإثارات التي تصاحب موضوع المهدوية، وأجاب عليها إجابات متقنة، وكان في تعبيره عنها وإشارته إلى أجوبتها عصري العبارة رشيق المقال.

ومؤلفه -سماحة العلَّامة الشيخ يوسف المهدي حفظه اللَّه- من فضلاء علمائنا في المنطقة الشرقية من المملكة، له دور مهم ومؤثّر منذ ما يقارب أربعة عقود من الزمان في الخدمة الدينية تبليغًا وإرشادًا وإمامة جماعة، في منطقته صفوى، وهو مثال طيِّب لما ينبغي أن يكون عليه عالم الدين في قضاء حاجات الناس في منطقته.. أسأل اللَّه أن يشكر مساعيه تلك كلها، ويُديم توفيقه ، وأن يُشركنا في ثوابه، كما أطلب منه -حفظه اللَّه- أَلَّا ينسانا من صالح دعائه..

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

القطيف - تاروت

مقدمة المشروع

عرفانًا وتقديرًا لجهود سماحة العلامة الشيخ يوسف المهدي حفظه اللَّه ورعاه، عمَّا قدَّمه من جهود معرفية وفكرية وثقافية في مفاهيم الدين وشؤون المجتمع والتي وثَّقت العلاقة بين الناس وعقيدتهم، ورسَّخت المفاهيم الإسلامية في بناء مجتمع مؤمن راشد، وأعطت جرعة من الوعي الديني الناهض في مجتمعنا حتى بنى جيلاً يتحمَّل أعباء المسؤولية الدينية والاجتماعية في الثلاثين السنة السابقة والى يومنا هذا؛ تُقدِّم (لجنة إحياء التراث الثقافي والفكري والعلمي لسماحة الشيخ يوسف المهدي) مجموعة مركّزه من تلك المحاضرات الفكرية والثقافية تحت عنوان (المهدي المنتظر عليه السلام إمام الأمة وقائدها) من موسوعة الأبحاث والمحاضرات المختلفة في المعارف والعلوم الإسلامية، التي ألقاها سماحتة طيلة ثلاثين عامًا، وهي تُعبِّر عن فكره وثقافته المتنوِّعة وفي مجالات مختلفة في أمور الدين والمجتمع

جمادى الثانية ٧/ ١٤٤٢هـ
المملكة العربية السعودية
القطيف – صفوى

الإمام الحجة محمد بن الحسن

هو الإمام الثاني عشر من أئمة آل الرسول ﷺ، ولد للنصف من شعبان سنة ٢٥٥ من الهجرة في سامراء أيام الخليفة المعتمد، ولمّا وُلد أمر أبوه أن يُفرّق عنه عشرة آلاف رطل من الخبز ومثلها من اللحم، كما عقَّ عنه ثلاثمائة رأس من الغنم.

الأم المباركة:

وأمه أم ولد، واسمها نرجس.

وكانت سِنُّهُ عند وفاة أبيه خمس سنين.

رُوي عن الكيني، عن علان الرازي قال: «أخبرني بعض أصحابنا أنه لما حملت جارية أبي محمد عليه السلام قال: ستحملين ذكرًا، واسمه محمد، وهو القائم من بعدي»[1].

وفي عقيدتنا نحن الشيعة الإمامية أن أمهات المعصومين من آل البيت عليهم السلام قد تمَّ اختيارهن بعناية ربانية، وأن والدة الإمام الحجة

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥.

القائم عليه السلام كغيرها من أمهات الأئمة الأطهار قد اختارها اللّه وجل جلاله لأبي محمد الإمام الحسن العسكري عليه السلام لتنجب له الإمام الثاني عشر من أئمة آل البيت عليهم السلام.

وروى محمد بن بحر بن سهل الشيباني قال: «قال بشر بن سليمان النخاس -وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد وجارهما بسرَّ من رأى-: أَتَانِي كَافُورٌ الْخَادِمُ فَقَالَ: مَوْلَانَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيُّ يَدْعُوكَ إِلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لِي: يَا بِشْرُ، إِنَّكَ مِنْ وُلْدِ الْأَنْصَارِ، وَهَذِهِ الْمُوَالاةُ لَمْ تَزَلْ فِيكُم، يَرِثُهَا خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، وَأَنْتُمْ ثِقَاتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَإِنِّي مُزَكِّيكَ وَمُشَرِّفُكَ بِفَضِيلَةٍ تَسْبِقُ بِهَا الشِّيعَةَ فِي الْمُوَالاةِ، بِسِرٍّ أَطَّلِعُكَ عَلَيْهِ، وَأُنْفِذُكَ فِي ابْتِيَاعِ أَمَةٍ، فَكَتَبَ كِتَابًا لَطِيفًا بِخَطٍّ رُومِيٍّ وَلُغَةٍ رُومِيَّةٍ وَطَبَعَ عَلَيْهِ خَاتَمَهُ، وَأَخْرَجَ شِقَّةً صَفْرَاءَ فِيهَا مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ دِينَارًا، فَقَالَ: خُذْهَا وَتَوَجَّهْ بِهَا إِلَى بَغْدَادَ، وَاحْضُرْ مَعْبَرَ الْفُرَاتِ ضَحْوَةَ يَوْمِ كَذَا، فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى جَانِبِكَ زَوَارِيقُ السَّبَايَا وَتَرَى الْجَوَارِيَ فِيهَا سَتَجِدُ طَوَائِفَ الْمُبْتَاعِينَ مِنْ وُكَلَاءِ قُوَّادِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَشِرْذِمَةً مِنْ فِتْيَانِ الْعَرَبِ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَأَشْرِفْ مِنَ الْبُعْدِ عَلَى الْمُسَمَّى عُمَرَ بْنَ يَزِيدَ النَّخَّاسَ عَامَّةَ نَهَارِكَ، إِلَى أَنْ تَبْرُزَ لِلْمُبْتَاعِينَ جَارِيَةٌ صِفَتُهَا كَذَا وَكَذَا، لَابِسَةٌ حَرِيرَيْنِ صَفِيقَيْنِ، تَمْتَنِعُ مِنَ الْعَرْضِ وَلَمْسِ الْمُعْتَرِضِ وَالِانْقِيَادِ لِمَنْ يُحَاوِلُ لَمْسَهَا، وَتَسْمَعُ صَرْخَةً رُومِيَّةً مِنْ وَرَاءِ سَتْرٍ رَقِيقٍ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا تَقُولُ: وَاهَتْكَ سَتْرَاهْ، فَيَقُولُ بَعْضُ الْمُبْتَاعِينَ: عَلَيَّ ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَدْ زَادَنِي الْعَفَافُ فِيهَا رَغْبَةً، فَتَقُولُ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ: لَوْ بَرَزْتَ فِي زِيِّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ وَعَلَى شِبْهِ مُلْكِهِ مَا بَدَتْ لِي فِيكَ رَغْبَةٌ، فَاشْفَقْ عَلَى مَالِكَ.

فَيَقُولُ النَّخَّاسُ: فَمَا الْحِيلَةُ وَلَا بُدَّ مِنْ بَيْعِكِ؟ فَتَقُولُ الْجَارِيَةُ: وَمَا

الْعَجَلَةُ، وَلَا بُدَّ مِنِ اخْتِيَارِ مُبْتَاعٍ يَسْكُنُ قَلْبِي إِلَيْهِ وَإِلَى وَفَائِهِ وَأَمَانَتِهِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ قُمْ إِلَى عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ النَّخَّاسِ وَقُلْ لَهُ: إِنَّ مَعَكَ كِتَابًا مُلَطَّفَةً لِبَعْضِ الْأَشْرَافِ، كَتَبَهُ بِلُغَةٍ رُومِيَّةٍ وَخَطٍّ رُومِيٍّ، وَوَصَفَ فِيهِ كَرَمَهُ وَوَفَاءَهُ وَنُبْلَهُ وَسَخَاءَهُ، تُنَاوِلُهَا لِتَتَأَمَّلَ مِنْهُ أَخْلَاقَ صَاحِبِهِ، فَإِنْ مَالَتْ إِلَيْهِ وَرَضِيَتْهُ فَأَنَا وَكِيلُهُ فِي ابْتِيَاعِهَا مِنْكَ.

قَالَ بِشْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: فَامْتَثَلْتُ جَمِيعَ مَا حَدَّهُ لِي مَوْلَايَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام فِي أَمْرِ الْجَارِيَةِ، فَلَمَّا نَظَرَتْ فِي الْكِتَابِ بَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا وَقَالَتْ لِعُمَرَ بْنِ يَزِيدَ: بِعْنِي مِنْ صَاحِبِ هَذَا الْكِتَابِ، وَحَلَفَتْ بِالْمُحَرِّجَةِ وَالْمُغَلَّظَةِ أَنَّهُ مَتَى امْتَنَعَ مِنْ بَيْعِهَا مِنْهُ قَتَلَتْ نَفْسَهَا.

فَمَا زِلْتُ أُشَاحُّهُ فِي ثَمَنِهَا حَتَّى اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى مِقْدَارِ مَا كَانَ أَصْحَبَنِيهِ مَوْلَايَ عليه السلام مِنَ الدَّنَانِيرِ، فَاسْتَوْفَاهُ، وَتَسَلَّمْتُ الْجَارِيَةَ ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً وَانْصَرَفْتُ بِهَا إِلَى الْحُجَيْرَةِ الَّتِي كُنْتُ آوِي إِلَيْهَا بِبَغْدَادَ.

فَمَا أَخَذَهَا الْقَرَارُ حَتَّى أَخْرَجَتْ كِتَابَ مَوْلَانَا عليه السلام مِنْ جَيْبِهَا وَهِيَ تَلْثِمُهُ وَتُطْبِقُهُ عَلَى جَفْنِهَا وَتَضَعُهُ عَلَى خَدِّهَا وَتَمْسَحُهُ عَلَى بَدَنِهَا، فَقُلْتُ تَعَجُّبًا مِنْهَا: تَلْثِمِينَ كِتَابًا لَا تَعْرِفِينَ صَاحِبَهُ؟!

فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْعَاجِزُ الضَّعِيفُ، الْمَعْرِفَةِ بِمَحَلِّ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، أَعِرْنِي سَمْعَكَ، وَفَرِّغْ لِي قَلْبَكَ، أَنَا مَلِيكَةُ بِنْتُ يَشُوعَا بْنِ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وَأُمِّي مِنْ وُلْدِ الْحَوَارِيِّينَ تُنْسَبُ إِلَى وَصِيِّ الْمَسِيحِ شَمْعُونَ، أُنَبِّئُكَ بِالْعَجَبِ:

إِنَّ جَدِّي قَيْصَرَ أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَنِي مِنِ ابْنِ أَخِيهِ وَأَنَا مِنْ بَنَاتِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَجَمَعَ فِي قَصْرِهِ مِنْ نَسْلِ الْحَوَارِيِّينَ مِنَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ ثَلَاثَمِائَةِ

رَجُلٍ، وَمِنْ ذَوِي الْأَخْطَارِ مِنْهُمْ سَبْعَمِائَةِ رَجُلٍ، وَجَمَعَ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ وَقُوَّادِ الْعَسْكَرِ وَنُقَبَاءِ الْجُيُوشِ وَمُلُوكِ الْعَشَائِرِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَأَبْرَزَ مِنْ بَهِيِّ مُلْكِهِ عَرْشًا مُسَاغًا مِنْ أَصْنَافِ الْجَوْهَرِ، وَرَفَعَهُ فَوْقَ أَرْبَعِينَ مِرْقَاةً، فَلَمَّا صَعِدَ ابْنُ أَخِيهِ، وَأَحْدَقَتِ الصُّلُبُ، وَقَامَتِ الْأَسَاقِفَةُ عُكَّفًا، وَنُشِرَتْ أَسْفَارُ الْإِنْجِيلِ تَسَافَلَتِ الصُّلُبُ مِنَ الْأَعْلَى فَلَصِقَتِ الْأَرْضَ، وَتَقَوَّضَتْ أَعْمِدَةُ الْعَرْشِ فَانْهَارَتْ إِلَى الْقَرَارِ، وَخَرَّ الصَّاعِدُ مِنَ الْعَرْشِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَتَغَيَّرَتِ أَلْوَانُ الْأَسَاقِفَةِ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ، فَقَالَ كَبِيرُهُمْ لِجَدِّي: أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَعْفِنَا مِنْ مُلَاقَاةِ هَذِهِ النُّحُوسِ الدَّالَّةِ عَلَى زَوَالِ هَذَا الدِّينِ الْمَسِيحِيِّ وَالْمَذْهَبِ الْمَلِكَانِيِّ، فَتَطَيَّرَ جَدِّي مِنْ ذَلِكَ تَطَيُّرًا شَدِيدًا وَقَالَ لِلْأَسَاقِفَةِ: أَقِيمُوا هَذِهِ الْأَعْمِدَةَ وَارْفَعُوا الصُّلْبَانَ وَأَحْضِرُوا أَخَا هَذَا الْمُدْبَرِ الْعَاهِرِ الْمَنْكُوسِ جَدُّهُ لِأُزَوِّجَهُ هَذِهِ الصَّبِيَّةَ فَيُدْفَعُ نُحُوسُهُ عَنْكُمْ بِسُعُودِهِ، وَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ حَدَثَ عَلَى الثَّانِي مِثْلُ مَا حَدَثَ عَلَى الْأَوَّلِ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَقَامَ جَدِّي قَيْصَرُ مُغْتَمًّا، فَدَخَلَ مَنْزِلَ النِّسَاءِ وَأُرْخِيَتِ السُّتُورُ.

وَأُرِيتُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَأَنَّ الْمَسِيحَ وَشَمْعُونَ وَعِدَّةً مِنَ الْحَوَارِيِّينَ قَدِ اجْتَمَعُوا فِي قَصْرِ جَدِّي، وَنَصَبُوا فِيهِ مِنْبَرًا مِنْ نُورٍ يُبَارِي السَّمَاءَ عُلُوًّا وَارْتِفَاعًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ نَصَبَ جَدِّي وَفِيهِ عَرْشُهُ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم وَخَتَنُهُ وَوَصِيُّهُ عليه السلام وَعِدَّةٌ مِنْ أَبْنَائِهِ، فَتَقَدَّمَ الْمَسِيحُ إِلَيْهِ فَاعْتَنَقَهُ، فَيَقُولُ لَهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم: يَا رُوحَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُكَ خَاطِبًا مِنْ وَصِيِّكَ شَمْعُونَ فَتَاتَهُ مَلِيكَةَ لِابْنِي هَذَا، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام ابْنِ صَاحِبِ هَذَا الْكِتَابِ، فَنَظَرَ الْمَسِيحُ إِلَى شَمْعُونَ وَقَالَ لَهُ: قَدْ أَتَاكَ الشَّرَفُ، فَصِلْ رَحِمَكَ بِرَحِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.

فَصَعِدَ ذَلِكَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم وَزَوَّجَنِي مِنِ ابْنِهِ وَشَهِدَ

الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَهِدَ أَبْنَاءُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْحَوَارِيُّونَ.

فَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ أَشْفَقْتُ أَنْ أَقُصَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا عَلَى أَبِي وَجَدِّي مَخَافَةَ الْقَتْلِ، فَكُنْتُ أُسِرُّهَا وَلَا أُبْدِيهَا لَهُمْ. وَضَرَبَ صَدْرِي بِمَحَبَّةِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى امْتَنَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَضَعُفَتْ نَفْسِي، وَدَقَّ شَخْصِي، وَمَرِضْتُ مَرَضًا شَدِيدًا، فَمَا بَقِيَ فِي مَدَائِنِ الرُّومِ طَبِيبٌ إِلَّا أَحْضَرَهُ جَدِّي وَسَأَلَهُ عَنْ دَوَائِي.

فَلَمَّا بَرَّحَ بِهِ الْيَأْسُ قَالَ: يَا قُرَّةَ عَيْنِي، هَلْ يَخْطُرُ بِبَالِكِ شَهْوَةٌ فَأُزَوِّدُكِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟ فَقُلْتُ: يَا جَدِّي، أَرَى أَبْوَابَ الْفَرَجِ عَلَيَّ مُغْلَقَةً، فَلَوْ كَشَفْتَ الْعَذَابَ عَمَّنْ فِي سِجْنِكَ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَكَكْتَ عَنْهُمُ الْأَغْلَالَ، وَتَصَدَّقْتَ عَلَيْهِمْ وَمَنَّيْتَهُمُ الْخَلَاصَ رَجَوْتُ أَنْ يَهَبَ الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ عَافِيَةً، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ تَجَلَّدْتُ فِي إِظْهَارِ الصِّحَّةِ مِنْ بَدَنِي قَلِيلًا، وَتَنَاوَلْتُ يَسِيرًا مِنَ الطَّعَامِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ، وَأَقْبَلَ عَلَى إِكْرَامِ الْأُسَارَى وَإِعْزَازِهِمْ.

فَأُرِيتُ -أَيْضًا- بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً كَأَنَّ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَدْ زَارَتْنِي وَمَعَهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَأَلْفٌ مِنْ وَصَائِفِ الْجِنَانِ فَتَقُولُ لِي مَرْيَمُ: هَذِهِ سَيِّدَةُ النِّسَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ أُمُّ زَوْجِكِ أَبِي مُحَمَّدٍ، فَأَتَعَلَّقُ بِهَا وَأَبْكِي وَأَشْكُو إِلَيْهَا امْتِنَاعَ أَبِي مُحَمَّدٍ مِنْ زِيَارَتِي، فَقَالَتْ سَيِّدَةُ النِّسَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ: إِنَّ ابْنِي أَبَا مُحَمَّد لَا يَزُورُكِ وَأَنْتِ مُشْرِكَةٌ بِاللَّهِ عَلَى مَذْهَبِ النَّصَارَى، وَهَذِهِ أُخْتِي مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ تَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ دِينِكِ، فَإِنْ مِلْتِ إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَا الْمَسِيحِ وَمَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَزِيَارَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ إِيَّاكِ فَقُولِي: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ضَمَّتْنِي إِلَى صَدْرِهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَطِيبَ نَفْسِي، وَقَالَتِ: الْآنَ تَوَقَّعِي زِيَارَةَ أَبِي

مُحَمَّدٍ وَإِنِّي مُنْفِذَتُهُ إِلَيْكِ.

فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا أَنُولُ وَأَتَوَقَّعُ لِقَاءَ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ رَأَيْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عليه السلام وَكَأَنِّي أَقُولُ لَهُ: جَفَوْتَنِي يَا حَبِيبِي بَعْدَ أَنْ أَتْلَفْتُ نَفْسِي مُعَالَجَةَ حُبِّكَ، فَقَالَ: مَا كَانَ تَأَخُّرِي عَنْكِ إِلَّا لِشِرْكِكِ، فَقَدْ أَسْلَمْتِ وَأَنَا زَائِرُكِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ شَمْلَنَا فِي الْعِيَانِ، فَمَا قَطَعَ عَنِّي زِيَارَتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ.

قَالَ بِشْرٌ: فَقُلْتُ لَهَا: وَكَيْفَ وَقَعْتِ فِي الْأُسَارَى؟ فَقَالَتْ: أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي أَنَّ جَدَّكِ سَيُسَيِّرُ جَيْشًا إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ يَتْبَعُهُمْ، فَعَلَيْكِ بِاللَّحَاقِ بِهِمْ مُتَنَكِّرَةً فِي زِيِّ الْخَدَمِ مَعَ عِدَّةٍ مِنَ الْوَصَائِفِ مِنْ طَرِيقِ كَذَا. فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَوَقَفَتْ عَلَيْنَا طَلَائِعُ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِي مَا رَأَيْتَ وَشَاهَدْتَ. وَمَا شَعَرَ بِأَنِّي ابْنَةُ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ أَحَدٌ سِوَاكَ، وَذَلِكَ بِاطِّلَاعِي إِيَّاكَ عَلَيْهِ. وَلَقَدْ سَأَلَنِي الشَّيْخُ الَّذِي وَقَعْتُ إِلَيْهِ فِي سَهْمِ الْغَنِيمَةِ عَنِ اسْمِي فَأَنْكَرْتُهُ وَقُلْتُ: نَرْجِسُ، فَقَالَ: اسْمُ الْجَوَارِي.

قُلْتُ: الْعَجَبُ أَنَّكِ رُومِيَّةٌ وَلِسَانُكِ عَرَبِيٌّ، قَالَتْ: نَعَمْ، مِنْ وَلُوعِ جَدِّي وَحَمْلِهِ إِيَّايَ عَلَى تَعَلُّمِ الْآدَابِ أَنْ أَوْعَزَ إِلَيَّ امْرَأَةً تَرْجُمَانَةً لَهُ فِي الِاخْتِلَافِ إِلَيَّ، وَكَانَتْ تَقْصِدُنِي صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَتُفِيدُنِي الْعَرَبِيَّةَ حَتَّى اسْتَمَرَّ لِسَانِي عَلَيْهَا وَاسْتَقَامَ.

قَالَ بِشْرٌ: فَلَمَّا انْكَفَأْتُ بِهَا إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى دَخَلْتُ عَلَى مَوْلَايَ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ: كَيْفَ أَرَاكِ اللَّهُ عِزَّ الْإِسْلَامِ وَذُلَّ النَّصْرَانِيَّةِ وَشَرَفَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام؟ قَالَتْ: كَيْفَ أَصِفُ لَكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُكْرِمَكِ، فَأَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكِ عَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ أَمْ بُشْرَى

لَكِ بِشَرَفِ الْأَبَدِ؟ قَالَتْ بُشْرَى بِوَلَدٍ لِي، قَالَ لَهَا: أَبْشِرِي بِوَلَدٍ يَمْلِكُ الدُّنْيَا شَرْقًا وَغَرْبًا، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا. قَالَتْ: مِمَّنْ؟ قَالَ: مِمَّنْ خَطَبَكِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَهُ لَيْلَةَ كَذَا فِي شَهْرِ كَذَا مِنْ سَنَةِ كَذَا بِالرُّومِيَّةِ، قَالَ لَهَا: مِمَّنْ زَوَّجَكِ الْمَسِيحُ عليه السلام وَوَصِيُّهُ؟ قَالَتْ: مِن ابْنِكَ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفِينَهُ؟ قَالَتْ: وَهَلْ خَلَتْ لَيْلَةٌ لَمْ يَزُرْنِي فِيهَا مُنْذُ اللَّيْلَةِ الَّتِي أَسْلَمْتُ عَلَى يَدِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ عليها السلام؟! قَالَ: فَقَالَ مَوْلَانَا: يَا كَافُورُ، ادْعُ أُخْتِي حَكِيمَةَ، فَلَمَّا دَخَلَتْ قَالَ لَهَا: هَاهِيَهْ، فَاعْتَنَقَتْهَا طَوِيلًا، وَسُرَّتْ بِهَا كَثِيرًا، فَقَالَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، خُذِيهَا إِلَى مَنْزِلِكِ وَعَلِّمِيهَا الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ، فَإِنَّهَا زَوْجَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ، وَأُمُّ الْقَائِمِ عليه السلام»[1].

ولادة النور المهدوي:

لما وُلد الإمام الثاني عشر وُلدت فيه الأنوار الثلاثة:

الأول: نور اللَّه تعالى.

الثاني: نور النبوة.

الثالث: نور الإمامة.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[2].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٨، حديث ١٢.
(٢) سورة النور، الآية ٣٥.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾(٢).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾(٣).

﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾(٤).

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٥).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٦).

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾(٧).

والإمام نور بما أنه يمثّل نور اللّه ونور النبي ونور الإمامة، فهو نور مضيء بنفسه، ولا شيء أغنى عن التعريف من النور، والحجة القائم عليه السلام هو النور كغيره من الأئمة عليهم السلام، وهو الظهور؛ لأن النور هو الظهور، والظهور بالنسبة إلى الخفاء كالوجود بالنسبة إلى العدم، وعليه الإمام المعصوم والحجة المنتظر عليه السلام يتّصف بالأنوار الثلاثة الوجودية وهي:

أولًا: نور الوجود، الممكن.

ثانيًا: نور العقل، الكامل.

ثالثًا: نور العلم، المطلق في الممكن.

---

(١) سورة النور، الآية ٤٠.

(٢) سورة النساء، الآية ١٧٤.

(٣) سورة المائدة، الآية ١٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ١٦.

(٥) سورة التغابن، الآية ٨.

(٦) سورة الصف، الآية ٨.

(٧) سورة النور، الآية ٤٠.

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[١].

روت إحدى جواري الإمام العسكري عليه السلام: «أنه لما ولد السيد عليه السلام رأت له نورًا ساطعًا قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأت طيورًا بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير. ففسّر الإمام أبو محمد عليه السلام هذه الحالة أن تلك ملائكة السماء نزلت لتتبرك به، وهي أنصاره إذا خرج».

وقال محمد بن عثمان العمري قدّس اللّه روحه الزكية يقول: «لما وُلد الخلف المهدي صلوات اللّه عليه سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء، ثم سقط لوجهه ساجدًا لربه تعالى ذكره، ثم رفع رأسه وهو يقول: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾»[٢].

وفي رواية: لمّا وُلد الإمام الحجة عليه السلام قال له الإمام العسكري عليه السلام: «تكلّم يا بني، فقال الحجة: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صلّى على أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم»[٣].

وفي رواية: تلا قوله تعالى بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[٤].

(١) سورة النور، الآية ٣٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٥، حديث ١٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥، حديث ٣.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥، حديث ٣.

وفي رواية: أنه لما سقط صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمه سقط جاثيًا على ركبتيه، رافعًا سبابتيه إلى السماء ثم عطس فقال: «الحمد للَّه رب العالمين، وصلّى اللَّه على محمد وآله، زعمت الظَّلَمة أن حجة اللَّه داحضة»[1].

وروت حكيمة رضوان اللَّه تعالى عليها حكاية ولادة النور في فجر يوم الجمعة المبارك فقالت: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْقُبُهَا (نرجس) إِلَى وَقْتِ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَهِيَ نَائِمَةٌ بَيْنَ يَدَيَّ لَا تَقْلِبُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقْتَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَثَبَتْ فَزِعَةً، فَضَمَمْتُهَا إِلَى صَدْرِي، وَسَمَّيْتُ عَلَيْهَا، فَصَاحَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام وَقَالَ: اقْرَئِي عَلَيْهَا ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، فَأَقْبَلْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهَا، وَقُلْتُ لَهَا: مَا حَالُكِ؟ قَالَتْ: ظَهَرَ الْأَمْرُ الَّذِي أَخْبَرَكِ بِهِ مَوْلَايَ، فَأَقْبَلْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهَا كَمَا أَمَرَنِي، فَأَجَابَنِي الْجَنِينُ مِنْ بَطْنِهَا يَقْرَأُ كَمَا أَقْرَأُ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ.

قَالَتْ حَكِيمَةُ: فَفَزِعْتُ لِمَا سَمِعْتُ، فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: لَا تَعْجَبِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عزوجل، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنْطِقُنَا بِالْحِكْمَةِ صِغَارًا، وَيَجْعَلُنَا حُجَّةً فِي أَرْضِهِ كِبَارًا.

فَلَمْ يَسْتَتِمَّ الْكَلَامَ حَتَّى غُيِّبَت عَنِّي نَرْجِسُ، فَلَمْ أَرَهَا، كَأَنَّهُ ضُرِبَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابٌ، فَعَدَوْتُ نَحْوَ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام وَأَنَا صَارِخَةٌ، فَقَالَ لِي: ارْجِعِي يَا عَمَّةِ، فَإِنَّكِ سَتَجِدِيهَا فِي مَكَانِهَا. قَالَتْ فَرَجَعْتُ فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ كُشِفَ الْحِجَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَإِذَا أَنَا بِهَا وَعَلَيْهَا مِنْ أَثَرِ النُّورِ مَا غَشِيَ بَصَرِي، وَإِذَا أَنَا بِالصَّبِيِّ عليه السلام سَاجِدًا عَلَى وَجْهِهِ، جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، رَافِعًا سَبَّابَتَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَأَنَّ أَبِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ عَدَّ إِمَامًا إِمَامًا إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٧، حديث ٦.

نَفْسِهِ، فَقَالَ عليه السلام: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي وَعْدِي، وَأَتْمِمْ لِي أَمْرِي، وَثَبِّتْ وَطْأَتِي، وَامْلَأِ الْأَرْضَ بِي عَدْلًا وَقِسْطًا.

فَصَاحَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ عليه السلام فَقَالَ: يَا عَمَّةِ، تَنَاوَلِيهِ فَهَاتِيهِ، فَتَنَاوَلْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ نَحْوَهُ، فَلَمَّا مَثُلْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ وَهُوَ عَلَى يَدَيَّ سَلَّمَ عَلَى أَبِيهِ، فَتَنَاوَلَهُ الْحَسَنُ عليه السلام وَالطَّيْرُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ، فَصَاحَ بِطَيْرٍ مِنْهَا فَقَالَ لَهُ: احْمِلْهُ وَاحْفَظْهُ وَرُدَّهُ إِلَيْنَا فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَتَنَاوَلَهُ الطَّائِرُ وَطَارَ بِهِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَاتَّبَعَهُ سَائِرُ الطَّيْرِ، فَسَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ: أَسْتَوْدِعُكَ الَّذِي اسْتَوْدَعَتْهُ أُمُّ مُوسَى، فَبَكَتْ نَرْجِسُ، فَقَالَ لَهَا: اسْكُتِي، فَإِنَّ الرَّضَاعَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ ثَدْيِكِ، وَسَيُعَادُ إِلَيْكِ كَمَا رُدَّ مُوسَى إِلَى أُمِّهِ، وَذَلِكِ قَوْلُهُ عز وجل: ﴿**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ**﴾، قَالَتْ حَكِيمَةُ: فَقُلْتُ: مَا هَذَا الطَّائِرُ؟ قَالَ: هَذَا رُوحُ الْقُدُسِ الْمُوَكَّلُ بِالْأَئِمَّةِ عليهم السلام، يُوَفِّقُهُمْ وَيُسَدِّدُهُمْ وَيُرَبِّيهِمْ بِالْعِلْمِ»[1].

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبداللَّه عليه السلام قال: «سمعته يقول: إن اللَّه خلقنا من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة، مكنونة، من تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكُنَّا نحن خلقًا وبشرًا نورانيين»[2].

الاختلاف في سنة ولادته عليه السلام:

ولد الإمام المهدي عليه السلام في يوم الجمعة في النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ. وهناك رأي آخر أنه ولد سنة ٢٥٤هـ، وثالث سنة ٢٥٦هـ مع اتّفاقهم أنه ولد يوم الجمعة في النصف من شعبان.

وعندما حقّق البعض في التاريخ الميلادي والهجري وجدوا أن تاريخ

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١، حديث ١٤.
(٢) شرح الكافي، المازندراني، ج٦، ص٣٩٤.

الخامس عشر من شعبان يوم الجمعة صادف سنة ٢٥٥هـ وليس سنة ٢٥٤هـ ولا سنة ٢٥٦هـ، ولعل هذه من المرجّحات أن ولادة الحجة عليه السلام الثابتة سنة ٢٥٥هـ.

وهذا النوع من الاختلاف طبيعي في البحوث التاريخية، فكيف بتاريخ ولادة المهدي عليه السلام الذي أُحيطت ولادته بظروف خاصة، بحيث أُخفيت ولادته عن خواص الشيعة فكيف بالعامة من الناس؛ لذا من الطبيعي أن تشكّل ظروف خفاء الولادة نوعًا من الالتباس بتاريخ ولادة المهدي عليه السلام، كل ذلك للحفاظ على حياة الحجة عليه السلام من حكّام زمانه وأعوانهم من النواصب.

وأما معتقدنا نحن الشيعة في ولادته عليه السلام فنجزم بوقوعها، وأنه الحجة، وأنه الثاني عشر من ولد الإمام الحسين عليه السلام وأنه ولد سنة ٢٥٥هـ في الخامس عشر من شعبان.

وقد رواها الكثير من العلماء والمؤرخين من الفريقين، مثل أبي جعفر الطبري، والفضل بن شاذان، وعلي بن الحسين المسعودي، والشيخ الطوسي، والشيخ المفيد، وغيرهم.

والاختلاف في سنة ولادته لا يغيّر من الثوابت والحقائق والمعتقدات إلَّا إذا كان بقصد إيقاع الشكوك في أصل ولادته، مع أن الاختلاف دليل الثبوت، وبرهان على وجوده عليه السلام.

مذهب التشكيك في ولادته عليه السلام:

ظهر جماعة من الشيعة والعامة برأي مغاير ومخالف لإجماع أئمة آل البيت عليهم السلام وشيعتهم وجماعة من محقّقي العامة، في ولادة المهدي عليه السلام،

وذهبوا إلى دعوى أنه لم يولد، وأن الإمام الحسن العسكري عليه السلام لم يُخلّف ولدًا من بعده.

وكان هدف هذه الدعوى والافتراء غايات لدى السلطة الحاكمة آنذاك، ودواعي لدى علماء السلطة، ومصلحة لدى بعض المنخدعين من الشيعة.

وهذا ما تنبَّأ به قادة الأمة من المعصومين عليهم السلام وأخبرونا به، وحذّرونا من أن إعلام السلطة وبوقهم الإعلامي وجماعات الضغط من السياسيين وعلماء الدين المخالفين لمذهب أهل البيت عليهم السلام كلهم يعملون لترويج أكذوبة نفي ولادة الحجة عليه السلام.

فعن العباس بن عامر قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: صاحب هذا الأمر مَنْ يقول الناس: لم يولد بعدُ»[١]. وربما كان سبب الشكوك في ولادته ما قاله الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عندما ذكر القائم عليه السلام قال: «تخفى على الناس ولادته»[٢].

وعن محمد بن علي قال: «القائم هو الذي تخفى على الناس ولادته»[٣].

ولكن هذا ليس تبريرًا لهم في قبول الشك سواء من الشيعة أو العامة؛ وذلك لوجود أدلة صريحة صحيحة تثبت وجود المهدي وولادته وظهوره، ناهيك عن أحاديث «الأئمة اثنا عشر كلهم من قريش»، وهذا حديث متواتر عند العامة والخاصة.

وقد أَلَّف علماء العامة من الكتب حول المهدي ما يثبت حقيقة وجوده

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٣٦٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢٧، حديث ٥.
(٣) بحار الأنوار ج٢١، ص٢٧، حديث ١٦.

وثبوت ولادته، ودعوى أنه لم يُولد دعوى لا دليل عليها.

قال مؤلف كتاب (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان) اليافعي، وكذلك أحمد بن يوسف أبو العباس القرماني الحنفي المتوفَّى سنة ١٠١٩هـ، قال في كتابه (أخبار الدول وآثار الأُول) في الفصل الحادي عشر في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح: «وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه اللَّه فيها الحكمة كما أوتيها يحيى عليه السلام صبيًّا، وكان مربوع القامة، حسن الوجه والشعر، أقنى الأنف، أجلى الجبهة».

ولادة آمنة في دائرة الخطر:

أما الولادة وظروفها فقد جاءت في ظروف خاصة ومعقّدة، تدخَّل الغيب في حفظ وليّه وحجّته وهو في بطن أمه.

فقصَّة ولادته، بل حمله قبل الولادة، كقصة موسى عليه السلام، فلم يظهر الحمل على أم الإمام الحجة، ولم تكن حكيمة لما قال لها الإمام العسكري عليه السلام: «التزمي الليلة بأم الإمام الحجة عليه السلام»، ترى شيئًا من الحمل، ولا دلائل أو علامات الحمل. قالت حكيمة: «ولست أرى بنرجس شيئًا من أثر الحمل»، وقالت أيضًا: «فوثبت إلى نرجس فقلبتها ظهرًا لبطن فلم أرَ بها أثرًا من حبل، فعدت إليه فأخبرته بما فعلت، فتبسّم، ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل؛ لأن مثلها مثل أم موسى، لم يظهر بها الحَبَل، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأن فرعون كان يشقُّ بطون الحُبالى في طلب موسى، وهذا نظير موسى عليه السلام».

فاللَّه سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا لا فرعون ولا طواغيت الدنيا قادرون على منع إرادة اللَّه تعالى أن تتحقّق، أو أن ينالوا من أحد أوليائه، ﴿**إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾، فالإمام عليه السلام أخبر حكيمة بظروف ولادة الحجة، وأنها مثل ظروف ولادة موسى عليه السلام.

ويُستفاد من النصوص أن الولادة كانت قبل الفجر، وعادة الطغاة في هذا الوقت يكونون في عالم آخر من اللهو واللعب والمجون، مع ذلك كانت ولادته محاطة بالسرية والكتمان والخفاء.

لذا كان من الضروري مباشر ولادته من قبل امرأة ثقة قادرة على إخفاء السر، ولم يكن هناك من النساء من بني هاشم كحكيمة رضوان اللَّه تعالى عليها، فكانت المرأة الوحيدة المعتمدة لدى الإمام العسكري عليه السلام.

إمامة المهدي المنتظر

الحديث عن المهدي الإمام الثاني عشر من المعصومين عليهم السلام يعدُّ من البحوث الإسلامية الأهم في موضوع الخلافة والإمامة؛ لأن موضوع الإمام الحجة وغيبته يعدّ تخطيطًا استراتيجيًّا تمهيدًا لولادة دولة العدل الإلهي، ولوراثة المؤمنين والموالين المستضعفين. وإن وعد اللَّه سوف يتحقّق في إظهار دينه على الدين كلّه، وإن الأمل الكبير في تشكيل دولة الحق والعدل والمساواة على مستوى العالم على يد الثائر الإمام المهدي لا محالة سيتحقّق.

فمن زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرورًا بالمعصومين عليهم السلام من آل البيت وهم يتحدّثون عن المهدي، وأن لا مناص لأحد من البشرية للفرار والهروب من هذه العقيدة، وأن في نهاية المطاف أن يكون الحكم للَّه عزّ وجلّ، وأن الحاكم الفعلي للعالم والبشرية جمعاء يكون من أئمة الحق والعدل، وهو المهدي المنتظر، فالمعصوم لم تنتهِ وظيفته بعدُ في هذا العالم، وهي تتمثّل في أمرين:

الأول: بيان الدين والعقيدة الحقَّة.

الثاني: بناء الدولة العالمية المبنيّة على الدين والعقيدة الحقّة.

لأن اللَّه عزّ وجلّ أوكل للمهدي عليه السلام إقامة الحكومة الإلهية على مستوى العالم أجمع، ولم يُوكل هذه المهمة لأحد من أنبيائه ورسله؛ لذا فإن الحديث عن إمامته يعدّ نقطة منهجية، والكلام «في غيبة ابن الحسن عليه السلام فرع على ثبوت إمامته، والمخالف لنا إما أن يسلّم لنا إمامته فلا معنى لسؤاله عن غيبة مَنْ لم يثبت إمامته»[1].

ويقول الشيخ الطوسي في موقع آخر من كتابه: «إنما قلنا ذلك لأن الكلام في سبب غيبته فرع على ثبوت إمامته، فأما قبل ثبوتها فلا وجه للكلام في سبب غيبته، كما لا وجه للكلام في وجوه الآيات المتشابهات، وإيلام الأطفال، وحسن التعبّد بالشرائع قبل ثبوت التوحيد والعدل.

فإن قيل: ألا كان السائل بالخيار بين الكلام في إمامة ابن الحسن عليه السلام ليعرف صحّتها من فسادها وبين أن يتكلّم في سبب الغيبة؟

قلنا: لا خيار في ذلك؛ لأن من شكّ في إمامة ابن الحسن عليه السلام يجب أن يكون الكلام معه في نصِّ إمامته».

معنى الإمامة والإمام:

تعدّ عقيدة الإمام من أكبر نعم اللَّه تعالى على المسلمين وأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لما فيها من المنافع والفوائد الدنيوية والأخروية، وما تمثّله في عالم التكوين والتشريع من أهمية، منها ما ظهر لنا، ومنها ما خفي علينا، وهو الأكثر.

وقبل أن نشرع في بيان إمامة الإمام المهدي عليه السلام نستعرض الآراء والمذاهب في معنى الإمامة والإمام:

(١) الغيبة، الطوسي، ص٨٨.

«إن للإمامة معاني مختلفة:

١- الإمامة بمعنى الرئاسة والزعامة في أمور الدنيا، (قال بذلك فريق من علماء أهل السنة).

٢- الإمامة بمعنى الرئاسة في أمور الدين والدنيا، (قال بذلك فريق آخر من علماء أهل السنة).

٣- الإمامة بمعنى تحقيق المناهج الدينية بما في ذلك منهج الحكم بالمعنى الواسع للحكومة، وإجراء الحدود وأحكام اللّه، وتطبيق العدالة الاجتماعية، وتربية الأفراد في محتواهم الداخلي وفي سلوكهم الخارجي. وهذه المنزلة أسمى من منزلة النّبوة والرسالة؛ لأن منزلة النّبوة والرسالة تقتصر على إبلاغ أوامر اللّه، والبشارة والإنذار، أمّا الإمامة فتشمل مسؤوليات النّبوة والرسالة إضافة إلى «إجراء الأحكام» و«تربية النفوس ظاهريًّا وباطنيًّا» (من الواضح أن كثيرًا من الأنبياء كانوا يتمتعون بمنزلة الإمامة).

منزلة الإمامة هي في الحقيقة منزلة تحقيق أهداف الدين والهداية، أي «الإيصال إلى المطلوب»، وليست هي «إراءة الطريق» فحسب.

ومضافًا لما سبق فإنّ الإمامة تتضّمن -أيضًا- على «الهداية التكوينية»، أي النفوذ الروحي للإمام، وتأثيره على القلوب المستعدة للهداية المعنوية (تأمل بدقّة).

الإمام في ذلك يشبه الشمس التي تبعث الحياة في النباتات، فكذلك دور الإمام في بعث الحياة الروحية والمعنوية في الكائنات الحيّة؟

يقول سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ**

الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[١].

ومن هذه الآية نفهم بوضوح أن رحمة اللّه الخاصة والمعونة الغيبية للملائكة بإمكانها أن تخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور.

هذا الموضوع يصدق على الإمام أيضا، فالقوّة الروحية للإمام وللأنبياء الحائزين على منزلة الإمامة وخلفائهم، لها التأثير العميق على تربية الأفراد المؤهلين، وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور الهداية.

لا شك أن المراد من الإمامة في الآية التي نحن بصدد تفسيرها هو المعنى الثالث للإمامة؛ لأنّه يستفاد من آيات متعددة أن مفهوم «الإمامة» ينطوي على مفهوم «الهداية»، كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ**﴾[٢].

هذه الهداية لا تعني إراءة الطريق؛ لأن إبراهيم عليه السلام كانت له قبل ذلك مكانة النّبوة والرسالة، أي مكانة إراءة الطريق.

القرائن الواضحة تشير إلى أن منزلة الإمامة الممنوحة لإبراهيم عليه السلام بعد الامتحانات العسيرة، واجتياز مراحل اليقين والشجاعة والاستقامة، هي غير منزلة البشارة والإبلاغ والإنذار.

إذن، الهداية التي يتضمنها مفهوم الإمامة ما هي إلّا «الإيصال إلى المطلوب» و«تحقيق روح الدين»، وتطبيق المناهج التربوية في النفوس المستعدة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.
(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.

هذا الحقيقة يوضّحها بإجمال حديث عميق المعنى:

روي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: «إنّ اللّه تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبدًا قبل أن يتخذه نبيًّا، وإنّ اللّه اتّخذه نبيًّا قبل أن يتّخذه رسولًا، وإنّ اللّه اتّخذه رسولًا قبل أن يتّخذه خليلًا، وإنّ اللّه اتّخذه خليلًا قبل أن يجعله إمامًا، فلمّا جمع له الأشياء، قال: ﴿**إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمامًا**﴾ قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1] قال: لا يكون السّفيه إمام التّقيّ».

الفرق بين النّبوة والإمامة والرسالة:

يفهم من الآيات الكريمة والمأثور عن المعصومين، أن حَمَلة المهمات من قبل اللّه تعالى لهم منازل مختلفة:

١- **منزلة النّبوة**: أي استلام الوحي من اللّه، فالنبي هو الذي ينزل عليه الوحي، وما يستلمه من الوحي يعطيه للنّاس إن طلبوا منه ذلك.

٢- **منزلة الرسالة**: وهي منزلة إبلاغ الوحي، ونشر أحكام اللّه، وتربية الأفراد عن طريق التعليم والتوعية. فالرّسول إذن هو المكلف بالسعي في دائرة مهمته لدعوة النّاس إلى اللّه وتبليغ رسالته، وبذل الجهد لتغيير فكري عقائدي في مجتمعه.

٣- **منزلة الإمامة**: وهي منزلة قيادة البشرية، فالإمام يسعى إلى تطبيق أحكام اللّه عمليًّا عن طريق إقامة حكومة إلهية واستلام مقاليد الأمور اللازمة. وإن لم يستطع إقامة الدولة يسعى قدر طاقته في تنفيذ الأحكام.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

بعبارة أخرى: مهمة الإمام تنفيذ الأوامر الإلهية، بينما تقتصر مهمة الرّسول على تبليغ هذه الأوامر. وبتعبير آخر أيضًا: مهمة الرّسول إراءة الطريق، ومهمة الإمام «الإيصال إلى المطلوب» (إضافة إلى المهام الثقيلة الاخرى المذكورة).

ومن نافلة القول أن كثيرًا من الأنبياء كنبيّ الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام حازوا على المنازل الثلاث، كانوا يستلمون الوحي، ويبلّغون أوامر اللّه، ويسعون إلى إقامة الحكومة وتنفيذ الأحكام، وينهضون -بما لهم من تأثير روحي- بمهمة تربية النفوس.

الإمامة -بعبارة موجزة- هي منزلة القيادة الشاملة لجميع المجالات المادية والمعنوية والجسمية والروحية والظاهرية والباطنية. الإمام رئيس الدولة وزعيم المجتمع ومعلَّم الأخلاق، وقائد المحتوى الداخلي للأفراد المؤهّلين.

فهو بقوّته المعنوية يقود النفوس المؤهّلة على طريق التكامل. وبقدرته العلمية يعلم الجهلة. وبقوّة حكومته أو أية قوّة تنفيذية أخرى يطبق مبادي العدالة»[1].

فالإمامة التي تمثّلت في شخص المعصوم عليه السلام من آل البيت عليهم السلام هي الإمامة بالمعنى المتكامل عند الشيعة والتي يتّصف الشخص بها بالكمال المطلق، أما عند غير الشيعة فالأمر مختلف كليًّا بدءًا من التعريف ومرورًا بالصفات وانتهاءً بالوظيفة.

(١) الأمثل، ج١، ص٢٦٣-٢٦٥.

فالإمام عندنا يمثّل النبي ﷺ في الصفات والوظيفة إلَّا ما خُصَّ به نبيُّنا ﷺ من الوظائف والصفات والمنزلة، وهذا ممَّا لا خلاف فيه.

«فواحدة من المواقع التي يتركها النبي ﷺ شاغرة بعد مغادرته الدنيا هي قيادة المجتمع، فالمجتمع والأمة بحاجة إلى قائد، ولا يشك أحد في ضرورة هذه الحاجة، إنما الخلاف في الشخص المناسب لقيادة المجتمع بعد النبي ﷺ، فالشيعة تقول: إن النبي ﷺ عيَّن بنفسه القائد من بعده، وأعلن للأمة أن زمام الأمور من بعده يجب أن تكون بيد علي عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام، وهذا التعيين ليس إلَّا بوحي من اللَّه تعالى؛ لأن النبي ﷺ كان مبلِّغًا للوحي، ومن الأمور التي بلَّغها أن القائد الإمام الذي يقود الأمة هو علي عليه السلام.

وأما الأدلة على ثبوت إمامة الأئمة الاثني عشر من آل البيت عليهم السلام فكثيرة متواترة، أما إمامة الحجة القائم عليه السلام والدليل عليه فثابتة بالنص والدليل، وأن لا خلاف في إمامته وحجيته، وأنه إمامنا من قبل والآن ومن بعد إلى حين ظهروه وإلى يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى اللَّه بدين سليم.

الحديث الأول: قال موسى بن جعفر عليه السلام: «لا يكون القائم إلَّا إمام ابن إمام، ووصي ابن وصي»[1].

الحديث الثاني: عن الصغر بن دلف قال: «سمعت أبا جعفر محمد علي الرضا عليه السلام يقول: إِنَّ الْإِمَامَ بَعْدِي ابْنِي عَلِيٌّ، أَمْرُهُ أَمْرِي، وَقَوْلُهُ قَوْلِي، وَطَاعَتُهُ طَاعَتِي. وَالْإِمَامَةُ بَعْدَهُ فِي ابْنِهِ الْحَسَنِ، أَمْرُهُ أَمْرُ أَبِيهِ، وَقَوْلُهُ قَوْلُ أَبِيهِ،

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢٨، حديث ١.

وَطَاعَتُهُ طَاعَةُ أَبِيهِ. ثُمَّ سَكَتَ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَمَنِ الْإِمَامُ بَعْدَ الْحَسَنِ؟ فَبَكَى عليه السلام بُكَاءً شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْ بَعْدِ الْحَسَنِ ابْنَهُ الْقَائِمَ بِالْحَقِّ الْمُنْتَظَرَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، وَلِمَ سُمِّيَ الْقَائِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ وَارْتِدَادِ أَكْثَرِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَلِمَ سُمِّيَ الْمُنْتَظَرَ؟ قَالَ: لِأَنَّ لَهُ غَيْبَةً تَكْثُرُ أَيَّامُهَا، وَيَطُولُ أَمَدُهَا، فَيَنْتَظِرُ خُرُوجَهُ الْمُخْلِصُونَ، وَيُنْكِرُهُ الْمُرْتَابُونَ، وَيَسْتَهْزِئُ بِذِكْرِهِ الْجَاحِدُونَ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْوَقَّاتُونَ، وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَيَنْجُو فِيهَا الْمُسْلِمُونَ»[1].

الحديث الثالث: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن العلم بكتاب اللَّه عزّ وجلّ وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ينبت في قلب مهدينا كما ينبت الزرع عن أحسن نباته، فمن بقي منكم حتى يلقاه فليقل حين يراه: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة والنبوة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة»[2].

الحديث الرابع: عن أبي عبداللَّه عليه السلام قال: «إذا اجتمعت ثلاثة أسماء متوالية: محمد وعلي والحسن فالرابع القائم عليه السلام»[3].

الحديث الخامس: عن المفضّل بن عمر قال: «دخلت على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام فقلت: يا سيدي، لو عهدت إلينا في الخَلَف من بعدك؟ فقال لي: يا مفضّل، الإمام من بعدي ابني موسى، والخلف المأمول المنتظر م ح م د ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى»[4].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢٥، حديث ٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٠، حديث ٦.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٩، حديث ٥.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١٠، حديث ٧.

الحديث السادس: عن المفضّل بن عمر قال: «قال الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نُورًا قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ، فَهِيَ أَرْوَاحُنَا. فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَنِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليهم السلام، آخِرُهُمُ الْقَائِمِ الَّذِي يَقُومُ بَعْدَ غَيْبَتِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَوْرٍ وَظُلْمٍ»[١].

الحديث السابع: عن أبي بصير، عن أبي عبداللَّه عليه السلام قال: «سمعته يقول: منا اثنا عشر مهديًّا، مضى ستة وبقي ستة، يضع اللَّه في السادس ما أحب»[٢].

الحديث الثامن: عن موسى بن جعفر البغدادي قال: «سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يقول: كَأَنِّي بِكُمْ وَقَدِ اخْتَلَفْتُمْ بَعْدِي فِي الْخَلَفِ مِنِّي، أَمَا إِنَّ الْمُقِرَّ بِالْأَئِمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ الْمُنْكِرَ لِوَلَدِي كَمَنْ أَقَرَّ بِجَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ثُمَّ أَنْكَرَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَالْمُنْكِرُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَمَنْ أَنْكَرَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ طَاعَةَ آخِرِنَا كَطَاعَةِ أَوَّلِنَا، وَالْمُنْكِرَ لِآخِرِنَا كَالْمُنْكِرِ لِأَوَّلِنَا، أَمَا إِنَّ لِوَلَدِي غَيْبَةً يَرْتَابُ فِيهَا النَّاسُ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ عزوجل»[٣].

الحديث التاسع: عن أحمد بن إسحاق قال: «سمعت أبا محمد الحسن ابن علي العسكري عليه السلام يقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَرَانِي الْخَلَفَ مِنْ بَعْدِي، أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم خَلْقًا وَخُلُقًا، يَحْفَظُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي غَيْبَتِهِ ثُمَّ يُظْهِرُهُ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١٠، حديث ٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١١، حديث ٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٢٢، حديث ٦.

جَوْرًا وَظُلْمًا»[١].

الحديث العاشر: عن أبي إبراهيم الكوفي قال: «فَكُنْتُ عِنْدَهُ إِذْ دَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام وَهُوَ غُلَامٌ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَجَلَسْتُ، فَقَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا بَا إِبْرَاهِيمَ، أَمَا إِنَّهُ صَاحِبُكَ مِنْ بَعْدِي. أَمَا لَيَهْلِكَنَّ فِيهِ أَقْوَامٌ وَيَسْعَدُ آخَرُونَ، فَلَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ، وَضَاعَفَ عَلَى رُوحِهِ الْعَذَابَ. أَمَا لَيُخْرِجَنَّ اللَّهُ مِنْ صُلْبِهِ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ بَعْدَ عَجَائِبَ تَمُرُّ بِهِ حَسَدًا لَهُ، وَلَكِنَّ ﴿**اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾، يُخْرِجُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ صُلْبِهِ تَكْمِلَةَ اثْنَيْ عَشَرَ إِمَامًا مَهْدِيًّا، اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ قُدْسِهِ. الْمُنْتَظِرُ لِلثَّانِي عَشَرَ كَالشَّاهِرِ سَيْفَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَذُبُّ عَنْهُ.

فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي أُمَيَّةَ فَانْقَطَعَ الْكَلَامُ وَعُدْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً أُرِيدُ اسْتِتْمَامَ الْكَلَامِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ، هُوَ الْمُفَرِّجُ لِلْكَرْبِ عَنْ شِيعَتِهِ بَعْدَ ضَنْكٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ طَوِيلٍ وَجَوْرٍ، فَطُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ. وَحَسْبُكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ. قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ: فَمَا رَجَعْتُ بِشَيْءٍ أَسَرَّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا وَلَا أَفْرَحَ لِقَلْبِي مِنْهُ»[٢].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٢٣، حديث ٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٩، حديث ٢٤.

العقيدة بالثاني عشر

نعتقد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشّر بالإمام الحجة، وأن الأئمة من أمير المؤمنين إلى الإمام العسكري عليه السلام تحدّثوا عن الحجة، وكذلك وردت عن الإمام الحجة عليه السلام روايات في هذا الشأن.

ومن ذلك ما روى الحافظ سعد الدين إبراهيم بن محمد الشافعي في كتابه فرائد السبطين وغيره بأسانيدهم عن ابن عباس أن يهوديًّا اسمه نعثل سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أشياء، فلما أجابه قال: من وصيك فما من نبي إلَّا وله وصي؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلو تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، فإذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى فابنه محمد، فإذا مضى فابنه جعفر، فإذا مضى فابنه موسى، فإذا مضى فابنه علي، فإذا مضى فابنه محمد، فإذا مضى فابنه علي، فإذا مضى فابنه الحسن، فإذا مضى فالحجة بن الحسن، فأسلم اليهودي وقال: وجدت هذا في الكتب السالفة، وفيما عهد إلينا موسى: إن أحمد خاتم الأنبياء ويخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط، غاب منهم لاوي عن بني إسرائيل طويلًا ثم عاد فأظهر شريعته، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: كائن في أمتي مثله، يغيب الثاني عشر من ولدي حتى لا يُرى، ولا يبقى من الإسلام إلَّا رسمه، فيأذن اللَّه له بالخروج

فيظهر الإسلام».

لقد بيّن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عدد الإئمة وقال عددهم عدد الأسباط، وأن واحدًا منهم سيغيب كما غاب لاوي بن أرحية، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كائن في أئمتي ما كان من بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وأن الثاني عشر من ولدي حتى لا يرى، ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلَّا اسمه، ولا من القرآن إلَّا رسمه، فحينئذٍ يأذن اللَّه له بالخروج، فيُظهر الإسلام، ويُجدّد الدين».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن أحبهم، وطوبى لمن تمسَّك بهم، والويل لمبغضهم»[١]، نسأل اللَّه أن يجعلنا من محبيهم والمتمسكين بهم.

وفي رواية أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني»[٢].

«هذا حديث مسند رواه الصدوق في كمال الدين بواسطة خمسة رواة عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم.

والشاهد على صدقه تواتر الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأخبار عن القائم عليه السلام، فكان إنكاره تكذيبًا لرسول الله، وإنكارًا له صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي بعثني بالحق بشيرًا ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني حتى يقول الناس: ما للَّه في آل محمد من حاجة (أي يبدو أن عندهم حالة شك يقولون: لا حاجة لنا في آل محمد، إلى متى وهو غائب

(١)كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر، ص ١٥.
(٢)كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤١٢.
(٣) تنزيه الشيعة الاثني عشرية عن الشبهات الواهية، أبو طالب التجليل التبريزي، ج٢، ص٥١٩.

وبعض الناس اليوم هكذا). ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلًا بشكه فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني»[١].

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٥١.

المهدي عليه السلام الإمام الثاني عشر

ممَّا لا خلاف بين الشيعة الإمامية أن المهدي عليه السلام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو ممَّن اتَّفقت كلمة المعصومين من هذه الأمة أنه آخر الأئمة من آل البيت عليهم السلام، وأنه القائم المنتظر عليه السلام. والأدلة والبراهين المختلفة ومنها النص والرواية تؤكد هذه المسألة من السنة والشيعة، وعدم موافقة العامة والمسلمين من المذاهب الإسلامية لا يعنينا بشيء؛ لأنهم متفقون على بطلان عقيدة الشيعة في الإمامة ولوازمهما، فإذا كان الأصل باطل عندهم فكيف بالفرع؟ وفرض تكذيبهم لنا في ولادة المهدي عليه السلام وعدم وجوده لا يفسّر أصل الدليل عندنا. وأما مخالفة الفرق الإسلامية الشيعية لنا فأمرهم بيِّن، وسبب معارضتهم لنا معروفة لمن راجع تاريخ وعقيدة الفرق في كتب السنة والشيعة، مثل كتاب الشهرستاني والنوبختي.

قامت الأدلة الروائية والنصوص الصحيحة على أن المهدي عليه السلام من الأئمة الاثني عشر المعصومين من آل البيت عليهم السلام. وأذكر هنا بعض تلك الأدلة:

١- عن أبي محمد العسكري، عن آبائه، عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «لا يكون القائم إلَّا إمام بن إمام ووصي بن وصي»[١].

٢- عن عبداللَّه بن عطاء قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن شيعتك بالعراق كثير، ووالله ما في أهل البيت مثلك كيف لا تخرج؟ فقال: يا عبداللَّه ابن عطاء، قد أمكنت الْحِشْوَة من أذنيك، واللَّه ما أنا بصاحبكم، قلت: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم»[٢].

٣- عن الحسن بن الحسين، عن سفيان الجريري قال: «سمعت محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: واللَّه لا يكون المهدي أبدأ إلَّا من ولد الحسين عليه السلام»[٣].

٤- عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان، أبيض مشرب حمرة مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان: شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، له اسمان: اسم يُخفى، واسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد، وأما الذي يعلن فمحمد، فإذا هزَّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤرس العباد، فلا يبقى مؤمن إلَّا صار قلبه أشد من زُبر الحديد، وأعطاه اللَّه قوة أربعين رجلًا، ولا يبقى ميت إلَّا دخلت عليه تلك الفرحة في قلبه، وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم عليه السلام»[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٨، حديث ١.
(٢) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٨، حديث ٢.
(٣) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٩، حديث ٣.
(٤) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٩، حديث ٥.

٥- عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن العلم بكتاب اللَّه وجل وسنة نبيه، ينبت في قلب مهدينا كما ينبت الزرع عن أحسن نباته، فمن بقي منكم حتى يلقاه فليقل حين يراه: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة والنبوة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة. وروي أن التسليم على القائم عليه السلام أن يقال: السلام عليك يا بقية اللَّه في أرضه»(١).

٦- عن يحيى بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «صاحب هذا الأمر أصغرنا سنًّا، وأخملنا شخصًا. قلت: متى يكون؟ قال: إذا سارت الركبان ببيعة الغلام، فعند ذلك يرفع كل ذي صيصية لواء»(٢).

٧- عن أيوب بن نوح، قال: «قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنا نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وأن يسوقه اللَّه إليك عفوًا بغير سيف، فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك، فقال: ما منا أحد اختلفت الكتب إليه، وأشير إليه بالأصابع، وسئل عن المسائل، وحملت إليه الأموال إلَّا أغتيل أو مات على فراشه، حتى يبعث اللَّه لهذا الأمر غلامًا منا خفي المولد والمنشأ، غير خفي في نفسه»(٣).

٨- عن أبي وابل قال: «نظر أمير المؤمنين علي إلى الحسين عليه السلام فقال: إن ابني هذا سيد كما سمَّاه رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم سيّدًا، وسيُخرج اللَّه من صلبه رجلًا باسم نبيكم، يُشبهه في الخَلق والخُلق، يخرج على حين غفلة من الناس وإماتة للحق وإظهار للجور. واللَّه لو لم يخرج لضُربت عنقه، يفرح بخروجه أهل السماوات وسكانها، وهو رجل أجلى الجبين، أقنى الأنف،

(١) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٠، حديث ٦.
(٢) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٢، حديث ١٦.
(٣) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٠، حديث ٩.

ضخم البطن، أزيل الفخذين، لفخذه اليمني شامة، أفلج الثنايا، يملا الأرض عدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[١].

مزيد من البيان والتفصيل:

ذكر العلَّامة المقدَّس الأردبيلي في كتاب الحاشية على الإلهيات (النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام) بإسناده في الصحيح عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي عليه السلام وهو متكي على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلم على أمير المؤمنين، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما قضي عليهم وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وأخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عمَّا بدا لك.

قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن فقال: يا أبا محمد، أجبه.

قال: فأجابه الحسن عليه السلام.

فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه، ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنك وصي رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم

(١) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٣، حديث ٢٠.

والقائم بحجته.

وأشار إلى الحسن عليه السلام - وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجنه بعده، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمد بأنه القائم بأمر محمد، وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد، وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى، وأشهد على علي بن محمد بأنه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على الحسن بن علي بأنه القائم بأمر علي بن محمد، وأشهد على رجل من ولد الحسن لا يكنّى ولا يسمَّى حتى يظهر أمره فيملؤها عدلًا كما ملئت جورًا، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته.

ثم قام فمضى، فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمد اتبعه فانظر أين يقصد. فخرج الحسن بن علي عليه السلام فقال: ما كان إلّا أن وضع رجله خارجًا من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض اللّه، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمته.

فقال: يا أبا محمد أتعرفه؟ قلت: اللّه ورسوله وأمير المؤمنين أعلم. قال: هو الخضر عليه السلام»[1].

قال: «وحدثني محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن أبي عبداللّه، عن أبي هاشم مثله»[2].

(١) الكافي، ج١، ص٥٢٦، حديث ١.
(٢) الكافي، ج١، ص٥٢٦، حديث ١.

قال محمد بن يحيى: «فقلت لمحمد بن الحسن: يا أبا جعفر، وددت أن هذا الخبر جاء من غير جهة أحمد بن أبي عبداللَّه، قال: فقال: لقد حدثني قبل الحيرة بعشر سنين»[1].

وذكر بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبداللَّه عليه السلام قال: قال أبي لجابر ابن عبداللَّه الأنصاري: «إن لي إليك حاجة فمتى يخفُّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: أي الأوقات أحببت. فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام بنت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟ فقال جابر: أشهد باللَّه أني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم فهنّيتها بولادة الحسين، ورأيت في يديها لوحًا أخضر، ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتابًا أبيض، شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه اللَّه إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء. فقرأته واستنسخته.

فقال له أبي: فهل لك يا جابر: أن تعرضه عليَّ؟ قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر، فأخرج صحيفة من رِقٍّ، فقال: يا جابر، انظر في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي، فما خالف حرف حرفًا. فقال جابر: فاشهد باللَّه أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبة:

---

(١) الكافي، ج١، ص٥٢٧. قال العلامة المجلسي رحمه الله في (مرآة العقول، ج٦، ص٢٠٧): «فيه ذمٌّ لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وكان من أفاخم المحدثين وثقاتهم، وله تصانيف كثيرة مشهورة، لم يبقَ منها إلَّا كتاب المحاسن.... ويظهر من هذا الخبر أن محمد بن يحيى كان في نفسه شيء على البرقي والصفار أثبت له حيرة، وظاهره التحير في المذهب، ويمكن أن يكون المراد بهته وخرافته في آخر عمره، أو تحيّره في الأرض بعد إخراج أحمد بن محمد بن عيسى إياه من قم».

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا كتاب من اللَّه العزيز الحكيم، لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، عظِّم يا محمد أسمائي، وأشكر نعماني، ولا تجحد آلائي، إني أنا اللَّه لا إله أنا، قاصم الجبارين، ومديل المظلومين، وديَّان الدين، إني أنا اللَّه لا إله إلَّا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي، عذَّبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، فإياي فاعبد وعليَّ فتوكل، إني لم أبعث نبيًا فأكملت أيامه، وانقضت مدَّته إلَّا جعلت له وصيًا، وإني فضَّلتك على الأنبياء، وفضَّلت وصيَّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسبطيك الحسن والحسين، وجعلت حسنًا معدن علمي، بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسينًا خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامّة معه، وحجتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جدّه المحمود محمد الباقر علمي، والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابرن في جعفر، الرَّادِّ عليه كالرَّادِّ عليَّ، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر ولأسرَّنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، أُتيحت بعده موسى فتنة عمياء حندس؛ لأن خيط فرضي لا ينقطع، وحجتي لا تخفى، وأن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من جحد واحدًا منهم فقد جحد نعمتي، ومن غيَّر آيةً من كتابي فقد افترى علي، ويل للمفترين الجاحدين، عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي، حق القول مني لأسرَّنه بمحمد ابنه، وخليفته من بعده، ووارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سري، وحجتي على خلقي، لا يؤمن عبد به إلَّا

جعلت الجنة مثواه، وشفَّعته في سبعين من أهل بيته، كلهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي الحسن، وأكمل ذلك بابنه م ح م د رحمةً للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب، فيذلُّ أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنة في نسائهم، أولئك أوليائي حقًّا، بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون»[١].

قال عبد الرحمن بن سالم: «قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلَّا هذا الحديث لكفاك، فَصُنْهُ[٢] إلاَّ عن أهله»[٣].

وعن سليم بن قيس، قال: «سمعت عبداللَّه بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية، أنا والحسن والحسين وعبداللَّه بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فجرى بيني وبين معاوية كلام، فقلت لمعاوية: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا حسين، ثم تكملة اثني عشر إمامًا، تسعة من ولد الحسين.

---

(١) الكافي، ج١، ص٥٢٧ - ٥٢٨، حديث ١.

(٢) في المصدر: «فصنه» بالمهملة، والصحيح: «فضنه» بالمعجمة ثم التشديد، كما لا يخفى.

(٣) الكافي ج١، ص٥٢٦، حديث ١.

قال عبداللَّه بن جعفر: واستشهدتُ الحسن والحسين وعبداللَّه بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية.

قال سليم: وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد، وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

وبإسناده عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «إن اللَّه خلق محمدًا وعليًّا وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحًا في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون اللَّه ويقدّسونه، وهم الأئمة من ولد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم».

وبإسناد ذكره عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «الاثنا عشر الإمام من آل محمد عليهم السلام كلهم محدّث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

وبإسناده ذكر أبي جعفر عليه السلام قال: «إن اللَّه أرسل محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجن والإنس وجعل من بعده اثني عشر وصيًّا، منهم من سبق ومنهم من بقي، وكل وصي جرت به سنة، والأوصياء الذين من بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم على سُنَّة أوصياء عيسى، وكانوا اثني عشر، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سنة المسيح»[٣].

وذكر بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: «كنت حاضرًا لما هلك أبو بكر واستخلف عمر أقبل يهودي من عظماء يهود يثرب، وتزعم يهود المدينة أنه أعلم أهل زمانه، حتى رفع إلى عمر فقال له: يا عمر، إني جئتك أريد

(١) الكافي، ج١، ص٥٢٩، حديث ٤.
(٢) الكافي، ج١، ص٥٣١، حديث ٧.
(٣) الكافي، ج١، ص٥٣٢، حديث ١٠.

الإسلام فإن أخبرتني عمَّا أسالك عنه فأنت أعلم أصحاب محمد بالكتاب والسنة، وجميع ما أريد أن أسال عنه.

قال: فقال له عمر: إني لست هناك، لكني أرشدك إلى من هو أعلم أمتنا بالكتاب والسنة، وجميع ما قد تسأل عنه، وهو ذلك، فأومأ إلى علي عليه السلام. فقال له اليهودي: يا عمر، إن كان هذا كما تقول فما لك ولبيعة الناس، وإنما ذاك أعلمكم! فزبره عمر.

ثم إن اليهودي قام إلى علي عليه السلام فقال له: أنت كما ذكر عمر؟ فقال: وما قال عمر؟ فأخبره، قال: فإن كنت كما قال سألتك عن أشياء أريد أن أعلم هل يعلمه أحد منكم، فأعلم أنكم في دعواكم خير الأمم، وأعلمها صادقين، ومع ذلك أدخل في دينكم الإسلام، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نعم أنا كما ذكر لك عمر، سل عمَّا بدا لك أخبرك به إن شاء اللَّه تعالى.

قال: أخبرني عن ثلاث وثلاث وواحدة. فقال له علي عليه السلام: يا يهودي ولم لم تقل: أخبرني عن سبع؟ فقال له اليهودي: إنك إن أخبرتني بالثلاث، سألتك عن البقية وإلا كففت، فإن أنت أجبتني في هذه السبع فأنت أعلم أهل الأرض وأفضلهم وأولى الناس بالناس، فقال له: سل عمَّا بدا لك يا يهودي.

قال: أخبرني عن أول حجر وُضع على وجه الأرض؟ وأول شجرة غُرست على وجه الأرض؟ وأول عين نبعت على وجه الأرض؟ فأخبره أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم قال له اليهودي: أخبرني عن هذه الأمة كم لها من إمام هدى؟ وأخبرني عن نبيكم محمد أين منزله في الجنة؟ وأخبرني من معه في الجنة؟ فقال له أمير المؤمنين عليه: إن لهذه الأمة اثني عشر إمامًا هُدىً من ذرية نبيها

وهم مني. وأما منزل نبينا في الجنة ففي أفضلها وأشرفها جنة عدن. وأما من معه في منزله فيها فهؤلاء الاثنا عشر من ذريته وأمهم وجدتهم وأم أمهم وذراريهم، لا يشركهم فيها أحد»[١].

ومثلها رواية أخرى نقلها بإسناده عن أبي الطفيل، قال: «شهدت جنازة أبي بكر يوم مات، وشهدت عمر حين بويع وعلي عليه السلام جالس ناحية، فأقبل غلام يهودي جميل بهي، عليه ثياب حِسان، وهو من ولد هارون، حتى قام على رأس عمر فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم هذه الأمة بكتابهم وأمر نبيهم؟ قال: فطاطا عمر رأسه، فقال: إياك أعني، وأعاد عليه القول، فقال له عمر: لم ذاك؟ قال: إني جئتك مرتادًا لنفسي شاكًّا في ديني، فقال: دونك هذا الشاب، قال: ومن هذا الشاب؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا أبو الحسن والحسين ابني رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا زوج فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل اليهودي على علي عليه السلام فقال: أكذلك أنت؟ قال: نعم، قال: إني أريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة، قال...[٢] إلى آخر ما في تلك الرواية إلَّا تغيير في الثلاث الأُول.

وروى بإسناده عن الحسن بن العباس بن الجريش، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس: «إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدثون»[٣].

---

(١) الكافي، ج١، ص٥٣١ - ٥٣٢، حديث ٨.
(٢) الكافي، ج١، ص٥٢٩، حديث ٥.
(٣) الكافي، ج١، ص٥٣٢، حديث ١١.

ثم قال: وبهذا الإسناد: قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: «آمنوا بليلة القدر، إنها تكون لعلي بن أبي طالب ولولده الأحد عشر من بعدي»[١].

ثم قال: وبهذا الإسناد: «أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر يومًا: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾[٢]، فاشهد أن رسول اللَّه مات شهيدًا. واللَّه لياتينَّك، فأيقن إذا جاءك، فإن الشيطان غير متخيّل به.

فأخذ علي بيد أبي بكر فأراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: يا أبا بكر، آمن بعلي وبأحد عشر من ولده، إنهم مثلي إلَّا النبوة، وتُبْ إلى اللَّه ممَّا في يدك، فإنه لا حق لك فيه.

قال: ثم ذهب فلم يُرَ»[٣].

وذكر بإسناده عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «الاثنا عشر الإمامَ من آل محمد كلهم محدّث من ولد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وولد علي بن أبي طالب عليه السلام، فرسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام هما الولدان»[٤].

ومثلها أيضًا موجود[٥]، وفيه مسامحة ظاهرة، فإن أمير المؤمنين أيضًا من ولده صلى الله عليه وآله وسلم مجازًا؛ فإنه رباه وكبَّره وكان في حجره، فكأنه ولده، وتغليب أيضًا[٦]، فتامَّل.

---

(١) الكافي، ج١، ص٥٣٣، حديث ١٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.
(٣) الكافي، ج١، ص٥٣٣، حديث ١٣.
(٤) الكافي، ج١، ص٥٣٣، حديث ١٤.
(٥) راجع الحديث ٧ من باب ما جاء في الاثني عشر، الكافي، ج١، ص٥٣١.
(٦) وعليه فلا وجه لحمل هذه الروايات على التحريف كما فعله العلامة التستري في (الأخبار الدخيلة)، ج١، ص٢.

وذكر بالإسناد عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي، تاسعهم قائمهم»[١].

وعن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «نحن اثنا عشر إمامًا منهم حسن وحسين، ثم الأئمة من ولد الحسين عليه السلام»[٢].

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زِرُّ الأرض، يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد اللَّه الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم يُنظروا»[٣].

وقال: وبهذا الإسناد عن أبي سعيد، رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ولدي اثنا عشر نقيبًا، نجباء محدّثون مفهّمون، آخرهم القائم بالحق، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا»[٤].

وغير ذلك من الأخبار[٥].

وقال العلَّامة القاضي نور اللَّه التستري في كتابه الصوارم المهرقة: «أقول: فقد استدل أصحابنا الإمامية (رضوان اللَّه عليهم) بالصحاح من هذه الأحاديث على حقية خلافة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، إذ لا قائل بانحصار الأئمة في هذا العدد سوى الإمامية، فإن الإمامة والخلافة على ما دلَّ عليه دليل العقل والنقل أن يكون الشخص المتّصف بها معصومًا منصوصًا من اللَّه

(١) الكافي، ج١، ص٥٣٣، حديث ١٥.
(٢) الكافي، ج١، ص٥٣٣، حديث ١٦.
(٣) الكافي، ج١، ص٥٣٤، حديث ١٧.
(٤) الكافي، ج١، ص٥٣٤، حديث ١٨.
(٥) راجع: كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص٢٨٧، ح٤، ٥، و ص٢٨٩، ح١.

تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يقدح في ذلك عدم جريان أحكام بعض الأئمة عليهم السلام في الظاهر، ولهذا قال عليه السلام مشيرًا إلى الحسنين عليهما السلام: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا».

وبالجملة لا يقدح في مرادنا كونهم عليهم السلام منعوا الخلافة والمنصب الذي اختارهم اللَّه له، واستبد غيرهم به؛ إذ لم يقدح في نبوة الأنبياء عليهم السلام تكذيب من كذَّبهم، ولا رقع الشك فيهم لانحراف من انحرف عنهم، ولا شوَّه وجوه محاسنهم تقبيح من قبَّحها، ولا نقص شرفهم خلاف من عاندهم ونصب لهم العداوة وجاهرهم بالعصيان. وقال علي عليه السلام: «وما على المؤمن من غضاضة في أن يكون مظلومًا ما لم يكن شاكًّا في دينه ولا مرتابًا بيقينه».

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: «واللَّه لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنَّا على الحق وأنهم على الباطل».

وهذا واضح لمن تأمَّله.

قال السيد الفاضل رضي الدين علي بن طاووس رضي الله عنه في كتاب ربيع الشيعة: وإذا كانت الفرقة المخالفة قد نقلت أحاديث النص على عدد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام كما نقلته الشيعة الإمامية، ولم تنكر ما تضمّنه الخبر فهو أول دليل على أن اللَّه تعالى سخَّرهم لروايته إقامةً لحجته، وإعلاء لكلمته، وما هذا الأمر إلَّا كالخارق للعادة، والخارج عن الأمور المعتادة، لا يقدر عليه إلَّا اللَّه سبحانه الذي يذلّل الصعب، ويُقلِّب القلب، ويسهّل العسير، وهو على كل شيء قدير.

وأما استدلال هذا الشيخ الجامد بها على خلافة الثلاثة وعلى والحسين

وبعض من بعدهم من بني أمية وبني العباس ففيه نظر من وجوه:

أما أولًا: فلمنع صحة الحديث الأول، سيما وأول راوية عبداللَّه بن عمر الذي لم يعمل بحديثه أبو حنيفة قطّ كما مر سابقًا، بشهادة أبي المعالي الجويني الشافعي، والذي لم يعرف من غاية الجهل كيفية طلاق امرأته، والذي قعد عن بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم جاء بعد ذلك إلى الحجاج فطرقه ليلًا وقال: هات يدك أبايعك لأمير المؤمنين عبد الملك، فإني سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من مات وليس عليه بيعة إمام فموتته جاهلية»، فأنكر عليه الحجاج ذلك مع كفره وعتوّه وقال له: بالأمس تقعد عن بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأنت اليوم تأتيني تسألني البيعة من عبد الملك بن مروان، يدي عنك مشتغلة لكن هذه رجلي.

وقد روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين من تلزمه بيعة يزيد بن معاوية ما يتعجّب منه العاقل، فمن ذلك في المتّفق عليه من الحديث الحادي والثمانين عن نافع قال: لما خلع أهل مدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال: إني سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لكل غادر لواء يوم القيامة»، وإنَّا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة اللَّه ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجل على بيعة اللَّه ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم رجلًا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلَّا وأنه الفيصل بيني وبينه هذا لفظه، أفما كان علي بن أبي طالب وولده عليهم السلام أو أحد من بني هاشم يجرون مجرى يزيد في أن يبايعه إن هذا من الطرايف..!

وأما ثانيًا: فلأن ما في روايته عن أبي داود من وصف الاثني عشر، بكون كلهم مجتمعًا عليه الأمة، مخل في مطلوبه؛ لأن أحدًا من الخلفاء

الثلاثة بل الأربعة، لم يجتمع عليه الأمة اجتماعًا حقيقية شرعية، بل تخلّف عن كل واحد جماعة، وإنما ثبت خلافتهم عند أهل السنة ببيعة الواحد والاثنين كما مر. وإن أراد بذلك الاجتماع اللغوي فعلى تقدير تحقّقه في بعضهم، فهو لا يصلح إمارة على الخلافة الحقيقية حتى يليق من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل ذلك إمارة عليه، وبهذا يضعف كلام قاضيهم وشيخ إسلامهم كما يظهر عند التامّل.

وأما ما ذكره شيخ إسلامهم من أن المراد بإجماعهم انقيادهم لبيعته، فهو اصطلاح جديد منه في رسم الإجماع، ومع ذلك لا يؤدّي إلى طائل، على أن حصول الانقياد الباطني في ذلك للثلاثة وإضرابهم غير مسلَّم كما مرَّ.

وأما ثالثًا: فلأنه يلزم على تأويل قاضيهم أن يكون معاوية الباغي، وجروه الخمّير الغاري، داخلًا في الخلفاء الذين يكون الإسلام بهم عزيزًا.

وممَّن افتخر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجودهم بعده، وفساد ذلك ظاهر جدًّا، هذا مع اعتراف محققي الجمهور بأن معاوية وجروه لم يكونا من الخلفاء بل كانا من ملوك الإسلام، وكذا الكلام في ابن الزبير فقد قال ابن عبد البر الشافعي في كتاب الاستيعاب: «إنه كانت فيه خِلال لا يصلح معها للخلافة؛ لأنه كان بخيلًا ضيق العطن، سيِّئ الخلق، حسودًا كثير الخلاف، أخرج محمد بن الحنفية ونفى عبداللَّه بن العباس إلى الطائف «وقال علي بن أبي طالب (كرم اللَّه وجه): «مازال الزبير يعدّ مِنَّا أهل البيت حتى نشأ عبداللَّه، انتهى».

ومع ظهور بغيه وفساده لم يلحقه الندامة على ذلك أصلًا، وكان مصرًا على عداوة أهل البيت عليهم السلام حتى ذكر في كتاب كشف الغمة وغيره: «أنه في أيام إمارته كان يخطب ولا يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقيل له في ذلك فقال: إن

له أُهيل سوء إذا ذكرته أشروا وشمخوا بأنوفهم»، وأيضًا يلزم خلو الأزمنة الفاصلة بين الخليفتين الصالحين المنتجبين لهم من بني أمية وما بعد تمام الاثني عشر منهم عن الخليفة والإمام، فيلزم عليهم أن يكون الأحكام المنوطة على آراء الخلفاء خصوصًا عند الشافعي معطلة في تلك الأزمنة الخالية، وهو كما ترى.

وأما رابعًا: فلأن قوله: «لم ينتظر للحسين أمر، بل قتل قبل ذلك» مدخول بأن الحسين عليه السلام كان إمامًا معصومًا ولطفًا عظيمًا من الحق سبحانه إلى الخلق، وهم اختاروا النار، بإطفاء نوره في هوى يزيد الخمّار، كما أن زكريا ويحيى كانا لُطْيفن من اللّه تعالى إلى الخلق، واختار الخلق في قتلهما الضلالة على الهدى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[1].

ولقد اتّضح بما قرّرناه بقاء هذه الأحاديث صريحة في أن خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونقباء هم الأئمة الاثنا عشر من أهل البيت عليهم السلام كما أشرنا إليه سابقًا، وأن كل ما نقله هذا الشيخ إلَّا برد من التأويلات الباردة لا يوجب برد الخاطر، ولقد أنصف حيث شهد بما ذكرنا المولى فصيح الدين الدشتبياضي الذي كان أستاذ الأمير عليشير المشهور في رسالته الموسومة بإلجام البغاة وإلزام الغلاة حيث قال: وقد أشكل على مفهوم الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»، وفي رواية: «لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»، قال في شرح المشارق والمصابيح: «يريد بهذا الأمر الخلافة، وأما العدد فقيل: ينبغي أن يحمل على العاملين منهم، فإنهم إذا

(١) سورة البقرة، الآية ١٦.

كانوا على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطريقته يكونون خلفاء، وإلَّا فلا. ولا يلزم أن يكون على الولاء هذا ما قالوه لكن لامتنع فيه، واللَّه أعلم بما هو المراد منه». انتهى كلام النصيح.

وكفى بهم نصح النصيح، لمن سلك الاعوجاج الفضيع.

وممَّا ينبغي أن يُنبّه عليه أن قوله: «ولكن لامتنع فيه» قد وقع على سبيل رعاية الأدب لأصحابه، وإلَّا فبطلانه ظاهر جدًّا كما عرفت.

والحاصل أنه إن اعتبر خلافة اثني عشر على الولاء يلزم أن يكون معاوية الباغي، وجروه الغاوي، والوليد الزنديق المرتد المريد، المستهدف للمصحف المجيد، وأمثالهم من الخلفاء والأئمة الذين يكون بهم الإسلام عزيزًا، وهذا ممَّا لا يتفوَّه به مسلم. وأيضًا يلزم أن تكون الأحكام المنوطة على آراء خلفاء الدين خصوصًا على مذهب الشافعي معطّلة بعد انقضاء هؤلاء الاثني عشر إلى يوم الدين، وإن لم يعتبر ذلك واعتبر انتخاب العادلين منهم فمع لزوم خطئهم في بعض الانتخاب يلزم خلو الأزمنة الفاصلة بين الخليفتين العاملين منهم عن الخليفة والإمام، مع ما يلزم ذلك من تعطيل الأحكام كما مر فتدبّر.

قلق بني العباس
من حديث الاثني عشر

بنو العباس يتحسّبون للإمام الذي سيكون بعد الإمام العسكري، حيث الروايات مشهورة (الأئمة اثني عشر)، ولا تنطبق إلَّا على أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث «اتفقت أحاديث الشيعة والجمهور في تعيين عدد الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم اثنا عشر، وأحاديث الشيعة صريحة في حصرهم باثني عشر، وأنهم لا يزيدون ولا ينقصون عن ذلك، وأما أحاديث جمهور السنة المتضمّنة للعدد المذكور، فهي ظاهرة في ذلك أيضًا؛ لأنها واردة في بيان عدد الأئمة... حديث عبداللَّه بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يكون بعدي من الخلفاء عدّة نقباء موسى» بناء على ما هو المعلوم من أن نقباء موسى اثنا عشر، فإنه كالصريح في التطابق بين خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونقباء موسى عليه السلام المذكورين»[1].

لقد «كانت السلطة عازمة على قتل الإمام الثاني عشر، وكثيرًا ما دُوهمت دار الإمام الحسن العسكري وفُتِّشت بحثًا عن الإمام الثاني عشر ممّا دعاه إلى الاختفاء والغيبة»[2].

(١) في رحاب العقيدة، محمد سعيد الحكيم، ص١٦٠.
(٢) أنصار الحسين عليه السلام، محمد مهدي شمس الدين، ص١٧٢.

فإذا كان الإمام العسكري وهو الحادي عشر فمن سيكون الإمام الثاني عشر؟ ومن يصلي علي الإمام العسكري هو من سيكون الإمام الثاني، فأن يصلي الإمام على والده في ظروف خطرة وبحث وتدقيق من قِبل دولة بني العباس فهذه مسألة حسّاسة، فما كان قصد الإمام عجل الله فرجه لهذا الظهور المفاجئ له، وماذا يريد أن يبلغ الناس؟

الجواب واضح: يريد أن يشير إلى الناس بأنه الإمام الثاني عشر الذي جاءت الروايات تؤكد عليه، وأنه الإمام من بعد والده، مع أن الظروف صعبة وغير عادية فإنه يتقدّم المصلين ويزيح عمه، والخبر سيصل إلى الخليفة العباسي أن هناك من صلّى على الإمام العسكري عليه السلام.

فالإمام عجل الله فرجه أراد أمرين:

الأول: أن يكشف للناس أنه الإمام من بعد والده.

الثاني: أراد الإمام أن يكشف بظهوره أنه موجود، وظاهر، وهو الوصي الحقيقي من بعد والده الإمام العسكري عليه السلام.

والأمر الأهم إبراز دور الرعاية الإلهية للإمام الحجة، وأنه مع كل هذه الظروف الصعبة التي مرّت عليه أثناء ولادته وإخفاء أمر الولادة وملاحقة الدولة العباسية له لكن العناية الإلهية حفظته إلى أن صلَّى على والده.

وتشير الأخبار إلى أن الخليفة العباسي المعتمد بعث جلاوزته فور وصول وفاة الإمام العسكري عليه السلام إلى بيت الإمام عليه السلام في سامراء لتفتيش داره، بجميع حجرها بحثًا عن ولده، واصطحبوا معهم نساء يعرفن الحبل لفحص جواريه عليه السلام، وكل ذلك قبل تهيئة الجسد الطاهر للصلاة عليه.

إقصاء جعفر عن عن الصلاة أطفأ فتنة:

إن ظهور الإمام عليه السلام مع الظروف الخطرة منع عمه جعفر من الادّعاء الكاذب أنه الإمام من بعد الإمام العسكري عليه السلام، واستغلال هذا الموقف.

الموقف كان صعبًا؛ لأن الإمام صغير السن، والخليفة العباسي يبحث عنه، فأن يظهر الإمام عليه السلام ليبيّن للمؤمنين أنه هو الإمام، وأن عمه ليس له دور ولا نصيب في الإمامه، وأنه يدّعي النيابة كذبًا، فهذه المسألة كانت حساسة. وتتضح أهميتها من خلال ملاحظة الجهود المستميتة التي بذلها عمّه جعفر لكي يدّعي الإمامة.

لقد بذل جعفر جهود بالتعاون مع الخليفة المعتمد العباسي من أجل تحقيق ذلك، وممّا قام به جعفر أنه شجّع المعتمد العباسي ليفتّش بيت الإمام العسكري عليه السلام بحثًا عن ولده المهدي، فاعتقل عمّال المعتمد جارية للإمام العسكري لتبوح بمكانه، كما ادّعى جعفر الكذّاب أنه يرث الإمام.

ولكن ظهور الإمام عليه السلام في هذا الظرف الصعب، وتقدّمه للمصلين للصلاة على والده العسكري عليه السلام، أفشل جهود عمّه بالكامل وإزاحه، وقال له: تنحَّ له يا عم، أنا أحق بالصلاة على والدي. على أن جعفرًا استعان بالبلاط العباسي، والمشكلة الأخطر أنه أنه وشى بالإمام عليه السلام، وكان عنده نشاط محموم ليوصل خبرًا إلى الخليفة العباسي.

عناية اللَّه حفظت الإمام الحجة كما هي الآن ترعى الحجة عجل الله فرجه مع الظروف الصعبة التي يعيشها.

قال رسول اللَّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي من ولدي، تكون له غيبة وحيرة

تضل فيها الأمم، يأتي بذخيرة الأنبياء عليهم السلام، فيملؤها عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا».

شهادة الإمام العسكري عليه السلام تربك العباسيين:

الإمام العسكري استشهد سنة ٢٦٠هـ، واستلم الإمام الحجة مهام الإمامة في ظروف خاصة جدًّا، وذكرنا أنه عرَّف الموالين أنه الإمام من بعد والده، وأنه الإمام الثاني عشر، وأن من أهم المهام التي قام بها الإمام وهو ابن خمس سنوات الصلاة على والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام مع الخُلَّص من شيعته.

وفي الروايات كان عددهم تسعة وثلاثين أو أربعين، صلَّى عليه في البيت، ثم بعد ذلك صُلِّي عليه الصلاة (الرسمية) من قِبَل أركان المعتمد العباسي. تقول الرواية: «فلما ذاع خبر وفاته، صارت سر من رأى ضجة واحدة: مات ابن الرضا، ثم أخذوا في تجهيزه، وعطّلت الأسواق، وركب بنو هاشم والقواد والكتّاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذٍ شبيهًا بالقيامة، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتّاب والقضاة والمُعدَّلين، وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد الرضا مات حتف أنفه على فراشه، وحضره من خدم أمير المؤمنين فلان وفلان، ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطّى وجهه وصلَّى عليه، وكبّر خمسًا، وأمر بحمله، فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه عليه السلام»[1].

(١) أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج٢، ص٤٣.

الإيمان بالمهدي إيمان بالغيب

عن داود الرقي، عن أبي عبداللَّه عليه السلام في قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ قال عليه السلام: «من أقرَّ بقيام القائم أنه حقّ»[١].

وعن يحيى بن أبي القاسم قال: «سَأَلْتُ الصَّادِقَ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عز وجل: ﴿**الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ فَقَالَ: الْمُتَّقُونَ شِيعَةُ عَلِيٍّ عليه السلام. وَأَمَّا الْغَيْبُ فَهُوَ الْحُجَّةُ الْغَائِبُ. وَشَاهِدُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾»[٢].

قال الفخر الرازي في تفسيره: «قال بعض الشيعة: المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد اللَّه تعالى به في القرآن والخبر، أما القرآن فقوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾، وأما الخبر فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل اللَّه ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا».

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٤٣، حديث ٢٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٤٣، حديث ٢٩.

واعلم أن تخصيص المطلق من غير الدليل باطل»[١].

قال آية اللّه العظمى المرجع الديني الشيخ حسين الوحيد الخراساني ردًّا على كلام الرازي هذا: «ومن الواضح أن الرازي يسلّم بدلالة القرآن على المهدي عليه السلام، وأن الإيمان بالغيب يشمل الإيمان، ولكنه تصوّر أن الشيعة يجعلون الإيمان الغيب مختصًّا به فأورد عليهم بما ذكر، وغفل عن أن الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام عندهم من مصاديق الإيمان بالغيب، وليس الغيب محصورًا به».

«والإيمان الغيب عنصر أساسي في جميع الشرائع السماوية، ولو انتزع هذا العنصر عن الدين الإلهي لأصبح دستورًا عاديًّا شبيهًا بالدساتير والأيديولوجيات المادية البشرية التي لا تمتُّ إلى الخالق والمدبّر لهذا الكون بصلة. ولأجل ذلك نرى أنه سبحانه يَعُدّ الإيمان بالغيب في طليعة الصفات التي يتّصف بها المتقون إذ يقول عزّ من قائل: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[٢].

وقد كان أصحاب الشرائع وأنصارها، وفي مقدّمتهم علماء الإسلام، محتفظين بهذا الأصل، معتصمين به أشدّ الاعتصام، مؤكّدين عليه غاية التأكيد، باعتبار أنه الفارق الجوهري بينهما، وبين الأنظمة البشرية»[٣].

والغيب يمكن تفسيره بما غاب عن الحواس ممّا يُعلم بالدليل والبرهان كالإيمان بالمهدي الإمام الثاني عشر من آل البيت عليهم السلام.

---

(١) تفسير الرازي، ج٢، ص٢٨.
(٢) سورة البقرة، الآية ٣.
(٣) الإلهيات، حسن محمد مكي العاملي، ج٣، ص٨٧.

ونقل بعض علماء العامة في تفاسيرهم أن معنى الغيب في الآية (المهدي المنتظر) نقلًا عن الشيعة أو بعض الشيعة. ولا يختلف أحد من علماء الشيعة في أن من الإيمان بالغيب قيام القائم عليه السلام.

فالإيمان بالغيب صفة للمؤمن، فحاله في الغيب كحالة في الحضور لا كالمنافقين الذين قال فيهم الباري عز وجل: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[1]، وكما قال يوسف عليه السلام: ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**﴾[2]، وجاءت النصوص في مدح المؤمن كون ظاهره كباطنه.

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[3]، وهذا معنى عام يشمل كل المعتقدات الدينية، وبالأخص المعتقدات الغيبية.

(١) سورة البقرة، الآية ١٤.
(٢) سورة يوسف، الآية ٥٢.
(٣) سورة البقرة، الآية ٤.

لولا المهدي عليه السلام لساخت الأرض

عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «قُلْتُ لَهُ: أَتَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟ فَقَالَ: لَا. قُلْتُ: فَإِنَّا نُرَوَّى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهَا لَا تَبْقَى بِغَيْرِ إِمَامٍ إِلَّا أَنْ يَسْخَطَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ أَوْ عَلَى الْعِبَادِ، فَقَالَ: لَا تَبْقَى إِذًا لَسَاخَتْ»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو بقيت الأرض يومًا بلا إمام منا لساخت بأهلها»[2].

كثير من الروايات والأخبار ربطت بين بقاء الأرض بأمن وأمان بوجود المعصوم عليه السلام. فما هي علاقة وجود المعصوم عليه السلام بعدم خسف الأرض وجعلها أرضًا صالحة للحياة البشرية؟

«معنى قوله عليه السلام: «لساخت» أي لغاصت في الماء وغابت، ولعله كناية عن هلاك البشر وفنائهم. ويحتمل أن يريد الحقيقة؛ لأن الغرض الأصلي من انكشاف بعض الأرض هو أن يكون مسكنًا لهم وكونه مسكنًا لغيرهم من

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٢٠٢.
(٢)كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص: ٢٠٤.

الحيوانات المتنفسة إنما هو بالعرض، فإذا فات الغرض الأصلي عاد إلى وضعه الطبيعي».

«وأنكر السيد المرتضى -قدّس سره الشريف- في الشافي أن يكون مذهب الإمامية زوال الأرض وهلاكها تكوينًا>

أما قولهم: «لولا الحجة لساخة الأرض» فإن ثبت صدوره من الإمام المعصوم كان المراد الفتنة والضلال وهلاك الناس بزوال الأمن والسعادة؛ لأن عدم وجود الإمام العادل التصرّف إما أن يكون بعدم وجود أمير مطلقًا وفساده ظاهر، وأما بوجود جائر وجاهل وهو مثله. وقد بحث في هذه المسألة بعض الفلاسفة في كتاب السياسة المدنية للفارابي البحث عن أنواع المدينة وأقسام الحكومات وذكر شروط المدينة الفاضلة وآراء أهلها وأخلاقهم».

وقال: «والمدينة الفاضلة تضادها المدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة الضالة»[1].

وهذا الاختلاف في الجواب -في أجوبة العلماء- يعود إلى أصل الاتفاق بينهم في أن الإمام عليه السلام ووجوده حيًّا أمان للأرض ولأهلها من الهلاك والفساد والدمار الشامل بمعنييه المادي والمعنوي؛ لأن البشرية عاجزة عن تحقيق الأمن والأمان والسعادة، والتجارب البشرية على مرّ التاريخ أثبتت فشلها في تحقيق ذلك؛ لهذا القاعدة الثابتة منذ أن خلق اللَّه تعالى الأرض ومعها خلق الإنسان أوجد مع البشرية في كل زمان إما نبي أو وصي، وإلى يومنا هذا لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة.

---

(١) شرح الكافي، المازندراني، ج٥، ص١٢٦.

روي عن الإمام عليه السلام أنه قال: «لو بقيت الأرض يومًا واحدًا بلا إمام لساخت الأرض بأهلها، ولعذبهم اللَّه بأشد عذابه. إن اللَّه تبارك وتعالى جعلنا حجة في أرضه، وأمانًا في الأرض لأهل الأرض، لن يزالوا بأمان من أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهرهم، فإذا أراد اللَّه أن يُهلكهم ثم لا يُمهلهم ولا ينظرهم ذهب بنا من بينهم ورفعنا إليه، ثم يفعل اللَّه تعالى بهم ما شاء وأحب».

وقال الإمام علي عليه السلام: «لا تخلو الأرض من قائم للَّه بحجة إما ظاهرًا مشهورًا، وإما خائفًا مغمورًا».

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**﴾[1].

فحسب الظاهر من هذه النصوص والروايات يظهر أمران:

الأول: الهلاك والدمار الشامل للبشرية.
الثاني: الفساد والانحراف والانحلال الخلقي والفكري والسلوكي.

فالمعنى الأول: لا يتحقّق لوجود الإمام بين ظهرانينا وإن كان تحقّقه الجزئي واضح بسبب الطمع والجشع وحب المادة والثروة لدى البشر.

والمعنى الثاني: متحقّق بالفعل؛ لأن الإمام غائب، والحجة غير مطاع من قبل البشرية؛ لذا الفساد بمعناه العام متحقّق، وفي حالة من التطوّر والنمو على المستوى العالمي.

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

لفتة آل طوق:

قال الشيخ أحمد آل طوق القطيفي: «الأخبار بأن الحجّة يُرفع قبل القيامة بأربعين يومًا كثيرة، لا نطوّل بتتبعها. فإذا ضممتها إلى ما دلّ على أن القائم عجّل الله فرجه يُقتل ويموت، وإلى ما دلّ على أن ملكه سبع سنين أو تسع عشرة سنة أو ثلاثمائة وتسع عشرة سنة.

وهي أكثر ما وقفت عليه في سنيّ ملكه، وجدتها دالَّة ناطقة بلسان فصيح برجعة أهل البيت، وإلَّا لزم إمّا خلوّ الأرض من حجّة منهم، أو أن القيامة بعد قيام القائم بأربعين سنة، بعد ما ذكر من مدّة ملكه، وأنه يرفع، لا يموت ولا يقتل، فيلزم طرح الآيات والروايات المستفيضة بأن كلّ مؤمن له قتلة، بل الضرورة الحاكمة بما صرّح به في الكتاب من أن ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ فإمّا أن نقول بالرجعة أو نطرح تلك الأدلَّة الصريحة عقلًا ونقلًا، أو نقول بالمحال، فتفطَّن. والإشارة تكفي الحرّ، والاستعجال صدّ عن زيادة البيان»[1].

(١) رسائل آل طوق القطيفي، ج١، ص١١٢.

الولاية المهدوية

«الولاية -بمعنى التصرف والاستيلاء على الشخص أو الأمر- إما تكوينية، وإما تشريعية. والتشريعية إما قهرية كولاية الأب على ابنه الصغير قهرًا عليه، وإما اختيارية كولاية حاصلة من اختيار الناس وتوليتهم من له أهلية الولاية بالبيعة له.

ولا يخفى ثبوت الولاية التكوينية والتشريعية بمرتبتهما الكاملة للَّه -تعالى-.

ويوجد لرسول اللَّه ﷺ بل لجميع الأنبياء أو أكثرهم، وكذا الأئمة المعصومين -سلام اللَّه عليهم أجمعين-، بل لبعض الأولياء الكرام -أيضًا- مرتبة من الولاية التكوينية، بحسب ارتقاء وجودهم وتكاملهم في العلم والقدرة النفسانية والإرادة والمشيئة، والارتباط باللَّه -تعالى- وعناية اللَّه بهم. إذ جميع معجزات الأنبياء والأئمة وكرامات الأولياء نحو تصرُّف منهم في التكوين، وإن كانت مشيئتهم في طول مشيئة اللَّه وبإذنه.

هذا مضافًا إلى أن النبي ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام خلاصة العالم وثمرته.

فمثل عالم الطبيعة بمراحله كمثل أشجار غرسها غارسها وسقاها وربّاها، لتثمر له ثمارًا حلوة جيدة، فالثمرة العالية غاية وجود الشجرة ومن عللها. فالنبي الأكرم والأئمة المعصومون ثمرة العالم في قوس الصعود وغايته، وإن كان غاية الغايات هو اللَّه -تعالى- بذاته المقدّسة، كما حُقّق في محله.

وأما ما نُسب إلينا من الاعتقاد بكون العالم مخلوقًا للأئمة عليهم السلام لا للَّه -تعالى- فبهتان عظيم.

وكيف كان، فأصل الولاية التكوينية بنحو الإجمال ثابتة لهم بلا إشكال، وإن لم نُحط بحدودها»[1].

والشيعة في معنى الولاية والتفويض للأئمة عليهم السلام مختلفون إلى مذاهب:

الأول: الولاية على الدين والشريعة:

في بيان الأحكام الشرعية الموكولة للمعصوم عليه السلام وجعل بعض الأحكام فإن التفويض بمعنى جاعل الشرع يصح إطلاقه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه «بهذا المعنى يصدق عليه في الجملة لثبوت التفويض إليه صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الأحكام، كالزيادة في أعداد الصلاة المكتوبة، وجعل النافلة في الصوم والصلاة ضعف الفريضة، وإطعام الجد السُّدس، وتحريم المسكر عدا الخمر ونحو ذلك.

وهذا ليس من التفويض الباطل الّذي قال به الطائفة الضالّة الموسومة

(١) نظام الحكم في الإسلام، المنتظري، الشيخ حسين علي، ج١، ص٤٣ - ٤٤.

بالمفوّضة، كتفويض أمر الخلق إليه، أو تفويض الرزق إليه دون الخلق، أو تفويض أفعال العباد إليهم على الاستقلال، بل هو تفويض صحيح ورد به أخبار أهل العصمة، وقد عقد الشيخان الجليلان أبو جعفر محمّد بن الحسن الصفّار القمّي، وأبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي، لذلك بابًا في جامعيهما البصائر والكافي، وأوردا فيهما كثيرًا من الروايات المعتبرة الّتي هي نصّ في المطلوب»[١].

الثاني: الولاية على الخلق والخليقة:

قال الإمام الرضا عليه السلام: «نَحْنُ سَادَةٌ فِي الدُّنْيَا وَ مُلُوكٌ فِي الْأَرْضِ»[٢].

وعن أبي الحسن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: أَخْبَرَنِي جَبْرَئِيلُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حُجَّتِي عَلَى خَلْقِي، وَدَيَّانُ دِينِي، أُخْرِجُ مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةً يَقُومُونَ بِأَمْرِي، وَيَدْعُونَ إِلَى سَبِيلِي، بِهِمْ أَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ عِبَادِي وَإِمَائِي، وَبِهِمْ أُنْزِلُ مِنْ رَحْمَتِي»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[٤]، وقوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ**

(١) تعليقة على معالم الأصول، السيد علي القزويني، ج٢، ص٢٥٤.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص ٥٧.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص ٥٦.
(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.

﴿الْخِيَرَةُ﴾[١]، فهاتان الآيتان دالَّتان على وجوب الطاعة المطلقة للمعصوم، كما ورد في زيارة الجامعة: «من أطاعكم فقد أطاع اللَّه، ومن عصاكم فقد عصى الله»، مما يعني أن لدى المعصوم مطلق الولاية.

ويرى الإمام الخوئي رضوان اللَّه تعالى عليه: «ولاية اللَّه مطلقة بإطلاق ذاته، وولاية الرسول متّسعة باتّساع نبوته وخاتميتها، وولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام قائمة على مستوى إمامتهم»[٢].

وما ورد في التوقيع الصادر عن مولانا صاحب العصر والزمان صلوات اللَّه عليه المروي في غيبة الشيخ الطوسي وفي كتاب احتجاج الطبرسي باب التوقيعات: «فلن يوحشنا من قعد عنا ونحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا»، بالطبع لا بمعنى نخلق الناس أو أن العالم مخلوق للأئمة. يقول الشيخ محمد جواد مغنية تعليقًا على ما جاء في نهج البلاغة: «فإنَّا صنائع ربّنا، والناس بعدُ صنائعنا»: «إن اللَّه سبحانه مَنَّ علينا نحن الهاشميين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبه ختم النبوة والنبيين، وإذن فنحن أهل الفضل على الناس برسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور، ولا فضل لأحد علينا سوى اللَّه، فهو وحده مصدر هدايتنا، أما غيرنا من المسلمين فهدايته بنا، فالفضل لنا بمحمد على أمة الإسلام، ولها بمحمد وأهل بيته الفضل على سائر الأمم»[٣].

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.
(٢) موسوعة الإمام الخوئي، مقدمة ج١، ص١٣.
(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ج٣، ص٤٧٠.

صفات المهدي

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الْمَهْدِيُّ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِي وَجْهُهُ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ»[١].

وقال علي عليه السلام: «وَالْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَر»[٢].

هناك نوعان من الأدلة في إثبات صفات المهدي:

الأولى: الأخبار والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام.

الثانية: حكاية ممَّن شاهده وادّعى رؤيته، سواء في الغيبة الصغرى أو الغيبة الكبرى.

الأولى قطعية، والثانية ظنية.

أما الروايات والأخبار فقد تكلّمت عن الصفات المهدوية في أمرين أساسيين:

الأول: صفاته النبوية.

الثاني: صفاته الشخصية المميّزة له عن غيره من الخلق.

---

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٥١، ص ٨٠.

(٢)بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٩٠، ص ٢١.

قد يتساءل البعض عن أهمية ذكر الصفات المهدوية ومدى أثرها في البحث، وانعكاساتها على العقيدة بالمهدي.

يمكن أن نوجز أهمية ذكر صفات الإمام المهدي في النقاط التالية:

أولًا: إن معرفة الإمام المهدي لا تقتصر على الجانب الخاص بالعقيدة فحسب، بل هناك جانب مهم من المعرفة، وهي المعرفة الشخصية بما فيها من صفات خلقية وأخلاقية؛ لأن معرفة حقائق الشخص تزيد الإنسان شوقًا وحبًّا وقربًا إليه.

وهذه الحالة فطرية ينجذب إليها الإنسان لكل من يحبّ، فكيف بالمحبوب الأكمل، ومن اعتقد بإمامته وولايته.

ثانيًا: بيان صفاته عليه السلام يعدّ بيانًا للعلاقة الوراثية بين المهدي عليه السلام وجدّه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وآبائه الأطهار عليهم السلام، ممَّا يعني أن لوراثة الصفات الخَلقية والخُلقية دورًا كبيرًا في إبراز تلك الصفات وإظهارها على ملامح الشخصية، ممّا يوثّق العلاقة والارتباط بين من طهّرهم وعصمهم وجعلهم خلفاء في خلقه، وأئمة في عباده.

ثالثًا: ذكر الوصف والشَّبَه بين المهدي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخصوص ليس مجرَّد تشابه بالشكل والوراثة، بل يعطينا تصوّرًا أعمق في فهم الترابط النسبي والعقائدي بينهما.

في رواية النعماني في الغيبة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وَسَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلًا بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ يُشْبِهُهُ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُق»[1].

(١)الغيبة للنعماني، ص ٢١٤.

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَرَانِي الْخَلَفَ مِنْ بَعْدِي، أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم خَلْقًا وَخُلْقًا»[١].

«الخُلُق في اللغة: السجية، والطبع، والعادة، والمروءة، والدين. وهو في اصطلاحنا: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية.

والخلق الكريم في فلسفة الأخلاق هو أن يملك الإنسان نفسه، وأن يكون سلوكه ثابتًا ومتماسكًا، وأن يتّصف بالعزم.

والخُلق العظيم عند السالكين هو الإقبال على اللَّه تعالى»[٢].

وكل هذه التعريفات في علم الأخلاق والسلوك قاصرة في حق المعصوم عليه السلام النبي وآله، ولهذا أعظم شيء في تعريف خُلُق المعصوم عليه السلام ما قاله رب العالمين: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٣] فكل ما اتّصف به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صفات الأخلاق العظيمة قطعًا يتّصف بها المهدي عليه السلام.

أما شبهه في الخلق فهو كما نُصَّ عليه في الروايات، أشبه الناس به من حيث المادة البدنية والحركية ومواصفات الجسم، عن عبداللَّه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، وخُلُقه خُلقي، فيملؤها قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا»[٤].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤٠٩.
(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج١، ص٥٤٠.
(٣) سورة القلم، الآية ٤.
(٤) المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، ابن حبان البستي، ج٤، ص١٥٧، حديث ٤٩٦٨.

وممَّا يفهم من النص أنه يُعطينا صلاحية تطبيق صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شخص المهدي عليه السلام؛ ولذا البحث عن صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأخبار والروايات لدى الفريقين يُعمّق معرفتنا بالإمام المهدي أكثر، ممَّا يؤكّد لنا حقيقة التشابه في الصفات بين المهدي والنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

مثال ذلك ما قاله الإمام الحسن عليه السلام في وصف جدّه صلى الله عليه وآله وسلم: «كثّ اللحية، عريض الصدر، طويل العنق، عريض الجبهة، أقنى الأنف، أفلج الأسنان، حسن الوجه، قطط الشَّعر، طيّب الريح، حسن الكلام، فصيح اللسان»[١]، فهذه الصفات كلها تنطبق على مولانا المهدي عليه السلام وغيرها؛ لأنه «أشبه الناس برسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم خلقًا وخُلُقًا»، فكل صفة وردت في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم تنطبق على المهدي عليه السلام إلَّا ما اختصّ به صلى الله عليه وآله وسلم.

رابعًا: النص أوجب علينا معرفته، أو قُل: «أوجب علينا طاعته، وكل ما يفترض طاعته يجب معرفة صفاته لئلَّا يشبه بغير صفاته، وليعلم أن اللازم من تحصيل المعرفة بصفاته الخاصة ما يمتاز به عن غيره، بحيث يفرق به بين المحقّ والمبطل في دعواه، كما لا يخفى»[٢].

عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «من شكّ في أربعة فقد كفر بجميع ما أنزل اللَّه تبارك وتعالى، أحدها: معرفة الإمام في كل زمان وأوان بشخصه ونعته»[٣].

وأما الحديث عن صفاته عليه السلام كما ورد في الأخبار والروايات فهي

---

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج١٠، ص ١٣٤.
(٢) مكيال المكارم، ميرزا محمد الأصفهاني، ج٢، ص١٢٣.
(٣)كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤١٣.

على صنفين:

الأول: صفاته صفات الأنبياء.

الثاني: صفاته التي تميّز بها خاصة.

قال ﷺ: «الْمَهْدِيُّ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِي وَجْهُهُ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ».

الكوكب الدري عند العرب: الشديد الإنارة، نُسب إلى الدرر، وشُبِّه صفاؤه بصفائها، وفي الآية ﴿**كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ...**﴾[1].

وصف من رآه بالمشاهدة:

هناك روايات تتكلّم عن بعض من رآه من خواص الشيعة، وقد وصفوا الحجة عليه السلام، ولأن الإمام المهدي عليه السلام عاش مع أبيه خمس سنوات فقد رآه خُلَّص أصحاب الإمام العسكري، ومعلوم أن الإمام عليه السلام صلّى مع الخُلَّص من الشيعة على والده العسكري عليه السلام، ممّا يعني أن الذين صلّوا معه قد رأوه ووصفوه.

ومما روي أن الإمام العسكري عليه السلام اجتمع مع خُلّص الشيعة الثقاة وكان في الاجتماع أربعون من خُلّص الشيعة، جاؤوا ليسألوا عن الإمام الحجة، ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بجوابهم، بل أحضره وأخرجه لهم، قالوا: «فإذا غلام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد».

وعن أحمد بن إسحاق، وهو من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام وأمره بالوثوق معروف، سأل الإمام العسكري: «فمن الإمام والخليفة بعدك؟».

(١) سورة النور، الآية ٣٥.

هذا بعد ولادة الإمام الحجة عليه السلام. تقول الرواية: «فنهض الإمام العسكري عليه السلام مسرعًا فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنه وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين».

وفي سؤال يعقوب بن منقوش الإمام العسكري عليه السلام قال: «يا سيدي، من صاحب هذا الأمر؟

فقال عليه السلام: ارفع الستر فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي، أي طوله خمس أشبار، له عشر أو ثمان ونحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دُرّي المقلتين، شَثْن الكفين، معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة»[1].

دري المقلتين: أي يتلألآن.
وشثن: الكفين: أي قويان شديدان مفتولان.
معطوف الركبتين: كناية عن عظمهما.
والذؤابة: ما ظهر من الشعر.

والنائب عثمان العمري وصف الإمام عليه السلام بقوله: «رأيته وعنقه هكذا، وأشار بيده، يريد أنها أغلظ الرقاب كمالًا».

وهذه إشارة إلى أن الإمام بلغ مبلغ الرجال في الخِلقة.

والوكيل الثاني محمد بن عثمان تحدّث -أيضًا- عن الحجّة عليه السلام فقال: «آخر عهدي به عند بيت اللّه الحرام يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني».

وقال: «رأيته متعلّقًا بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللهم انتقم

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤٠٧.

لي من أعدائك».

وسأل عمر بن الخطاب الإمام علي عليه السلام عن المهدي فقال عليه السلام: «شاب مربوع، حسن الوجه، حسن الشَّعر، يسيل شعره على منكبيه، ويعلو نور وجهه سواد لحيته ورأسه، بأبي ابن خِيَرة الإماء».

مقدمة في مفهوم الغيبة ومعناها

ماذا تعني الغيبة؟

تعني أن الحجة عجل الله فرجه موجود ولكنه مستتر لا يراه الناس، قد يعرف بعدُ ويُرى، ولكن لا يعرف، وإنما يعرف بعد ذهابه. وسنقرأ في مراحل لاحقة أن هناك من قال: إنه رأى الحجة عجل الله فرجه. فغيبة الحجة عجل الله فرجه لا تمنع من رؤيته، ولكن في الأصل أن الناس لا يعرفون أنه الحجة.

«وقد ذُكرت لمعنى غيبة المهدي صورتان: الصورة الأولى وهي الصورة المتعارفة في أذهان الناس، والتي تقول: إن المهدي عجل الله فرجه يختفي بجسمه عن الأنظار، فهو يرى الناس ولا يرونه إلَّا في بعض الحالات التي تكون هناك مصلحة في ظهوره على بعض الناس من أجل توجيههم أو إنذارهم.

الصورة الثانية وهي صورة خفاء العنوان، والتي تقول: إن الناس يرون الإمام المهدي عجل الله فرجه بشخصه من دون أن يكونوا عارفين أو ملتفتين لحقيقته».

وحول لقاء وليس مجرد رؤية الإمام المهدي عجل الله فرجه يجيب السيد المرجع السيد محمد الشيرازي قدس سره عن سؤال: هل يمكن لنا لقاء الإمام المهدي؟

الجواب: نعم ممكن، أحد العلماء الكبار واسمه الحاج الأشرفي، هذا من كبار علمائنا ومن تلاميذ الشيخ المرتضى الأنصاري صاحب الرسائل، ذلك العالم الزاهد العابد الورع المدقّق المحقّق أحد تلاميذه الكبار من العلماء الزُّهَّاد ويسمّى الحاج الأشرفي، هذا من الخيرين والمجاهدين ومن كل شيء، كان يأمل أن يلتقي مع الإمام الحجة ويلتقي بالإمام.

كتب كتابًا إلى الإمام الرضا عليه السلام: يا بن رسول اللَّه، أستحلفك باللَّه أن تتوصّل عند اللَّه أن اللَّه يأذن للمهدي أن أتشرف بخدمته وأحظى بلقائه، وهذا الكتاب جعله في ضريح الإمام الرضا عليه السلام.

يقول الحاج الأشرفي: لما وضعت هذه الورقة في ضريح الإمام الرضا بعد أيام جاءني إنسان وقال لي -وهو لا يعرف القصة وأنا لا أعرف ذلك الإنسان-: قالوا لي اذهب إلى الحاج الأشرفي، وقل له بيت شعر باللغة الفارسية، معناه: كن مرآة بعد ذلك تكون قابلًا لإلقاء الأشعة وانعكاس الأشعة فيك.

يقول: قال لي إنسان لا أعرفه ولا يعرف القصة، قال لي: إن الذي سألته أجابك بهذا البيت، يمكن لكل إنسان أن يتشرّف بلقاء الإمام المهدي ولكن على شرط أن يكون مرآة صفاء وقار، فنحن بإمكاننا أن نلتقي ونرى الإمام المهدي ولكن على هذا الشرط[1].

العقل غيب فليؤمن بالغَيبة والمغيبات:

هذه الغيبة هل هي أمر اعتيادي؟

كلَّا، ليست أمرًا اعتياديًّا البتة؛ ولذا هي امتحان للمؤمنين، بل هي مظنة

(١) أخذت من محاضرة صوتية له دام عزه.

للامتحان والاختبار والتمحيص، وبعض الناس يسقط في هذا الامتحان. وتشير الروايات إلى أن بعض الناس يتقبّل ونمسألة الغيبة، وآخرون لا يستطيعون تقبّلها، ويتساءلون: كيف لإنسان أن يعيش هذا العمر الطويل والمديد؟!

الغيبة امتحان الناس، يصعب عليهم تحمّل، حتى قال رسول اللّه ﷺ: «إِنَّ الثَّابِتِينَ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ فِي زَمَانِ غَيْبَتِهِ لَأَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ»[١].

وقد أشار القرآن في سورة العنكبوت إلى حتمية الامتحان في الحياة الدنيا فقال: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[٢]، فمن السهل ادّعاء الإيمان ولكن عند الامتحان يُفرز المؤمن من غيره ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[٣].

في رواية كما في ينابيع المودة للقندوزي «يغيب عن شيعته وأوليائه يعني -الحجة عجل الله فرجه- غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلّا من امتحن اللّه قلبه للإيمان».

نعم، هناك من «يستبعد طول العمر، بأن يبقى الإنسان هذه المدة في هذا العالم، وهذا مستبعد كما عبّر سعد التفتازاني، فإن التفتازاني لم يكذّب ولادة المهدي من الحسن العسكري سلام اللّه عليه، وإنما استبعد أن يكون الإمام باقيًا هذه المدة من الزمان، ولذا نرى بعضهم يعترف بولادة الإمام عليه السلام ثم يقول: «مات»، يعترف بولادته بمقتضى الأدلة الموجودة لكنه

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٢٨٨.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٢.
(٣) سورة العنكبوت، الآية ٣.

يقول بموته، لعدم تعقُّله بقاء الإنسان في هذا العالم هذا المقدار من العمر، لكن هذا ينتافى مع «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، حيث قرّرنا أن هذا الحديث يدلّ على وجود إمام في كل زمان. ولذا نرى البعض الآخر منهم يلتفت إلى هذه النواحي، فلا يقول: مات، بل يقول: «لا ندري ما صار»، ولد، إلَّا أنه لا ندري ما صار، ما وقع عليه، لا يعترف ببقائه؛ لأنه يستبعد البقاء هذه المدة، ولا ينفي البقاء لأنه يتنافى مع الأحاديث، يعترف بالولادة فيقول: لا ندري ما صار، وأين صار، وما وقع عليه، مما يظهر أنهم ملتزمون بهذه الأحاديث، ومن التزم بهذه الأحاديث لا بد وأن يلتزم بولادة المهدي عليه السلام ووجوده»[1].

الثابتون على إمامته عجل الله تعالى فرجه الشريف هؤلاء هم المؤمنون، وهم قليل، ولذا تقرأ اليوم في بعض التهريجات التي لا يقبلها العقل على مواقع النت، تدَّعي أن الحجة خرافة، وأن المؤمنين بالمهدي خرافيون وكلام طويل لسنا بصدد الحديث عنه، إلَّا أنه كلام يؤكّد صعوبة هذا الامتحان، وأن الثابتين على الاعتقاد بالحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في غيبته هم الذين امتحن اللَّه قلوبهم للإيمان.

عن ابن عباس قال: «يبعث اللّه المهدي بعد إياس، وحتى يقول الناس: لا مهدي، وأنصاره من أهل الشام، عدّتهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلًا عدّة أصحاب بدر، يسيرون إليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكّة من دار عند الصّفا، فيبايعونه كرهًا، فيصلّي بهم ركعتين صلاة المسافر عند المقام ثم يصعد المنبر»[2].

(١) محاضرات في الاعتقادات، الميلاني، ج١، ص٤٠٨.
(٢) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج٢٩، ص٦١٩.

ومنشأ هذه الريبة ما يراه الناس من الظلم والقتل والمشاكل، وهذا يحصل حتى عند المؤمنين، حتى يقولون: أين المهدي يخلّصنا؟ ويصابون باليأس والقنوط والإحباط، والرواية تقول: «يبعث المهدي بعد أياس حتى يقول الناس: لا مهدي».

فالغيبة ليست أمرًا اعتياديًّا، بل هي أمر فيه امتحان واختبار وتمحيص للمؤمنين.

في الرواية يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي بعثني بالحق بشيرًا ونذيرًا، إن الثابتين على إمامته في زمن غيبته لأعز من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر ابن عبداللَّه فقال: يا رسول اللَّه، وللقائم من ولدك غيبة؟

قال: إي وربّي، ليمحّص اللَّه الذين آمنوا ويمحق الكافرين.

ثم قال: يا جابر، إن هذا أمر من أمر اللَّه، وسر من سر اللَّه، مطوي عن عباد اللَّه، فإياك والشك، فإن الشك في أمر اللَّه عزَّ وجلَّ كفر»[1].

إن ما يكتبه الآخرون ويقولونه يجب ألَّا يدفع الإنسان المؤمن للشك، بل لتكن تساؤلات تجرُّه إلى البحث والتدقيق، ليذهب ويقرأ ويثقّف نفسه عن حياة الحجة عجل الله فرجه الشريف، وعمّا ورد فيه من دليل نقلي ثابت من رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام إلى الإمام العسكري عليه السلام، والحجة عجل الله فرجه الشريف نفسه تحدّث عن غيبته في أكثر من رواية.

ثم إن العقل يثبت ذلك، فنحن نؤمن أن ولادة الحجة ثابتة، والواقع التاريخي يشهد أن الحجة عجل الله فرجه الشريف وُلد، ولم يُبت أحد أن الحجة عجل الله فرجه الشريف مات،

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٢٨٨.

ولم يذكر المؤرخون أن أحد السلاطين قتل الحجة عجل الله فرجه، فهو إذن موجود لا نراه لأنه غائب عن الأنظار.

الغيبة الصغرى والكبرى
الأسباب والمنجزات

المرحلة الأولى في حياة الإمام الحجة التي عاشها في عهد أبيه خمس سنوات من حين ولادته في النصف من شعبان ٢٥٥هـ إلى حين وفاة الإمام العسكري يوم الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ.

عاش الإمام العسكري في سامراء[١] في منطقة عكس تحت الإقامة الجبرية.

والمرحلة الثانية من حياة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بدأت من حين وفاة الإمام العسكري سنة ٢٦٠هـ حتى انتهاء هذه الفترة، وهي مرحلة الغيبة الصغرى سنة ٣٢٩هـ.

بعد انتقال مهام الإمامة للحجة بدأت مرحلة حسَّاسة في حياة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف سنة ٢٦٠هـ إلى سنة ٣٢٩هـ، وهي مرحلة تسمّى الغيبة الصغرى،

(١) سامراء بناها المعتصم سنة ٢٢١هـ لتكون عاصمة دولته، وبعد أن تم بناء المدينة انتقل مع قواته وعسكره إليها، ولم يمضِ إلَّا زمن قليل حتى قصدها الناس وشيّدوا فيها المباني، وبقيت سامراء عاصمة للخلافة العباسية فترة تقرب من ٥٨ عامًا امتدت من سنة ٢٢٠هـ إلى سنة ٢٧٩هـ.

وفي ذلك روايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام تشير إلى أن للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف غيبتين: غيبة صغرى وغيبة كبرى.

الغيبة الكبرى ثم الدولة المهدوية:

المرحلة الثالثة، وهي التي نعيش في ظلالها، مرحلة الغيبة الكبرى، وبدأت مع وفاة آخر سفير للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف سنة ٣٢٩هـ إلى أن يأذن اللَّه له بالظهور، وتسمّى الغيبة الكبرى، حيث الإمام يعيش حياته الممتدة في الغيبة الكبرى بوفاة سفيره الرابع علي بن محمد السَّمُري[١]، وهي مستمرة إلى حين ظهوره.

المرحلة الرابعة في حياة الإمام المهدي عليه السلام مرحلة الدولة، دولة الإمام المهدي، فعندما يأذن اللَّه له بالظهور سيظهر ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وتكون بدايتها مع انتهاء الغيبة الكبرى، حيث يؤسّس الدولة المهدوية العالمية التي أخبرت عنها النصوص القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام.

وتتميز كل مرحلة من مراحل حياة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بميزات ولها ملامحها وظروفها، تختلف وتتباين عن المراحل الأخرى، بدءًا بمرحلة أيام والده، ومرحلة حياته في الغيبة الصغرى من حين استلامه مهمات الإمام، ومرحلة الغيبة الكبرى، ومرحلة الدولة المهدوية كذلك.

وكل مرحلة لها بحث مفصل وأحاديث ونصوص وكلام طويل بين مؤيّد ومشكّك ومعتقد، ولكن هذا يحتاج إلى بحوث متتالية.

(١) أفصح عن تنصيبه السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي بأمر من الإمام الحجة، وقد استمرت نيابته ثلاث سنوات انتهت بانتهاء الغيبة الصغرى سنة ٣٢٩هـ.

وباعتبار أننا نعيش أجواء استلام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مهام الإمامة نعرض لبعض شذرات هذه المرحلة.

كيف كانت ظروف الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بعد وفاة العسكري عليه السلام؟ من الذي صلّى على الإمام العسكري؟ من عرف أن هذا الإمام الحجة وأنه الإمام الثاني عشر؟ كيف مهَّد الإمام العسكري ليعرّف أصحابه أن الحجة الإمام الثاني عشر؟

هذه تساؤلات بحاجة إلى بحث، مع لحاظ أن هناك عمًّا للإمام الحجة اسمه جعفر أراد أن يدّعي الإمامة بعد الإمام العسكري عليه السلام.

الطفولة في الأنبياء والأئمة اكتمال عقول وإكمال أبدان:

تسلَّم الإمام المهدي مهام الإمامة وعمره خمس سنوات، هل في الأمر غرابة؟!

قد يقول البعض: هذا أمر عجيب عويص بل دخيل، طفل عليه السلام عمره خمس سنوات يصبح إمامًا على الأمة كلها؟ كيف نصدّق أن طفلًا بعمر خمس سنوات يتولَّى هذا المنصب؟

الجواب: قام عليه السلام بأعباء الإمام وهو ابن خمس سنوات، «آتاه اللَّه فيها الحكمة كما آتاها من قبل يحيى صبيًّا، وجعله اللَّه سبحانه إمامًا في هذا العمر كما جعل عيسى بن مريم في المهد نبيًّا. كما ذكر الشيخ المفيد رضوان اللَّه عليه.

ولا شك في أن تحمُّل رضيع لأعباء النبوة ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ أكثر غرابة من تحمّل ابن خمس سنوات لأعباء

الإمامة»[١].

وممَّا لا شك فيه أن بعض الأئمة عليهم السلام توفّي آباؤهم وهم دون سن البلوغ، ولكن هل هذه مشكلة حقًّا أم أُريد بإثارتها -بعد عشرات السنين من حياة الأئمة- التشويش على أذهان الناس، والانتقاص من مذهب التشيّع.

وقبل كلّ شيء، فالشيعة تعرض اعتقادها على القرآن الكريم لترى هل حصل هذا بنص القرآن، وأنّ اللَّه نصّب لقيادة الناس من هو دون سن البلوغ أم لا؟

قال تعالى بحق يحيى عليه السلام: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾[٢]، وقال تعالى بحقّ عيسى عليه السلام: ﴿**قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾[٣].

قال الرازي في الحكم الذي أُعطي ليحيى: إنه النبوة. وذلك لأن اللَّه تعالى قد أحكم عقله في صباه، وأوصى إليه، ذلك لأن اللَّه تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيين.

إذن، مسألة تقليد منصب النبوّة والقيادة والحكم لمن هو صبي لا ضير فيه بنص القرآن. ولما كانت الإمامة الإلهية تجري مجرى النبوة، وأن أمر الإمامة ليس بيد أحد، بل بيد اللَّه تعالى يضعه حيث يشاء، كما يقول أبو بصير: كنت عند الصادق عليه السلام، فذكروا الأوصياء وذكرت إسماعيل، فقال: «لا واللَّه يا أبا محمد، ما ذاك إلينا، وما هو إلَّا إلى اللَّه عزّ وجلّ ينزل واحدًا بعد واحد»[٤].

---

(١) آداب عصر الغيبة، حسين كوراني، ص٢٠.
(٢) سورة مريم، الآية ١٢.
(٣) سورة مريم، الآية ٢٩ - ٣٠.
(٤)الكافي (ط - الإسلامية)، ج١، ص ٢٧٧.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: «أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد؟ لا واللَّه، ولكن عهدٌ من اللَّه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه»[١].

وإذا كان هناك من يحاول استبعاد إمامة الحجة عجل الله فرجه بحجة صغر سنه فإن هذا الاستبعاد يزول بأدنى نظر، حيث لا دليل على مدخلية العمر في إثبات إمامة أو نفيها.

وفي كلام مفيد في هذا المجال يدور نقاش فقهي حول شرطية البلوغ للرجوع للمجتهد الجامع للشرائط، حيث مما يؤيد صحة الرجوع للمجتهد الجامع للشرائط غير البالغ بالقول إذا كانت النبوة والإمامة وهما من أعظم المراتب يمكن أن يبلغها صبي فالمرجعية يمكن أن يتصدى لها الصبي المجتهد الجامع للشرائط، «لم يقم أي دليل على أن المفتي يعتبر فيه البلوغ، بل مقتضى السيرة العقلائية الجارية على رجوع الجاهل إلى العامل عدمه لعدم اختصاصها بما إذا كان العالم بالغًا بوجه، فإذا كان غير البالغ صبيًّا ماهرًا في الطبابة لراجعه العقلاء في معالجتهم من غير شك، كما أن الإطلاقات تقتضي الجواز لصدق العالم والفقيه وأهل الذكر ونحوها على غير البالغ كصدقها على البالغين.

واستبعاد أن يكون المقلد للمسلمين صبيًّا مراهقًا إذا كان واجدًا لسائر الشرائط مما لا وقع له، كيف ومن الأنبياء والأوصياء عليهم أفضل السلام من بلغ مرتبة النبوة أو الإمامة وهو صبي، فإذا لم تكن الصباوة منافية للنبوة والإمامة فلا تكون منافية للمرجعية أبدًا، ولم نستفد من مذاق الشارع أن

(١) دفاع عن التشيع، نذير يحيى الحسني، ص٣٦٥.

تصدّي غير البالغ للإفتاء والمرجعية أمر مرغوب عنه في الشريعة المقدّسة»[١].

فـ«كما العقل لا يستنكر لحجج اللَّه تعالى مع صغر السنّ.

قال اللَّه سبحانه: ﴿**قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾[٢]، فخبّر عن المسيح عليه السلام بالكلام بالمهد، وقال في قصة يحيى عليه السلام: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾[٣].

وقد أجمع جمهور الشيعة مع سائر من خالفهم على أن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليًّا عليه السلام وهو صغير السن، ولم يدع الصبيان غيره، وباهل بالحسن والحسين عليهما السلام وهما طفلان، ولم يرَ مباهل قبله ولا بعده باهل بالأطفال، وإذا كان الأمر على ما ذكرناه من تخصيص اللَّه تعالى حججه على ما شرحناه، بطل ما تعلَّق به هؤلاء القوم»[٤].

الجواد والهادي إمامة في عمر الصِّبا:

تسنّم الإمام الجواد عليه السلام منصب الإمامة وهو في الثامنة من عمره، وعندما تسنّم الإمامة في صغر سنه اجتمع ثمانون رجلًا من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم وخرجوا إلى المدينة وأتوا دار الإمام الصادق عليه السلام فدخلوها، وبسط لهم بساطًا أحمر، وخرج إليهم عبداللَّه بن موسى فجلس في صدر المجلس، وقام منادٍ فنادى: هذا ابن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، فمن أراد السؤال فليسأل، فسأله بعضهم وأجاب من عنده، فتحير الشيعة وحزنوا،

(١) كتاب الاجتهاد والتقليد، الخوئي، ص٢١٤.
(٢) سورة مريم، الآية ٢٩ - ٣٠.
(٣) سورة مريم، الآية ١٢.
(٤) تفسير القرآن المجيد، المفيد، ص٣٤٦.

لذلك عندها دخل أبو جعفر عليه السلام المجلس، فأعادوا عليه المسائل فأجاب على جميعها وبأدلة قاطعة، فخرج القوم ودعوا له.

وخاض الإمام الجواد عليه السلام بعد تسلمه للإمامة امتحانين عسيرين وهو صغير السن، في رواية سبع سنين، وفي أخرى تسع سنين.

الامتحان الأول مع أصحابه وشيعته مشايخ مذهب أهل البيت عليهم السلام وكبار العلماء من أصحاب أبيه الإمام الرضا عليه السلام، وبعد تسلمه لمهام الإمامة مباشرة.

وكان الامتحان الثاني مع مشايخ المسلمين عامة، ومع زعماء العباسيين في مجلس المأمون، وبحضور كبار زعماء وعلماء العباسيين، الذين كانوا يسعون بكل وسيلة للحطِّ من مكانة الإمام الجواد عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

وخرج الإمام الجواد عليه السلام -كما في الأخبار- من كلا الامتحانين منتصرًا، وراجعوا كتاب الاحتجاج للطبرسي[1] ترون مناظرات الإمام الجواد عليه السلام للذين ناظروه في محضر المأمون.

وأهم ثمار هذه التجربة التي خاضها الجواد عليه السلام أنها أوصلتنا إلى نتيجة مهمة، وهي إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر بغض النظر عن السن، كم كان عمره؟ ست أو تسع سنوات، ليس مهمًّا لنا؛ لأننا لنا في تاريخ الأنبياء قدوة وأسوة، وواقع الأئمة عليهم السلام أثبت لنا ذلك، هم صغار السن لكنهم أفحموا كبار العلماء.

(١) لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، وهناك من اشتبه في نسبة الكتاب إلى الفضل ابن الحسن الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان.

والإمام الهادي تولَّى الإمامة -كما في الروايات- ابن ثماني سنين ومات شابًّا، وقد قامت شبهات في تحريف القرآن، وتوجّهت أصابع الاتهام للشيعة من قبل أتباع سائر الفرق الإسلامية بأنهم لا يهتمون بشأن القرآن الكريم، ويؤمنون بتحريفه وعدم حجيته، ومن هنا انبرى الإمام الهادي لتفنيد هذه الشبهة وبيان مكانة القرآن في فكر المدرسة الإمامية، وأن القرآن الكريم هو المصدر الأول للمسلمين، والحجة في جميع التشريعات والمواقف التي يعتمدها الشيعة، وأن الروايات المخالفة للقرآن الكريم تعدّ من زخرف القول الذي يُضرب به عرض الجدار.

شرط العُمر في الإمامة الإلهية ساقط:

يقول التاريخ: إن الذين ترجموا للإمام المهدي عجل الله فرجه من علماء المذاهب الإسلامية قد اعتبروا تسلّمه للإمامة وعمره خمس سنوات أمرًا طبيعيًّا في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وعندنا تجربة الإمام الجواد والإمام الهادي عليهما السلام حيث كانا صغيرين عند توليهما منصب الإمامة، وحتى ابن حجر الهيتمي[1] صاحب كتاب الصواعق المحرقة يقول في ذيل ترجمته للإمام العسكري عليه السلام: «ولم يخلّف الإمام العسكري غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه اللَّه فيها الحكمة».

وأيضًا يقول صاحب كتاب مرآة الصراط الشيخ الجامي الحنفي في ترجمة الإمام الحجة عجل الله فرجه: «كان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وجلس على مسند الإمامة، ومثله يحيى بن زكريا حيث أعطاه اللَّه في الطفولة الحكمة والكرامة،

(١) مصري مولده في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر وإليها نسبته، تلقَّى العلم في الأزهر ومات بمكة.

ومثل عيسى بن مريم حيث أعطاه النبوة في صغر سنه، كذلك المهدي جعل اللَّه إمامًا في صغر سنه، وما ظهر من خوارق العادات كثير لا يسعه هذا المختصر».

الشيخ الجامي استند في الحديث عن الحجة إلى تجارب الأنبياء، فتحدث عن نبي اللَّه يحيى ونبي اللَّه عيسى بن مريم عليهما السلام، هذا الاستدلال ينفي استبعاد إمامة الصغير. فلا يسع أحدًا أن يقول: عقلي لا يصدق أن طفلًا صغيرًا يُصبح إمامًا أو نبيًّا أو حكيمًا، ولكن القرآن تكلّم بذلك، إما أن نؤمن بالقرآن أو لا نؤمن فنكفر، فإذا آمنا بالقرآن أنه كلام اللَّه، ومحكم منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه أثبت ذلك لعيسى بن مريم وهو في المهد صبيًّا، وكذلك يحيى بن زكريا، كما أشرنا سابقًا، فلماذا نستبعد أن يصبح إمامًا في سن خمس سنوات.

أثبت الجامي حصول الإمام على التسديد الإلهي، وقد جرت في حياته حوادث وكرامات، أُلِّفت فيها كتب.

ومن ذلك صلاته عليه السلام في هذا السن على والده مع الخطر المحدق به من قبل المعتمد العباسي، الذين كان يبحث عنه ليقتله، لإيمانه بأنه الأئمة اثنا عشر كلهم من قريش، والإمام العسكري عليه السلام هو الإمام الحادي عشر، فلا بد أن له ولدًا فأين الولد، بل كانوا يبحثون عن الإمام الحجة قبل أن يولد؛ فإن ظهور الإمام عليه السلام في هذا الوقت وهو صغير السن وفي هذه الظروف الحساسة والخطرة وفي سامراء وهي ليست مدينة شيعية، وبيئة غير بيئته، ليقوم بمسؤوليته تجاه أبيه الإمام لأمر جلل وخطير، لولا رعاية اللَّه عزَّ وجلَّ له، وحفظه إياه، كرامةً له، وآيةً على أنه الإمام الثاني عشر المنصوب من قبله عزَّ وجلَّ. وغيرها من الكرامات والعلامات.

الغيبة الصغرى
بدأت بنهاية صلاة الجنازة

الذي حصل بعد الصلاة -كما في التاريخ- في بيت الإمام، أن الإمام جاء من باب ثم اختفى، صلّى على والده وأدّى مسؤوليته تجاه جنازة والده وأعلن أنه الحجة ثم غاب غيبته الصغرى. هذه مرحلة مهمة وخطيرة في حياة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وبعد أن عرف العباسيون أنه هو الذي صلّى على والده بحثوا عنه، فكانت المشيئة الإلهية أن الإمام الحجة يغيب الغيبة الصغرى، وأنه موجود، وأنه عيّن نُوَّابًا يتّصلون معه، وهذه المرحلة استمرت سبعين سنة إلى آخر السفراء الأربعة، وهو علي بن محمد السمري.

و«لما حضرت السمري رضي الله عنه الوفاة سئل أن يوصي فقال: للَّه أمر هو بالغه، فالغيبة الكبرى هي التي وقعت بعد مضي السمري»[1].

وروي أنه سئل عند موته عمَّن يقوم مقامه، فذكر أنه لم يُؤمر بأن يوصي

(١) الوافي، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٤١٤.

إلى أحد من بعده[١]، فقد جاء في التوقيع المبارك الصادر من الناحية المقدّسة منه عجل الله فرجه على يد النائب الرابع علي بن محمد السمري قبل وفاة النائب بستة أيام: «يا علي بن محمد السمّري، اسمع.. أعظم اللّه أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلّا بعد إذن اللّه عزَّ وجلَّ»[٢].

الغيبة الصغرى وكلاء وتوقيعات:

بسط علماء الإمامية الحديث عن الانقطاع مطوّلًا في الكتب المؤلّفة في غيبته عجل الله فرجه من الجيل المعاصر للأئمة السابقين عليهم السلام مرورًا بالذين عاصروا غيبته الصغرى، والتقوا بالنواب الأربعة، كالكليني، وعلي بن بابويه، وسعد بن عبداللّه الأشعري، والنوبختي وغيرهم، إلى الجيل الأول من الغيبة الكبرى، كالصدوق، وابن قولويه، والنعماني، ومحمد بن الحسن الخزّار وغيرهم، ثم المفيد، والمرتضى، والطوسي، والكراجكي، وتتابع طبقات العلماء في كتبهم الكلامية والحديثية الروائية، وقد أودعوا في ذلك من طوائف الروايات المروية عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أمير المؤمنين عليه السلام إلى بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام[٣].

بماذا تميّزت مرحلة الغيبة الصغرى؟

أولًا: تميّزت بعدم الاستتار الكامل للإمام الحجة عجل الله فرجه، فالآن في زمن الغيبة الكبرى الإمام مستتر كاملًا، أما الغيبة الصغرى فكان مستترًا ولكن كان

(١) هداية الأئمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ج٨، ص٥٦٠.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٥١٦.
(٣) فقه علائم الظهور، محمد السند، ص١١.

يراه بعض المؤمنين، ونوابه يتواصلون معه.

الأمر الآخر تميّزت هذه الفترة من حياة الإمام الحجة بكثرة الرسائل الصادرة عنه عجل الله فرجه إلى علماء من شيعته، وسيأتي هذا البحث، حيث كانت تصدر منه توصيات ورسائل إلى شيعته عبر النواب الأربعة في موضوعات مختلفة، وعند مراجعة بعض الكتب حول الحجة عجل الله فرجه نرى نصوصًا واردة عن الحجة ورسائل فيها توجيهات لنا ولكم منذ تلك الأيام.

كما تميّزت -أيضًا- هذه الفترة بوجود السفراء الخاصين والوكلاء الذين كانوا يُعيِّنهم الإمام مباشرة واحدًا بعد واحد، وهنا لا بد من الالتفات إلى أن نظام الوكلاء تأسَّس قبل الإمام عجل الله فرجه.

حيث بدأ الأئمة عليهم السلام يمهدون للغيبة منذ زمن الإمام الهادي وفي زمن العسكري عليه السلام، فكانوا يُعيِّنون الوكلاء كمرحلة تمهيدية في حياة الشيعة، فالحجة سيغيب وبالتالي الناس بحاجة إلى من يرجعون إليه، فإلى من يرجعون؟ فالهادي والعسكري عليهما السلام عيَّنا الوكلاء.

«حيث عمل الإمام الهادي عليه السلام على اتّخاذ الوكلاء وتأسيس شبكة الممثّلين له في شتى البلدان التي يقطنها الشيعة كإيران ومصر واليمن والعراق، وكان يوثّقهم ويمدحهم ليكونوا الواسطة بينه وبين الشيعة في التواصل المعرفي ومعالجة المعضلات الكلامية والفقهية والتفسيرية بالإضافة إلى استلام الحقوق الشرعية وإيصالها إلى الإمام، ومن هؤلاء الوكلاء علي بن جعفر، وكان وكيلًا للإمام الهادي عليه السلام، وكان رجلًا من أهل همينيا قرية من قرى سواد بغداد، ومنهم حسين بن عبد ربه، وفي رواية علي بن حسين بن عبد ربه».

واستمر الإمام العسكري عليه السلام في نظام الوكلاء، ثم جاء الحجة وثبت نظام الوكلاء، واستمر هذا النظام منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا وإلى أن يظهر الحجة.

قال الإمام الحسين عليه السلام: «إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا تَطُولُ حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: مَاتَ، وَيَقُولَ بَعْضُهُمْ: قُتِلَ، وَيَقُولَ بَعْضُهُمْ: ذَهَبَ حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَى أَمْرِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ، لَا يَطَّلِعُ عَلَى مَوْضِعِهِ أَحَدٌ مِنْ وُلْدِهِ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا الْمَوْلَى الَّذِي يَلِي أَمْرَهُ»[1].

وقال الباقر عليه السلام: «لقائم آل محمد غيبتان، إحداهما أطول من الأخرى»[2].

ويبحث في الغيبة الصغرى عن عناوين، فالعنوان الأول سفراء الإمام عليه السلام ووكلائه في هذه الفترة، والعنوان الثاني فلسفة الغيبة وأبعادها، ولماذا غاب الإمام عليه السلام، والعنوان الثالث ماذا عمل في هذه الفترة.

الغيبة الصغرى مَدْرجة الاستعداد للغيبة الكبرى:

الغيبة الصغرى «تعبّر عن المرحلة الأولى من إمامة القائد المنتظر عليه الصلاة والسلام، فقد قُدِّر لهذا الإمام منذ تسلّمه للإمامة أن يستتر عن المسرح العام ويظل بعيدًا باسمه عن الأحداث وإن كان قريبًا منها بلقبه وعقله، وقد لوحظ أن هذه الغيبة إذا جاءت مفاجئة حقّقت صدمة كبيرة للقواعد الشعبية للإمامة في الأمة الإسلامية؛ لأن هذه القواعد كانت معتادة على الاتصال بالإمام في كل عصر، والتفاعل معه والرجوع إليه في حل المشاكل المتنوعة،

(١) الغيبة (للطوسي)/ كتاب الغيبة للحجة، ص: ١٦٢.
(٢) الغيبة للنعماني، ص ١٧٣.

فإذا غاب الإمام عن شيعته فجأة وشعروا بالانقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية، سبّبت هذه الغيبة المفاجئة الإحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كله ويشتت شمله، فكان لا بد من تمهيدٍ لهذه الغيبة، لكي تألفها هذه القواعد بالتدريج، وتكيّف نفسها شيئًا فشيئًا على أساسها.

وكان هذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الإمام المهدي عن المسرح العام، غير أنه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طريق وكلائه ونوابه والثقات من أصحابه الذين يشكّلون همزة الوصل بينه وبين الناس المؤمنين بخطه الإمامي.

وقد شغل مركز النيابة عن الإمام في هذه الفترة أربعة ممَّن أجمعت تلك القواعد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها»[١].

الغيبة الصغرى كما قلنا بدأت برحيل الإمام العسكري عليه السلام واستشهاده سنة ٢٦٠هـ، واستمرت ما يقارب سبعين سنة، هذا بحساب الغيبة من وفاة الإمام العسكري عليه السلام، ولكن بإضافة مدة بقاء الحجة مع أبيه فـ«مدّتها أربع وسبعون سنة، وتبدأ من حين ولادته سنة (٢٥٥) هجرية واستمرت حتى وفاة آخر سفير عنه في سنة (٣٢٩هـ)، قضى خمسة سنين منها مستورًا مع أبيه، و٦٩ سنة بعده»[٢]، قال الطبرسي في إعلام الورى: «كانت مدة هذه الغيبة أربعًا وسبعين سنة، وكأنه جعل مبدأها ولادة القائم عليه السلام على بعض التواريخ»[٣].

(١) بحث حول المهدي عج، محمد باقر الصدر، ص١٠٧.
(٢) موسوعة الفقه الإسلامي طبقًا لمذهب أهل البيت، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، ج١، ص١٤٣.
(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ج٦، ص١٨٥.

خط التوقيعات وثيقة إثبات للسفراء

«كان النائب يتّصل بالشيعة ويحمل أسئلتهم إلى الإمام، ويعرض مشاكلهم عليه، ويحمل إليهم أجوبته شفهية أحيانًا وتحريرية في كثير من الأحيان، وقد وجدت الجماهير التي فقدت رؤية إمامها العزاء والسلوة في هذه المراسلات والاتصالات غير المباشرة. ولاحظت أن كل التوقيعات والرسائل كانت ترد من الإمام المهدي عليه السلام بخط واحد وسليقة واحدة طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عامًا»[1].

و«المقصود بالتوقيع في هذا المقام يعني الكتاب الموقَّع، ويعبّر عنه بأنه توقيع، من باب تسمية الكتاب بأهم ما فيه أو أبرز ما فيه أو ما يختم به وهو التوقيع، تسمية الشيء بخاتمته، فيعبّر عنه بأنه توقيع، والمقصود ليس خصوص الإمضاء للإمام سلام اللَّه عليه، إنما المقصود هو الكتاب.

الكتب الصادرة والرسائل الصادرة من الإمام سلام اللَّه عليه كان يعبّر عنها بأنها توقيعات الناحية المقدسة، والناحية المقدسة -أيضًا- فيه إشارة أو قول واصطلاح يراد به خصوص الحضرة المقدسة لصاحب الأمر صلوات اللَّه وسلامه عليه باعتبار ظروف التقية...

فالناحية المقدسة المقصود بها الإمام سلام اللَّه عليه، والتوقيعات تعني الرسائل والكتب الصادرة من الإمام عليه السلام.

وهذه الكتب الصادرة كانت بخطه عليه السلام، ولم تكن بخط غيره..

وهذا الموضوع في غاية الأهمية في العملية التوثيقية؛ لأن هذا الخط

(١) بحث حول المهدي عج، ص١٠٧.

خط مشهود لخواص الأعلام والعلماء الذين عاصروا الإمام العسكري سلام اللَّه عليه والذين تعرَّفوا على الإمام المهدي عليه السلام»[١].

وسفير الإمام سلام اللَّه عليه هو الوحيد الذي يتصدَّى لنقل خط الإمام وتوقيعاته المقدَّسة.

وخط الإمام معروف؛ لأن المسألة متصلة بزمن الحضور، فخط الإمام المهدي عليه السلام معروف في زمن حياة أبيه الإمام، الذي أطلع شيعته على ولده المهدي وعلى خطه وتوقيعه، فكان خطه وتوقيعه مألوفًا للناس، ولهذا جاءت عبارة الشيخ الطوسي والشيخ الصدوق: أنه كانت تخرج التوقيعات بالخط الذي كان في عهد الإمام العسكري سلام اللَّه عليه، يعني خط الإمام المهدي سلام اللَّه عليه الذي رُئي وشُوهد في زمن الإمام العسكري عليه السلام.

فإذن قضية خط الإمام وتوقيع الإمام الذي كان ينفرد به هذا السفير الصادق الأمين، كانت -أيضًا- طريقة من طرق الإثبات[٢].

نواب الغيبة الصغرى

نُوَّاب الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في غيبته الصغرى، كانوا أربعة نُوَّاب عاشوا في بغداد[٣] في النصف الأخير للقرن الثالث إلى شطر من القرن الرابع -أي من سنة ٢٦٠ إلى سنة ٣٢٩هـ بالضبط-، وكانوا يتحمّلون مسؤولية الوكالة

(١) الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، فاضل المالكي، ص٢٥.
(٢) الغيبة يالصغرى والسفراء الأربعة، ص٥٠.
(٣) أصبحت مركز الشيعة الرئيسي في القرن الثالث والرابع والخامس، فكان لعلماء بغداد من هذه الطائفة المقام الأول والزعامة المطلقة على جميعها، ومن جملتهم «السفراء الأربعة».

والنيابة الظاهرة للإمام عليه السلام الغائب عن الأبصار، وكانوا مراجع للشيعة الإمامية عامة، ومقابرهم لا زالت موجودة في نواحي بغداد القديمة إلى هذا العصر، وتزار من قبل الشيعة[١].

وقد وردت أسماؤهم في روايات عن الحجة، وهم: الأول عثمان بن سعيد العمري، وكان وكيلًا للإمام الهادي عليه السلام وللإمام العسكري عليه السلام، والنائب الثاني محمد بن عثمان بن سعيد العمري، والنائب الثالث الحسين ابن روح النوبختي، والنائب الرابع أبو الحسن علي بن محمد السمري.

النائب الأول: عثمان بن سعيد العمري

من أصحاب الأئمة، وبالذات الإمامين الهادي والعسكري، وكان في كمال الوثوق والأمانة، من خيرة أصحاب الأئمة، وكان أسديًّا من بني أسد[٢]، ونسب إلى جده جعفر العمري.

وعثمان كان سمَّانًا، أي يتجر بالسمن، قيل: إن ذلك كان تقية وتغطية لأمر سفارته عن أعداء اللَّه ليكون في مأمن من الأعداء، فكانت هذه المهنة غطاء لكي يؤدّي رسالته مع الأئمة الهادي والعسكري والحجة.

وهنالك اتفاق من الرواة والعلماء على شهادة الإمام العسكري عليه السلام بوثاقة عثمان بن سعيد العمري رحمه الله، وأن الإمام المهدي سلام اللَّه عليه أقرَّه

---

(١) الرسائل العشر، الطوسي، ص١٦.

(٢) بنو أسد بن خزيمة، من القبائل العربية العريقة، كانت تسكن هضبة نجد، وفي أيام الفتوح الإسلامية سكنت معظم بطونها في العراق، أما بطن بني غاضرة، فقد سكنوا قبل الإسلام قرب كربلاء، وسميت المنطقة باسمهم: الغاضرية. قبيلة بنو أسد بن خزيمة، علي الكوراني، ج٥، ص٣.

في منصبه وفي زمن غيبته الصغرى، وكان يقول: «اسمعوا له وأطيعوا» وهذا المعنى في واقع الأمر أخذ يُتداول باعتبار النص عليه: «اسمعوا له وأطيعوا»، ثم لا يخفى أن ممَّا يُطاع فيه نَصُّه على مَنْ بعده، فقد نص على ولده محمد بن عثمان من بعده.

فعثمان بن سعيد نَصَّ عليه الإمام العسكري والإمام المهدي عليهما السلام، ومحمد بن عثمان نَصَّ عليه الإمام العسكري عليه السلام[١].

وعثمان بن سعيد كان وكيلًا للأئمة، فكان الشيعة يوصلون الأموال له، ولكن كيف يوصلونها إلى الإمام، مع وجود رقابة؟ كان الشيعة إذا حملوا أموالًا إلى العسكري أنفذوها إليه فجعلها في زقاق السمن وحملها إلى أبي محمد عليه السلام.

وفي رواية لأحمد بن إسحاق القمي[٢] وهو من الثقات ومن أجلاء الشيعة وعلمائهم، قال أحمد: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي، أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيَّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل وأمر من نمتثل؟ فقال لي عليه السلام: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه»[٣].

وذكر العلامة المجلسي في البحار أن جماعة من ثقات أهل حديث

(١) الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، ص٥٠.
(٢) كبير القدر، كان من خواص أبي محمد عليه السلام، ورأى صاحب الزمان عليه السلام، وهو شيخ القميين ووافدهم، وله كتب، منها كتاب علل الصلاة، ومسائل الرجال لأبي الحسن الثالث عليه السلام. معجم رجال الحديث، الخوئي، ج٢، ص٥٢.
(٣) الغيبة (للطوسي)/ كتاب الغيبة للحجة، ص ٣٥٤.

رووا أن جماعة من أهل اليمن قدموا إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام يحملون أموالًا، فقال عليه السلام لأبي عمرو: امضِ يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال اللَّه، واقبض من هؤلاء النفر اليمنين ما حملوه من المال.

فقال اليمنيون يا سيدنا، واللَّه إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علمًا بموضعه من خدمتك، وأنه وكيلك وثقتك على مال اللَّه.

قال: نعم، واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمدًا وكيل ابني مهديكم[1].

وفي بحار الأنوار أنه لما مات الحسن بن علي عليه السلام وهو العسكري، حضر غسله عثمان بن سعيد في الظاهر من الحال، وتولى جميع أمره، يعني قام بتجهيز الإمام العسكري عليه السلام في تكفينه وتحنيطه، وأن صاحب الأمر عليه السلام جعله بعد وفاة أبيه عليه السلام وكيلًا له ونائبًا تخرج على يديه الأجوبة عمَّا تسأل الشيعة عنه من مسائل. وهذه طريقة في الحصول على إجابات أسئلة الشيعة كانت في زمن الإمام العسكري وقبله.

فكانت تخرج على يدي عثمان بين سعيد الأجوبة عمَّا تسأل الشيعة من مسائل، وإليه تحمل أموال سهم الإمام عليه السلام، وكانت تشاهد منه -ببركة وجود صاحب الأمر عليه السلام- أمور غريبة كالإخبار بالمغيبات، والإخبار عن الأموال التي تُحمل إليه عن صفتها ومقدارها وتعيين أصحابها وحلّيتها وحرمتها قبل أن تُسلَّم إليه، وكل ذلك يأتيه من جانب الحجة عليه السلام، كما كانت الحال مع سائر وكلائه عليه السلام الذين فازوا بالوكالة عنه بدلائل وكرامات منه عليه السلام.

(١) انظر: بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٥١، ص٣٤٥ - ٣٤٦.

هذا النائب السفير سفارته لم تطل، ودامت حدود خمس سنوات؛ لأنه كان وكيلا للإمام الهادي والعسكري عليه السلام واستمر وكيلًا للحجة، وتوفّي سنة ٢٦٦هـ، وقبره في بغداد بالجانب الغربي منها، وله ضريح يُزار هناك.

عثمان بن سعيد ودعاء «اللهم عرفني نفسك»:

روي في (كمال الدين) و(جمال الأسبوع) بأسانيد صحيحة ومعتبرة عن الشيخ الثقة الجليل القدر عثمان بن سعيد العمري أنّه أمر بقراءة هذا الدعاء، وقال: يجب على الشيعة أن يقرؤوا هذا الدعاء في زمان غيبة الإمام عليه السلام في عصر الغيبة الصغرى، فإنَّ كلَّ ما يأمر به صادر عن صاحب الأمر روحي له الفداء، وعلى هذا فكلما ملكتَ حُسْنَ التوجُّه فاقرأ هذا الدعاء الشريف ولا تقصّر في ذلك، وخصوصًا بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، فقد قال السيد الجليل علي بن طاووس في كتاب (جمال الأسبوع):

«إن كان لك عذر عن جميع ما ذكرناه من تعقيب العصر يوم الجمعة، فإياك أن تهمل الدعاء به فإننا عرفنا ذلك من فضل اللّه جل جلاله الذي خصّنا به، فاعتمد عليه»[1].

ويفهم من هذا العبارة أن أمرًا بهذا الشأن صدر من حضرة صاحب الأمر عجل الله فرجه إلى السيد رحمه الله، وهذا غير بعيد عن مقام السيد.

وهذا الدعاء هو: «اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ.

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ.

(١) جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص ٥٢١.

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي.

اللَّهُمَّ لا تُمِتْنِي مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي...»[١].

النائب الثاني خمسون عامًا من السفارة:

يكنى محمد بن عثمان بن سعيد العمري أبا جعفر، وله منزلة جليلة بعد أبيه عند الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، حيث استلم الشيخ العمري السفارة بعد وفاة أبيه، وقام مقامه بناء على كتاب التعزية والتولية الصادر عن الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف.

وعن أبي نصير هبة اللَّه قال: «مات في آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وثلاثمائة، وإنه كان يتولَّى السفارة نحوًا من خمسين سنة، يحمل الناس إليه أموالهم، ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن العسكري عليه السلام»[٢].

ومحمد بن عثمان بن سعيد ثقة الإمام العسكري عليه السلام، حيث وثَّقه من خلال الرواية التي ذكرناها: من بعد عثمان سيكون ابنه محمد، وهو قد عيَّنه العسكري عليه السلام ليكون نائبًا لولده المهدي عليه السلام، والإمام المهدي ثبَّت محمد بن عثمان بعد وفاة والده عثمان بن سعيد.

خرج التوقيع من الحجة عجل الله فرجه الشريف في تعزية محمد بن عثمان في وفاة والده عثمان جاعلًا إياه نائبًا عنه وسفيرًا له بعد والده عثمان بن سعيد. فقال الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف: «إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون، تسليمًا لأمره، ورضًا بقضائه وبفعله،

(١) وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ج١-٢، ص٦٩.
(٢) رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ، لطيف القزويني، ص٢٦٩.

عاش أبوك سعيدًا ومات حميدًا، فرحمه اللَّه وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهدًا في أمرهم، ساعيًا فيما يقرّبه إلى اللَّه عزّ وجلّ وإليهم، نضَّر اللَّه وجهه، وأقاله عثرته، وأجزل اللَّه لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رُزئت ورُزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرَّه اللَّه في منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه ولدًا مثلك، يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحّم عليه. وأقول: الحمد للَّه، فإن في الأنفس طيّبة بمكانك وما جعله اللّه عزّ وجلّ فيك وعندك، أعانك اللَّه وقواك، وعضدك ووفقك، وكان لك وليًّا وحافظًا وراعيًا»[1].

هذا التوقيع يكشف جلالة وموقع الوكيلين الأب والابن عند الإمام المهدي عجل الله فرجه. وقد ذكره الشيخ الكليني، والشيخ الصدوق، والمجلسي، عن أم كلثوم ابنة محمد بن عثمان[2].

روى الصدوق قدس سره، عن عبد اللَّه بن جعفر الحميري (وطريقه إليه صحيح) أنه قال: «سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه، فقلت له: رأيت صاحب هذا الامر عليه السلام؟ فقال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت اللَّه الحرام، وهو يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني. قال محمد بن عثمان رضي الله عنه وأرضاه: ورأيته صلوات اللَّه عليه متعلقًا بأستار الكعبة في المستجار، وهو يقول:

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٥١٠.

(٢) أم كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري، كان أبوها أحد السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى، وهي جدة أبي نصر هبة اللَّه بن محمد الكاتب أم أمه، كانت فاضلة جليلة راوية للحديث، روت عن أبيها أبي جعفر، وروت عنها ابنتها أم أبي نصر، وروى أبو نصر المذكور عن أمه عن جدته أم كلثوم. وأورد الشيخ في كتاب الغيبة كثيرًا من الأخبار عنها، ومن ذلك خبر نص أبيها على الحسين بن روح. أعيان الشيعة، ج٣، ص٤٨٧.

اللهم انتقم لي من أعدائك»[١].

وكان محمد قد حفر لنفسه قبرًا وسوَّاه بالساج، فسئل عن ذلك فقال: «للناس أسباب. ثم سئل بعد ذلك فقال: قد أمرت أن أجمع أمري. فمات بعد شهرين من ذلك في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وثلاثمائة، وكان يتولَّى هذا الأمر نحوًا من خمسين سنة، وقال عند موته: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى إليه»[٢].

(١) معجم رجال الحديث، الخوئي، ج١٧، ص٢٩٥.
(٢) خلاصة الأقوال، العلامة الحلي، ص٢٥٠.

أسباب غيبة المهدي عليه السلام

ما الأسباب والدواعي التي جعلت الإمام عليه السلام يغيب عن الحضور والظهور؟

قبل الإجابة عن السؤال نقدّم مقدمة مفيدة لبيان بعض المعاني، وتفسير بعض الألفاظ الخاصة بموضوع الغيبة.

معنى الحضور والشهود والظهور:

نعني من لفظة (الحضور) المثول والوجود والمشاهدة العينية.

ونعني بالظهور البروز الجلي للعيان وانكشافه لنا.

والإمام المهدي وإن لم يكن حاضرًا أو ظاهرًا إلّا أنه موجود، ولا ملازمة بين أن يكون موجودًا أو حاضرًا وظاهرًا، فوجوده الشريف لا يعني ظهوره وحضوره ومثوله. ومعلوم أن الإنسان بطبعة يعشق الحضور والظهور ويأنس بالحاضر الظاهر، ولا يشعر في الأغلب بالموجود إذا كان غائبًا عن الظهور والحضور، فالقرب والبعد من الموجود أحيانًا يحدّدها الحضور والظهور، فالإنسان بطبعه يحب الآخر لشخوصه وحضوره المادي ولوجوده الظاهري.

«فالحضور: مصدر حضر، تقول: حضر الغائب، قدم، وحضر المجلس: شهده.

وحضور الأمر: خطورة بالبال، وحضور البديهة: سرعتها.

والحضور عند الفلاسفة كون الشيء حاضرًا، وهو نوعان: حضور مادي، وحضور معنوي.

فالحضور المادي هو وجود الشيء بالفعل في مكان معيّن.

وأما الحضور المعنوي فهو الحضور الذهني، وهو أن تكون صورة الشيء موجودة في الذهن يدركها إدراكًا مباشرًا وإدراكًا نظريًّا، أو أن يكون الذهن شاعرًا بحضور الشيء، ومنه قولهم: الشعور بالحضور.

وبين الحضور المادي والشعور بالحضور فرق كبير؛ لأنك قد تكون شاعرًا بحضور الشيء وإن كان غائبًا عنك، أو تكون غير شاعر بحضور وإن كان بقربك.

ويطلق الحضور على حضور القلب بالحق عند غيبة الخلق، وهو ضد الغيبة؛ لأن الغيبة غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه»[١].

والنص والروايات والأخبار في المهدي تكلّمت عن الظهور والغياب. والظهور بمعنى المشاهدة العينية كما قال الإمام الكاظم عليه السلام: «يغيب عن أبصار الناس شخصه ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره»[٢].

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج١، ص٤٧٨.
(٢) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص ٢٧٠.

ولفظ الظهور عكس لفظ الغياب، ولفظ الظهور المعنوي معنىً ثالث، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره»[١]، أي ظهوره متحقّق في قلوب المؤمنين أولًا وعلى ألسنتهم ثانيًا. وعليه يكون الظهور إما بمعنى الحضور والمشاهدة العينية، أو بمعنى الظهور المعنوي الظاهر في القلب تارة وعلى اللسان أخرى.

والغياب عادة بعد الوجود.
والظهور عادة بعد الغياب.

قال الإمام عليه السلام: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه»[٢] إشارة إلى الغياب الحضوري.

وكلا اللفظين الغياب والظهور يدلان على الوجود، وما الغياب إلَّا نفي للمشاهدة العينية وليس نفيًا للوجود. لذا نلحظ أن الغياب والخفاء العيني يسبّب للإنسان الغفلة والسهو والنسيان واللهو عن وجود المهدي، ويصاب الإنسان بالشك وإنكار وجوده عليه السلام، ولهذا أكّد الإمام عليه السلام حقيقة أن المهدي حاضر في قلب المؤمن وعلى لسانه «لا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره».

وهنا سؤال مهم وهو: لماذا قال الإمام وذكر (القلب) ولم يذكر العقل أو النفس؟ فقوله: «لا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره» يثير تساؤل حول هذا التحديد والتخصيص للقلب دون غيره.

وحتى ندرك حقيقة المعنى لا بد من بيان حقيقة القلب عند العلماء:

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١٥، حديث ٢.
(٢) الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص ١٢٥.

«القلب في الأصل عضو صنوبري الشكل، مودع في الجانب الأيسر من الصدر، يستقبل الدم من الأوردة ويدفعه في الشرايين، وله عند الفلاسفة معانٍ أخرى، وهي إطلاقه على النفس، أو الروح، أو على تلك اللطيفة الربانية التي لها بالقلب الجسماني تعلُّق، وهي حقيقة الإنسان التي يسميها الحكماء بالنفس الناطقة أو العقل.

ووظيفة القلب عندهم إدارك الحقائق العقلية بطريقة الحدس والإلهام، لا بطريق القياس والاستدلال، مثال ذلك قول الغزالي: إن نفسه عادت إلى الصحة والاعتدال بنور قذفه اللَّه تعالى في الصدر (المنقذ من الضلال). قال: «إذا تولى اللَّه أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وتكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت حقائق الأمور الإلهية» (إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٨).

ومن قبيل ذلك قول (باسكال): «إننا لا ندرك الحقيقة بالاستدلال العقلي وحده، بل ندركها بالقلب أيضًا، وكذلك معرفتنا بالمبادئ الأولى، فهي لا تتم إلَّا بهذا النوع الثاني من الإدراك، ومن الواجب على العقل أن يرجع إلى إدراكات القلب والغريزة، وأن يبني عليها نظره واستدلاله» (خواطر باسكال، ص٤٥٩).

وفي هذه الأقوال إشارة إلى أن القلب لا يقتصر على إدراك العواطف بل يتّسع لإدراك الحقائق العقلية.

وإذا أطلق القلب على مجموع الأحاسيس والعواطف دلَّ على معنى مقابل لمعنى العقل، قال (لاروشفوكولد): يظن الإنسان أنه مخيَّر، وهو في

الحقيقة مسير إذا وجّه عقله إلى هدف معيَّن دعاه قلبه إلى غيره.

وقلب الشيء لُبُّه وباطنه: وهو ضد ظاهره، والظاهر لا يدل على الباطن دائمًا؛ لأن الإنسان قد يُخفي ما في نفسه فيكون مطمئنًا في الظاهر مضطربًا في الباطن أو بالعكس.

والقلب عند بعض الفلاسفة مركز القوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة.

وقد يطلق لفظ القلب على الشعور بالعطف أو الحنان أو الرحمة أو المحبة أو غيرها من الأحوال الوجدانية.

ومن الأمثال السائرة قولهم: من القلب إلى القلب، وقولهم: في بعض القلوب عيون، وقولهم: القلب مصحف البصر»[1].

والروايات في القلب ومعناه وحقائقه بالعشرات.

فبعد أن علمنا أهمية القلب على لسان العلماء ندرك أهمية ذكر الإمام عليه السلام القلب في ذكر المهدي عليه السلام.

وإحياء ذكر المهدي في القلب وعلى اللسان يتحقق بعدة وسائل ومن عدة جهات، منها ممارسة قراءة الأدعية والزيارات الخاصة بالمهدي، وسوف نذكر أهمية الذكر المهدوي في تراث المهدي العبادي حتى «لا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره».

فذكر المهدي سواء كان في القلب أو على اللسان يورث النور؛ لأن ذكر المهدي نور القلوب، وجلاء البصائر ونور السرائر، وهداية العقول

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج٢، ص١٩٨-١٩٩.

وتبصرة النفوس، ويؤنس اللب وينير القلب ويستنزل الرحمة.

وفي الحديث الشريف: «نحن ذكر اللَّه ونحن أكبر»[١]، وفي الحديث الشريف: «طوبى لشيعتنا بحبنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، وطوبى لهم، هم واللَّه معنا في درجتنا يوم القيامة»[٢].فهذا المقام والمنزلة للشيعي الموالي يعدّ من أعلى منازل المقرّبين، لِمَ لا وهم متمسكون بإمامة المهدي المنتظر، منتظرون قدومه، معدّون أنفسهم لنصرته.

مقدمات مفيدة:

المقدمة الأولى: في عقيدتنا المهدي موجود، وما الغيبة إلَّا تعبير عن عدم الظهور.

المقدمة الثانية: الموالون الشيعة يسألون عن دور الإمام المهدي في زمن الغيبة، وكيف يمكن له عليه السلام إدارة شؤون الأمة عامة والشيعة خاصة وهو غائب عن الحضور والمشاهدة؟

ذكر البعض إجابة لهذا السؤال أن مهمته في الغيبة رعاية مسيرة الأمة لتأهيلها وإعدادها لظهور المهدي، ويريد أن يُهيّئ الأمة لمهمة كبرى وهي بناء الدولة العالمية، دولة العدل والمساواة لتنتهي مرحلة الظلم والقهر في العالم كله، ويقيم دولة العدل والرفاه والسلام والحرية.

قال تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[٣].

(١) الكافي، ج٤، ص ٥٩٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١٦، حديث ٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٨١.

والاعتقاد بالمنقذ العالمي والمخلّص من الظلم والطغيان لا يختص به المسلمون والشيعة، بل نرى جميع الديانات والمذاهب يتطلعون إلى المنقذ ليخلصهم من الظلم، ويؤمنون بضرورة ظهور شخصية عادلة تحمل مبادئ وقيم المساواة والرحمة والعطف عن الناس.

المقدمة الثالثة: المهدي يسير على سنن الأنبياء والرسل، وما جرى للمهدي في الغيبتين وما يجري يعدّ في نظر النصوص والأخبار مسارًا طبيعيًّا لسيرة الأنبياء والرسل والأوصياء، وأن مسيرته عليه السلام هي نفسها مسيرة آبائه وأجداده عليهم السلام في تحمّل المشاق والمصاعب، ويعمل بسنن الماضين، وهذه مشيئة اللّه تعالى في عباده وأوليائه.

وهذا ما نطقت به النصوص الشريفة، ومنها:

عن سدير، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: «إِنَّ لِلْقَائِمِ مِنَّا غَيْبَةً يَطُولُ أَمَدُهَا. فَقُلْتُ لَهُ: وَلِمَ ذَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عزّ وجلّ أَبَى إِلَّا أَنْ يُجْرِيَ فِيهِ سُنَنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام فِي غَيْبَاتِهِمْ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ يَا سَدِيرُ مِنِ اسْتِيفَاءِ مَدَدِ غَيْبَاتِهِمْ، قَالَ اللَّهُ عزّ وجلّ: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**﴾ أَيْ سَنَنًا عَلَى سَنَنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[1].

ومن الملفت حقًّا أن مدة الغيبة تشهد فيها المسيرة الإنسانية تجارب وتحوّلات اجتماعية وفكرية وثقافية، تؤسّس تيارات، وتبني معتقدات، وتظهر رؤى وأباطيل، حتى يصل الحال إلى أن كثيرًا من الناس يعتقد بها. إلّا أن في منتهى الطريق سوف نلحظ كيف تتحوّل البشرية إلى قناعة واعتقاد بالمهدي، نصل فيها نحن البشر إلى مرحلة التسليم بالمهدي عليه السلام. والمهم

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤٨٠ - ٤٨١.

أن الطبيعة البشرية تخوض تجربة العمل الديني وغيره، ويحدث فيها تحوّلات، والأمة كغيرها من الأمم يجري فها ما جرى لتلك كما تنبأ به أئمة أهل البيت عليهم السلام وقبلهم جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم من الأولين وأحوالهم»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «لتركبن طبقًا عن طبق» أي سير من كان قبلكم.

وقال علي عليه السلام: «لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء»[٢].

المقدمة الرابعة: تيارات التشكيك في القضية المهدوية. فقد جاءت النصوص الشريفة لتخبرنا عن وقوع الفتن والحوادث الابتلائية في الأمة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الأمة وإلى غيبة حفيده ووصيه المهدي، إلَّا أن أشد ما سوف يقع فيه المسلم والمؤمن على حد سواء حالة التشكيك في قضية أصبحت من القضايا الإسلامية وضرورة من ضروريات الدين، ومسلَّمة من المسلَّمات العقائدية، ومبدأً من مبادئ الغيب، والتي تتوقّف عليها كثير من المسلَّمات التي لا تنتهي إلى حدِّ التشكيك بها، لذا الخلل العقائدي بالمهدي في ولادته ووجوده الفعلي في كل زمان منذ ولادته يسبّب خللًا في بقية المنظومة القعائدية لدى المسلم.

أما حالة الشك كمرض نفسي فأمر طبيعي يمرّ به الإنسان، وذلك لأسباب كثيرة منها الفراغ العلمي والروحي لدى المشكك بالقضية المشكوك فيها. مع أن الشك يجب أن يكون مبدأً للوصول للحق وليس البقاء على

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج١٤، ص ٢٠٤.
(٢) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج١، ص ٢٤٨.

الشك وإلَّا أدرية. والقضية المهدوية كغيرها من القضايا الإسلامية جرى فيها الجدل والحوار والمناقشة مع ما ورد فيها من النصوص المتواترة، وربما تعدّ أشد القضايا الإسلامية المثارة التي أوجدت جدلًا كبيرًا في أوساط الساحة الإسلامية، لذا الضرورة تقتضي أخذ موضوع المهدي على البحث المنطقي وليس التعصّب المذهبي، فالإشكال في هذه المسألة وفي غيرها إذا أخذ الموضوع بروح عصبية وبروح عنفية وبطريقة غير علمية يوقعنا في دائرة لا تنتهي إلى نتيجة، خصوصًا إذا تقمّصنا ثقافة التضليل والكذب والافتراءات.

وللأسف نرى -حسب تتبعنا لمواقع التواصل الاجتماعي- أن هناك من الشباب المؤمن من يجعل الشك علمًا، ويستبدل اليقين بالشك. فالكثير من الشباب لا يمتلك ثقافة عن قضية المهدي، وليس لديه علم بالعقيدة المهدوية، ولا يحيط معرفة بأصول الدين، ناهيك عن إصغاء البعض إلى تيار الشكوكية حتى يصل إلى مرحلة الشك بالمهدي عليه السلام في ولادته وغيبته وأصل وجوده، فهذا والأسف واقعنا المرير الذي يعايشه الشباب من الذكور والإناث من التشكيك في العقيدة، وهذا ما أخبرنا به الإمام عليه السلام: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل»[1].

المقدمة الخامسة: التسليم لأمر اللَّه في المعتقدات والإيمان بالغيب. إن أهم ما يتميَّز به المؤمن عن غيره هو تسليمه لأمر اللَّه تعالى في الغيبيات.

فبعض المسائل نعتقد ونسلّم بها لكونها أمرًا من اللَّه تعالى حتى لو لم تنكشف لنا، لقاعدة ألَّا علم لنا بالخير والشر والسعادة والشقاء والهداية والضلال، إلَّا من خالقنا سبحانه وتعالى، فهو أعلم بخيرنا وشرنا وهدايتنا

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤٨٢.

وسعادتنا، وليس كل ما لا يعلم يُعَدُّ شرًّا لها، وليس كل ما يعلم هو خير لنا، إلَّا أن القاعدة الإسلامية تقول: كل ما يعلم وما لا يعلم يعلم به اللَّه تعالى فهو في كل الحالات خير لنا ما إذا كان مصدر فعلنا ليس مخالفًا لأمر اللَّه تعالى.

وما جرى للمهدي الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام الثابت بالنص، من غياب منذ ولادته وإلى يومنا هذا وإلى يوم ظهوره يُعَدُّ قطعًا من علم الغيب، وهو خير لنا وإن جهلنا بوجه الحكمة في غيبته، فهو لا يدل على خطأ الغيبة، وحتى لو أحطنا بشيء من العلم في سبب غيبته عليه السلام، فهذا لا يعني الفهم الكامل والمعرفة التامّة بالسبب.

عن عبداللَّه بن الفضل قال: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل.

فقلت له: وَلِمَ جعلت فداك؟

قال عليه السلام: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم»[1].

أي إن الغيبة لها أسبابها، ولكن معرفة السبب الحقيقي متعلّق بإذن اللَّه وبأمره عزّ وجلّ في جواز كشفه أو إخفائه أو بيانه للناس.

وهذا حال بعض غيبات الأنبياء والرسل واختفائهم عن قومهم لفترات؛ لذا سأل عبداللَّه الفضل الإمام الصادق عليه السلام عن وجه الحكمة في غيبة المهدي عليه السلام.

فأجاب الإمام قائلًا: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤٨٢.

من تقدمه من حجج اللَّه تعالى ذكره»[١].

وقصة الخضر مع نبي اللَّه موسى عليه السلام قال الخضر لموسى: «إني وُكِلْتُ بأمر لا تُطيقه، ووكلت أنت بأمر لا أطيقه»[٢].

وقال له: «يَا مُوسَى، إِن لي علمًا لَا يَنْبَغِي أَن تعلمه، وَإِن لَك علمًا لَا يَنْبَغِي لي أعلمهُ»[٣].

مما يدل على أن لكل واحد منهما دور مختلف لأداء الرسالة، لذا تعلّمنا من قصتهما أهم الدروس الربانية: أننا لسنا مكلّفين بمعرفة الحكمة من كل شيء، ومن تلك الأشياء وجه الحكمة من غيبة مولانا المهدي عليه السلام.

لماذا؟

لأن هذا الأمر من اللَّه، وسر من سر الله»، ولأنه من الغيب الذي أوجب اللَّه علينا التسليم به، لعلمنا أن اللَّه تعالى حكيم لا يفعل الشيء إلَّا بحكمة سبحانه وتعالى، وهذا من دواعي التسليم بالغيب.

والغيبة وأسرارها مصداق جليٌّ للإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ أي بما غاب عن حواسنا.

المقدمة السادسة: في زمن الغيبة الصغرى كان عند الإمام أربعة سفراء خاصّين، وهم الواسطة بينه وبين شيعته، إلَّا أنه بعد الغيبة الكبرى انتهى عصر السفارة وبدأ عصر الوكلاء، ويُطلق على الوكلاء (بالنيابة العامة)، وهم

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤٨٢.
(٢) تفسير القمي، ج٢، ص ٣٨.
(٣) الدر المنثور بالتفسير بالمأثور، ج٥، ٤١١.

الفقهاء والعلماء ممّن تنطبق عليهم شروط المرجعية الفقهية، وهم مراجع الدين وحفظة الشريعة، ودورهم يتلخّص في أمور، منها:

أولًا: إيصال علوم أهل البيت عليهم السلام إلى كافة الناس.
ثانيًا: أخذ الحقوق الشرعية وصرفها في موقعها الشرعي.
ثالثًا: رئاسة منصب القضاء والإفتاء.
رابعًا: هداية الناس وإرشادهم، وحلّ مشاكلهم وقضاياهم.

والخلاصة: إن النيابة العامة تختلف عن النيابة الخاصة، فالنيابة الخاصة هي استنابة الإمام عليه السلام شخصًا لإيصال أقواله وأوامره لأتباعه وشعيته.

والنيابة العامة: استنابة الإمام في الأمور الشرعية المتّفق عليها والواردة في النصوص والروايات، كأخذ الحق الشرعي وصرفه لمستحقيه، والإفتاء، ومنصب القضاء، والدفاع عن العقيدة، وحفظ الناس من الضلال.

ويتلخّص دور الفقهاء والعلماء في الغيبة الكبرى في:

أولًا: حفظ الكيان الإسلامي.
ثانيًا: حفظ الدين الإسلامي.

وعليه يرى الشيعة أن عصر الغيبة الكبرى انقطعت فيه السفارة الخاصة وبقي الأمر للوكلاء العامين، كما ورد في الرواية: «من كان من الفقهاء صائنًا نفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا على هواه، مطيعًا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»[1].

فكل من يدّعي السفارة وأنه يلتقي بالإمام أو يتلقّى الأوامر منه مباشرة

(١) وسائل الشيعة، ج٢٧، ص ١٣١.

فهذا يُعَدُّ في نظر الفقهاء والعلماء والشيعة عامة مفتريًا وكذّابًا؛ لأن هذا الادِّعاء خلاف العقيدة.

سئل أحد المراجع العظام عن شخص ادّعى السفارة، وأنه يلتقي بالإمام الحجة عليه السلام، وأنه عيأمر ببعض الأوامر كإنشاء حسينية أو بناء مسجد أو غير ذلك من الأوامر، وأمر الناس بعدم الصلاة خلف أحد العلماء القائمين بأمور الجماعة، وجعل صندوقًا خشبيًّا قديمًا في منزله يدعو الناس فيه للتبرك به، بدعوى أنه تلقَّاه من الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فكان الجواب: لا اعتبار بهذه الأقوال، ولا بشيء من الصندوق وغيره، ولا يثبت شرعًا فسق العالم، وعدم عدالة إمام الجماعة بما ذكر، وعلى المؤمنين أن يتجنّبوا ارتكاب أمر يوجب الوهن في المذهب، كالاجتماع حول الصندوق والتبرك به وأمثال ذلك»[1].

(١) صراط النجاة، ج٥، ص٣٢٠.

العامل الأمني في غياب المهدي

من أسباب غيبة المهدي وربما يكون أهم الأسباب إن لم يكن السبب الوحيد، أن الإمام عليه السلام يخشى على نفسه القتل، وتجربة من كان قبله من الأئمة الأطهار عليهم السلام مع حكّام الأمة الإسلامية وطواغيتها خير دليل، فالأئمة الذين قبل المهدي إما مقتول أو مسموم، حيث دفعوا الثمن غاليًا بسبب مواقفهم تجاه قضايا الدين وأمور المسلمين، فدورهم الرسالي معروف لدى القريب والبعيد، فكيف والمهدي مُناط به دولة العدل الإلهي، وهو ممّن يتصدَّى لتحقيق حكومة عالمية ترفض فيها كل إشكال الظلم والقهر والتسلُّط؛ فلهذا لا بد من أن يحافظ على حياته إلى أن يأذن اللَّه له بالظهور.

وهل يخفى على أحد من العلماء والمحقّقين ما ثبت في التاريخ، من أن بني العباس ودولتهم كانوا مهتمين بمعرفة من هو الخليفة من بعد الإمام العسكري، وكانوا يبحثون عنه لتصفيته، فهذا ابن وزير الخليفة العباسي عبداللَّه بن يحيى بن خاقان يشيران إلى عملية البحث هذه، وما اتخذه خلفاء بني العباس من إجراءات ضد الإمام الحجة.

فأحمد بن عبداللَّه بن يحيى بن خاقان عامل السلطان يومئذٍ على

الخراج والضياع بكورة قم، وكان من أعداء آل محمد، ومن أنصب خلق اللَّه لأولياء اللَّه.

قال أحمد بن عبداللَّه بن خاقان: جئت فجلست بين يدي أبي عبداللَّه ابن يحيى، فقال: يا أحمد، ألك حاجة؟

فقلت: نعم يا أبه، إن أذنت سألتك عنها.

فقال: قد أذنت لك يا بني، فقل ما أحببت.

فقلت له: يا أبه، من كان الرجل الذي أتاك بالغداة، وفعلت به ما فعلت من الإجلال والإكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وبأبويك؟

فقال: يا بني، ذاك إمام الرافضة، ذاك ابن الرضا، فسكت ساعة، فقال: يا بني، لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقّها أحد من بني هاشم غير هذا، فإن هذا يستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه لرأيت رجلًا جليلًا نبيلًا خيِّرًا فاضلًا فازددت قلقًا وتفكّرًا وغيظًا على أبي ممَّا سمعت منه فيه، ولم يكن لي همّة بعد ذلك إلَّا السؤال عن خبره، والبحث عن أمره، فما سألت عنه أحدًا من بني هاشم ومن القُوَّاد والكتَّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلَّا وجدتُهُ عندهم في غاية الإجلال والإعظام، والمحلِّ الرفيع، والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه وغيرهم، وكلٌّ يقول: هو إمام الرافضة، فعظم قدره عندي؛ إذ لم أرَ له وليًّا ولا عدوًّا إلَّا وهو يُحسن القول فيه والثناء عليه.

فقال له بعض أهل المجلس من الأشعريين: يا أبا بكر، فما خبر أخيه

جعفر؟

فقال: ومن جعفر فيُسأل عن خبره أو يُقرن به، إن جعفرُا مُعلن بالفسق، ماجن شِرِّيب للخمور، وأقلّ من رأيته من الرجال، وأهتكهم لستره، فَدْمٌ خمَّار، قليل في نفسه، خفيف، واللَّه لقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي عليه السلام ما تعجبت منه وما ظننت أنه يكون.

وذلك أنه لما اعتلَّ الإمام الحسن العسكري بعث إلى أبي: أن ابن الرضا قد اعتلَّ، فركب من ساعته مبادرًا إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلًا ومعه خمسة نفر من خدم أمير المؤمنين (المعتصم) كلهم من خاصته، ومنهم نحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي، وتعرَّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطبّبين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده في صباح ومساء.

فلما كان بعد ذلك بيومين جاءه من أخبره أنه قد ضعف، فركب حتى بكَّر إليه، ثم أمر المتطبّبين بلزومه، وبعث إلى قاضي القضاة وأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممَّن يُوثق في دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن عليه السلام، وأمرهم بلزومه ليلًا ونهارًا، فلم يزالوا حتى تُوفِّي الإمام لأيام مضت من شهر ربيع أول من سنة ستين ومائتين، فصارت سر من رأى ضجّة واحدة: مات ابن الرضا.

وبعث السلطان إلى داره من يفتّشها، ويفتّش حجرها، وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحبل، فدخلن على جواريه فنظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية فيها حبل، فأُمِرَ بها فجُعِلَتْ في حجرة، وَوُكِّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم.

ثم قال أحمد بن خاقان: ولم يزل الذين وُكِّلُوا بحفظ الجارية التي

توهَّموا عليها الحبل ملازمين لها سنتين، وأكثر، حتى تبيَّن لهم بطلان الحبل»[١].

أقول: لعل هذا تدبير من اللَّه سبحانه وتعالى حتى يُخفي أنظارهم عن الإمام الحجة عجل الله فرجه، فتوهَّموا أن تلك الجارية حامل.

مهزلة جعفر الكذاب: يدفع المال للخليفة ليصبح إمامًا:

ثم بعد ذلك ذكر ابن خاقان قصة جعفر أخ الإمام العسكري عليه السلام ومناوأته للإمام الحجة، ومطالبته أن يكون وصيًّا، يقول: وخرجنا والأمر على هذا الحال والسلطان يطلب أثر ابن الحسن حتى اليوم.

وجعفر صاحب الانحرافات العظيمة أراد أن يدَّعي الإمامة بعد الإمام العسكري عليه السلام، وأن يستعين بالسلطات العباسية على هذا الموضوع، ووعدهم بإعطائهم مبالغ مالية.

وليكن في البال أن أتباع أهل البيت يعتبرون أيَّ شخص يستعين بالسلطات الظالمة ليثبت موقعه مدعيًا باطلًا، لأن الإمامة قائمة على مناوأة الظالمين، وقيادة الجماهير، فهو يستعين بالظالمين، فهذا بالطبع يكشف زيف ادّعائه.

لذا عندما قال له بعض أهل المجلس من الأشعريين: «يا أبا بكر فما حال أخيه جعفر؟

فقال: ومن جعفر فيسأل عن خبره أو يُقرن به؟ إن جعفرًا مُعلن بالفسق، ما جن، شِرِّيب للخمور، أقل من رأيت من الرجال، وأهتكهم لستره بنفسه

(١) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص - ٤٣.

فَدْمٌ خمَّار، قليل في نفسه، خفيف».

يقول أحمد بن خاقان: «فجاء جعفر بعد قسمة الميراث إلى أبي وقال له: اجعل لي مرتبة أبي وأخي، وأُوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار مُسَلَّمَة.

فزبره أبي وأسمعه، وقال له: يا أحمق، إن السلطان أعزَّه اللَّه جرَّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردَّهم عن ذلك فلم يقدر عليه لم يتهيَّأ لهم صرفهم عن هذا القول فيهما، وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيَّأ له ذلك»[١].

قال الصدوق رَحِمَهُ اللَّهُ في إكمال الدين في غير هذا الخبر: «وقد كان جعفر حمل إلى الخليفة ألف دينار لما تُوفِّي الحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال له: يا أمير المؤمنين، تجعل لي مرتبة أخي ومنزلته؟ فقال الخليفة: اعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا إنما كانت باللَّه عَزَّ وَجَلَّ، ونحن كُنَّا نجتهد في حطِّ منزلته والوضع منه، وكان اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يأبى إلَّا أن يزيده كل يوم رِفْعَةً بما كان فيه من الصيانة وحسن السَّمْت والعلم والعبادة، فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته، ولم يكن فيك ما في أخيك لم نُغْنِ عنك في ذلك شيئًا»[٢].

وعن القنبري قال: «خرج صاحب الزمان على جعفر الكذَّاب من موضع لم يعلم به عندما نازع في الميراث عند مضي أبي محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال له: يا جعفر، ما لك تعرض في حقوقي؟ فتحيَّر جعفر وبُهِتَ، ثم غاب عنه

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٤٤.
(٢) مرآة العقول، ج٦، ص١٤٦.

فطلبه جعفر بعد ذلك في الناس فلم يره، فلما ماتت الجدة أم الحسن أمرت أن تدفن في الدار، فنازعهم وقال: هي داري، لا تُدفن فيها، فخرج عليه السلام فقال له: يا جعفر، أدارك هي؟ ثم غاب فلم يره بعد ذلك»[١].

وورد عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يا بن رسول اللَّه، أخبرني بالذين فرض اللَّه طاعتهم ومودَّتهم، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال لي: «يا أبا كَنْكَر (وهو لقب أبي خالد الكابلي)، إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا. ثم سكت الإمام عليه السلام فقلت له: يا سيدي، روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا تخلو الأرض من حجة للَّه على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟

قال: ابني محمد، واسمه في التوراة باقر، يبقر العلم بقرًا، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، اسمه عند أهل السماء الصادق.

فقلت: يا سيدي، فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون؟

فقال: حدَّثني أبي عن أبيه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسمُّوه الصادق، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدَّعي الإمامة اجتراءً على اللَّه وكذبًا عليه.

---

(١) مرآة العقول، ج٦، ص١٤٦.

فهو عند اللَّه جعفر الكذّاب، المفتري على اللَّه، المدَّعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه، ذلك الذي يكشف سر اللَّه عند غيبة ولي اللَّه.

ثم بكى علي بن الحسين بكاءً شديدًا، ثم قال: كأني بجعفر الكذَّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي اللَّه والمغيَّب في حفظ اللَّه، والتوكيل بحرم أبيه جهلًا منه بولادته، وحرصًا على قتله إن ظفر به، طمعًا في ميراث أبيه حتى يأخذ بغير حق.

قال أبو خالد: فقلت له: يا بن رسول اللَّه، وإن ذلك لكائن؟

فقال: إيْ وربِّي، إنه المكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم

فقال أبو خالد: فقلت يا بن رسول اللَّه، ثم يكون ماذا؟

قال: ثم تمتد الغيبة بولي اللَّه الثاني عشر من أوصياء رسول اللَّه والأئمة بعده.

يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان؛ لأن اللَّه تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة. وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول اللَّه بالسيف، أولئك المخلصون حقًّا، وشيعتنا صدقًا، والدعاة إلى دين اللَّه سرًّا وجهرًا»[1].

من قصة أحمد بن خاقان وغيرها يتضح لنا أن من أهم الأسباب

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج٢، ص ٣١٨- ٣١٩.

وأخطرها في غيبة المهدي، وتأخّر ظهوره موقف الأمة الإسلامية من المهدي، وأعني بالأمة الإسلامية حكّامها وسلاطينها ومن يتحكّم في مصيرها من الحكّام والعلماء، حيث إن الموقف واحد منهما تجاه المهدي سياسيًّا وعقائديًّا.

قال السيد المرتضى المتوفَّى سنة ٤٣٦هـ: «إن سبب غيبته إخافة الظالمين له ومنع يده من التصرَّف فيما جعل إليه التصرف والتدبير له؛ لأن الإمام إنما ينتفع به إذ كان ممكنًا مطاعًا مخلًّى بينه وبين أغراضه ليقوّم الجناة، ويحارب البغاة، ويقيم الحدود، ويسدّ الثغور، وينصف المظلوم من الظالم، وكل هذا لا يتم إلَّا مع التمكين، فإذا حِيْل بينه وبين مراده سقط عنه فرض القيام بالإمامة، فإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره»[١].

وأيّد شيخ الطائفة الطوسي علم الهدى في هذا الرأي فقال: «لا علة تمنع من ظهور الحجة إلَّا خوفه على نفسه من القتل؛ لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمَّل المشاق والأذى، فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنما تعظم لتحمّلهم المشاق العظيمة في ذات اللَّه»[٢].

وهنا سؤال مهم طرحه الطوسي: كيف يخاف الحجة على نفسه القتل وآباؤه يخافون على أنفسهم من القتل ويستتر وهم لم يستتروا؟

وأجاب -رضوان اللَّه تعالى عليه- بقوله: «آباؤه عليهم حالهم بخلاف حاله؛ لأنه كان المعلوم من حال آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم أنهم لا يرون الخروج عليهم، ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف ويزيلون، الدول بل كان

(١) تنزيه الشيعة الاثني عشرية، أبو طالب التبريزي، ج٢، ص٥١٦.
(٢) الغيبة، للطوسي، ص ٣٢٩

المعلوم من حالهم أنهم ينتظرون مهديًّا لهم، وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم إذا أمنوهم على مملكتهم ولم يخافوا جانبهم.

وليس كذلك صاحب الزمان عليه السلام؛ لأن المعلوم منه أنه يقوم بالسيف، ويزيل الممالك، ويقهر كل سلطان، ويبسط العدل، ويميت الجور، فَمَنْ هذه صفته يُخاف جانبه، ويُتَّقى فورته، فيُتَتَبَّع ويُرصد، ويوضع العيون عليه، ويُعنى به خوفًا من وثبته، وريبة من تمكّنه، فيُخاف حينئذٍ، ويحوج إلى التحرُّز والاستظهار بأن يخفي شخصه عن كل من لا يأمنه من ولي وعدو إلى وقت خروجه»[1].

وكذلك أنه لو حدث بأحد المعصومين عليهم السلام حادث من الذين سبقوا الحجة لكان هناك من يقوم مقامه ويسدّ مسدّه من أولادهم، وليس كذلك الأمر مع صاحب الزمان؛ لأن المعلوم أنه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقته وقيامه بالسيف؛ فلذلك وجب استتاره وغيبته.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[2].

وعليه لا عجب حينئذٍ أن يكون موقف الأمة الإسلامية وحكّامها وسلاطينها الظلمة تجاه المهدي سلبيًّا يؤدّي إلى قتله أو نفيه؛ لأن قضية المهدي قضية تعني أولًا وبالذات قضية عقيدة الإمامة والخلافة الإلهية، ولأن الأمة أعلنت موقفها تجاه هذه القضية والعقيدة من أول لحظة بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فلا غرابة حينئذٍ أن يكون موقفها من المهدي العداء والقتل.

---

(١) الغيبة للطوسي، ص ٣٣٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

عن سدير قال: «سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: إِنَّ فِي الْقَائِمِ سُنَّةً مِنْ يُوسُفَ، قُلْتُ: كَأَنَّكَ تَذْكُرُ حَيْرَةً أَوْ غَيْبَةً، قَالَ لِي: وَمَا تُنْكِرُ مِنْ هَذَا هَذِهِ الْأُمَّةُ أَشْبَاهُ الْخَنَازِيرِ، إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ كَانُوا أَسْبَاطًا أَوْلَادَ أَنْبِيَاءَ، تَاجَرُوا يُوسُفَ وَبَايَعُوهُ وَخَاطَبُوهُ وَهُمْ إِخْوَتُهُ وَهُوَ أَخُوهُمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوهُ حَتَّى قَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: أَنَا يُوسُفُ، فَمَا تُنْكِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمَلْعُونَةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عز وجل فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ يُرِيدُ أَنْ يَسْتُرَ حُجَّتَهُ، لَقَدْ كَانَ يُوسُفُ إِلَيْهِ مُلْكُ مِصْرَ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِهِ مَسِيرَةُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ عز وجل أَنْ يُعَرِّفَ مَكَانَهُ لَقَدَرَ عَلَى ذَلِكَ. وَاللَّهِ، لَقَدْ سَارَ يَعْقُوبُ وَوُلْدُهُ عِنْدَ الْبِشَارَةِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ بَدْوِهِمْ إِلَى مِصْرَ. فَمَا تُنْكِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَفْعَلُ بِحُجَّتِهِ مَا فَعَلَ بِيُوسُفَ، أَنْ يَكُونَ يَسِيرُ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَيَطَأُ بُسُطَهُمْ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ عز وجل لَهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ نَفْسَهُ كَمَا أَذِنَ لِيُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿**هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ قالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي**﴾[1]»[2].

وعن سدير الصيرفي في قال: «دَخَلْتُ أَنَا وَالْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ وَأَبُو بَصِيرٍ وَأَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ عَلَى مَوْلَانَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، فَرَأَيْنَاهُ جَالِسًا عَلَى التُّرَابِ وَعَلَيْهِ مِسْحٌ خَيْبَرِيٌّ مُطَوَّقٌ بِلَا جَيْبٍ مُقَصَّرُ الْكُمَّيْنِ، وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءَ الْوَالِهِ الثَّكْلَى ذَاتِ الْكَبِدِ الْحَرَّى، قَدْ نَالَ الْحُزْنُ مِنْ وَجْنَتَيْهِ، وَشَاعَ التَّغَيُّرُ فِي عَارِضَيْهِ، وَأَبْلَى الدُّمُوعُ مَحْجِرَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: سَيِّدِي، غَيْبَتُكَ نَفَتْ رُقَادِي، وَضَيَّقَتْ عَلَيَّ مِهَادِي، وَأَسَرَتْ مِنِّي رَاحَةَ فُؤَادِي. سَيِّدِي، غَيْبَتُكَ أَوْصَلَتْ مُصَابِي بِفَجَائِعِ الْأَبَدِ، وَفَقْدُ الْوَاحِدِ بَعْدَ الْوَاحِدِ، يُفْنِي الْجَمْعَ وَالْعَدَدَ، فَمَا أُحِسُّ بِدَمْعَةٍ تَرْقَى مِنْ عَيْنِي، وَأَنِينٍ يَفْتُرُ مِنْ صَدْرِي، عَنْ دَوَارِجِ الرَّزَايَا،

(١) سورة يوسف، الآية ٨٩ - ٩٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٨، حديث ١.

وَسَوَالِفِ الْبَلَايَا، إِلَّا مُثِّلَ لِعَيْنِي عَنْ عَوَائِرِ أَعْظَمِهَا وَأَفْظَعِهَا، وَتَرَاقِي أَشَدِّهَا وَأَنْكَرِهَا، وَنَوَائِبَ مَخْلُوطَةٍ بِغَضَبِكَ، وَنَوَازِلَ مَعْجُونَةٍ بِسَخَطِكَ.

قَالَ سَدِيرٌ: فَاسْتَطَارَتْ عُقُولُنَا وَلَهًا، وَتَصَدَّعَتْ قُلُوبُنَا جَزَعًا عَنْ ذَلِكَ الْخَطْبِ الْهَائِلِ، وَالْحَادِثِ الْغَائِلِ، وَظَنَنَّا أَنَّهُ سِمَةٌ لِمَكْرُوهَةٍ قَارِعَةٍ، أَوْ حَلَّتْ بِهِ مِنَ الدَّهْرِ بَائِقَةٌ، فَقُلْنَا: لَا أَبْكَى اللَّهُ -يَا ابْنَ خَيْرِ الْوَرَى- عَيْنَيْكَ مِنْ أَيِّ حَادِثَةٍ تَسْتَنْزِفُ دَمْعَتَكَ، وَتَسْتَمْطِرُ عَبْرَتَكَ، وَأَيَّةُ حَالَةٍ حَتَمَتْ عَلَيْكَ هَذَا الْمَأْتَمَ؟

قَالَ: فَزَفَرَ الصَّادِقُ عليه السلام زَفْرَةً انْتَفَخَ مِنْهَا جَوْفُهُ، وَاشْتَدَّ مِنْهَا خَوْفُهُ، وَقَالَ: وَيْلَكُمْ إِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابِ الْجَفْرِ صَبِيحَةَ هَذَا الْيَوْمِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى عِلْمِ الْمَنَايَا وَالْبَلَايَا وَالرَّزَايَا، وَعِلْمِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الَّذِي خَصَّ اللَّهُ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ- بِهِ مُحَمَّدًا وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَتَأَمَّلْتُ فِيهِ مَوْلِدَ قَائِمِنَا، وَغِيبَتَهُ وَإِبْطَاءَهُ، وَطُولَ عُمُرِهِ، وَبَلْوَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَتَوَلُّدَ الشُّكُوكِ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ طُولِ غَيْبَتِهِ، وَارْتِدَادَ أَكْثَرِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَخَلْعَهُمْ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ: ﴿**وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾[1] يَعْنِي الْوَلَايَةَ، فَأَخَذَتْنِي الرِّقَّةُ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيَّ الْأَحْزَانُ.

فَقُلْنَا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، كَرَّمْنَا وَشَرَّفْنَا بِإِشْرَاكِكَ إِيَّانَا فِي بَعْضِ مَا أَنْتَ تَعْلَمُهُ مِنْ عِلْمٍ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَدَارَ فِي الْقَائِمِ مِنَّا ثَلَاثَةً، أَدَارَهَا فِي ثَلَاثَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، قَدَّرَ مَوْلِدَهُ تَقْدِيرَ مَوْلِدِ مُوسَى عليه السلام، وَقَدَّرَ غَيْبَتَهُ تَقْدِيرَ غَيْبَةِ عِيسَى عليه السلام، وَقَدَّرَ إِبْطَاءَهُ تَقْدِيرَ إِبْطَاءِ نُوحٍ عليه السلام، وَجَعَلَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عُمُرَ

(١) سورة الإسراء، الآية ١٣.

الْعَبْدِ الصَّالِحِ -أَعْنِي الْخَضِرَ- دَلِيلًا عَلَى عُمُرِهِ.

فَقُلْتُ: اكْشِفْ لَنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَنْ وُجُوهِ هَذِهِ الْمَعَانِي. قَالَ: أَمَّا مَوْلِدُ مُوسَى فَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا وَقَفَ عَلَى أَنَّ زَوَالَ مُلْكِهِ عَلَى يَدِهِ أَمَرَ بِإِحْضَارِ الْكَهَنَةِ، فَدَلُّوهُ عَلَى نَسَبِهِ، وَأَنَّهُ يَكُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِشَقِّ بُطُونِ الْحَوَامِلِ مِنْ نِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى قَتَلَ فِي طَلَبِهِ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَوْلُودٍ، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْوُصُولُ إِلَى قَتْلِ مُوسَى لِحِفْظِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهُ، كَذَلِكَ بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو الْعَبَّاسِ لَمَّا وَقَفُوا عَلَى أَنَّ زَوَالَ مُلْكِهِمْ وَالْأُمَرَاءِ وَالْجَبَابِرَةِ مِنْهُمْ عَلَى يَدِ الْقَائِمِ مِنَّا نَاصَبُونَا الْعَدَاوَةَ، وَوَضَعُوا سُيُوفَهُمْ فِي قَتْلِ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَإِبَادَةِ نَسْلِهِ، طَمَعًا مِنْهُمْ فِي الْوُصُولِ إِلَى قَتْلِ الْقَائِمِ عليه السلام، وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ يَكْشِفَ أَمْرَهُ لِوَاحِدٍ مِنَ الظَّلَمَةِ إِلَى أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ... وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

وَأَمَّا غَيْبَةُ عِيسَى عليه السلام فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّفَقَتْ عَلَى أَنَّهُ قُتِلَ، وَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ عز وجل بِقَوْلِهِ: ﴿**وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[1]، كَذَلِكَ غَيْبَةُ الْقَائِمِ عليه السلام، فَإِنَّ الْأُمَّةَ تُنْكِرُهَا لِطُولِهَا، فَمِنْ قَائِلٍ بِغَيْرِ هُدًى بِأَنَّهُ لَمْ يُولَدْ، وَقَائِلٍ يَقُولُ: إِنَّهُ وُلِدَ وَمَاتَ، وَقَائِلٍ يَكْفُرُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ حَادِيَ عَشَرَنَا كَانَ عَقِيمًا، وَقَائِلٍ يَمْرُقُ بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ يَتَعَدَّى إِلَى ثَالِثَ عَشَرَ فَصَاعِدًا، وَقَائِلٍ يَعْصِي اللَّهَ عز وجل بِقَوْلِهِ: إِنَّ رُوحَ الْقَائِمِ عليه السلام يَنْطِقُ فِي هَيْكَلِ غَيْرِهِ.

وَأَمَّا إِبْطَاءُ نُوحٍ عليه السلام فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَنْزَلَ الْعُقُوبَةَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ السَّمَاءِ بَعَثَ اللَّهُ عز وجل جَبْرَئِيلَ الرُّوحَ الْأَمِينَ بِسَبْعَةِ نَوَيَاتٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لَكَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ خَلَائِقِي وَعِبَادِي، وَلَسْتُ أُبِيدُهُمْ بِصَاعِقَةٍ مِنْ صَوَاعِقِي إِلَّا بَعْدَ تَأْكِيدِ الدَّعْوَةِ، وَإِلْزَامِ الْحُجَّةِ، فَعَاوِدْ اجْتِهَادَكَ فِي الدَّعْوَةِ

(١) سورة النساء، الآية ١٥٧.

لِقَوْمِكَ، فَإِنِّي مُثِيبُكَ عَلَيْهِ، وَاغْرِسْ هَذَا النَّوَى، فَإِنَّ لَكَ فِي نَبَاتِهَا وَبُلُوغِهَا وَإِدْرَاكِهَا إِذَا أَثْمَرَتِ الْفَرَجَ وَالْخَلَاصَ، فَبَشِّرْ بِذَلِكَ مَنْ تَبِعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا نَبَتَتِ الْأَشْجَارُ وَتَأَزَّرَتْ وَتَسَوَّقَتْ وَتَغَصَّنَتْ وَأَثْمَرَتْ وَزَهَا الثَّمَرُ عَلَيْهَا بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ اسْتَنْجَزَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِدَةَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَغْرِسَ مِنْ نَوَى تِلْكَ الْأَشْجَارِ، وَيُعَاوِدَ الصَّبْرَ وَالِاجْتِهَادَ، وَيُؤَكِّدَ الْحُجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ الطَّوَائِفَ الَّتِي آمَنَتْ بِهِ، فَارْتَدَّ مِنْهُمْ ثَلَاثُ مِائَةِ رَجُلٍ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ مَا يَدَّعِيهِ نُوحٌ حَقًّا لَمَا وَقَعَ فِي وَعْدِ رَبِّهِ خُلْفٌ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ يَأْمُرُهُ عِنْدَ كُلِّ مَرَّةٍ أَنْ يَغْرِسَهَا تَارَةً بَعْدَ أُخْرَى، إِلَى أَنْ غَرَسَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ الطَّوَائِفُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَرْتَدُّ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، إِلَى أَنْ عَادَ إِلَى نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَقَالَ: يَا نُوحُ الْآنَ أَسْفَرَ الصُّبْحُ عَنِ اللَّيْلِ لِعَيْنِكَ حِينَ صَرَّحَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَصَفَا الْأَمْرُ لِلْإِيمَانِ مِنَ الْكَدَرِ بِارْتِدَادِ كُلِّ مَنْ كَانَتْ طِينَتُهُ خَبِيثَةً، فَلَوْ أَنِّي أَهْلَكْتُ الْكُفَّارَ وَأَبْقَيْتُ مَنْ قَدِ ارْتَدَّ مِنَ الطَّوَائِفِ الَّتِي كَانَتْ آمَنَتْ بِكَ لَمَا كُنْتُ صَدَقْتُ وَعْدِيَ السَّابِقَ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا التَّوْحِيدَ مِنْ قَوْمِكَ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ نُبُوَّتِكَ بِأَنْ أَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَأُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمْ، وَأُبَدِّلَ خَوْفَهُمْ بِالْأَمْنِ، لِكَيْ تَخْلُصَ الْعِبَادَةُ لِي بِذَهَابِ الشَّكِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَكَيْفَ يَكُونُ الِاسْتِخْلَافُ وَالتَّمْكِينُ وَبَدَلُ الْخَوْفِ بِالْأَمْنِ مِنِّي لَهُمْ مَعَ مَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ ضَعْفِ يَقِينِ الَّذِينَ ارْتَدُّوا، وَخُبْثِ طِينَتِهِمْ، وَسُوءِ سَرَائِرِهِمُ الَّتِي كَانَتْ نَتَائِجَ النِّفَاقِ وَسُنُوحَ الضَّلَالَةِ، فَلَوْ أَنَّهُمْ تَسَنَّمُوا مِنِّي مِنَ الْمُلْكِ الَّذِي أُوتِيَ الْمُؤْمِنِينَ وَقْتَ الِاسْتِخْلَافِ إِذَا أَهْلَكْتُ أَعْدَاءَهُمْ لَنَشَقُوا رَوَائِحَ صِفَاتِهِ، وَلَاسْتَحْكَمَتْ سَرَائِرُ نِفَاقِهِمْ، وَتَأَبَّدَ حِبَالُ ضَلَالَةِ قُلُوبِهِمْ، وَكَاشَفُوا إِخْوَانَهُمْ بِالْعَدَاوَةِ، وَحَارَبُوهُمْ عَلَى طَلَبِ الرِّئَاسَةِ وَالتَّفَرُّدِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَكَيْفَ يَكُونُ

التَّمْكِينُ فِي الدِّينِ وَانْتِشَارُ الْأَمْرِ فِي الْمُؤْمِنِينَ مَعَ إِثَارَةِ الْفِتَنِ وَإِيقَاعِ الْحُرُوبِ، كَلَّا، فَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا.

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: وَكَذَلِكَ الْقَائِمُ عليه السلام تَمْتَدُّ أَيَّامُ غَيْبَتِهِ لِيُصَرِّحَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَيَصْفُوَ الْإِيمَانُ مِنَ الْكَدَرِ بِارْتِدَادِ كُلِّ مَنْ كَانَتْ طِينَتُهُ خَبِيثَةً مِنَ الشِّيعَةِ، الَّذِينَ يُخْشَى عَلَيْهِمُ النِّفَاقُ إِذَا أَحَسُّوا بِالاسْتِخْلَافِ وَالتَّمْكِينِ وَالْأَمْنِ الْمُنْتَشِرِ فِي عَهْدِ الْقَائِمِ عليه السلام.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ النَّوَاصِبَ تَزْعُمُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، قَالَ: لَا يَهْدِي اللَّهُ قُلُوبَ النَّاصِبَةِ مَتَى كَانَ الدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مُتَمَكِّنًا بِانْتِشَارِ الْأَمْنِ فِي الْأُمَّةِ، وَذَهَابِ الْخَوْفِ مِنْ قُلُوبِهَا، وَارْتِفَاعِ الشَّكِّ مِنْ صُدُورِهَا فِي عَهْدِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ وَفِي عَهْدِ عَلِيٍّ عليه السلام مَعَ ارْتِدَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالْفِتَنِ الَّتِي كَانَتْ تَثُورُ فِي أَيَّامِهِمْ وَالْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ تَنْشَبُ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَبَيْنَهُمْ، ثُمَّ تَلَا الصَّادِقُ عليه السلام: **﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا﴾**[1].

وَأَمَّا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْخَضِرُ عليه السلام فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا طَوَّلَ عُمُرَهُ لِنُبُوَّةٍ قَدَّرَهَا لَهُ، وَلَا لِكِتَابٍ يُنْزِلُهُ عَلَيْهِ، وَلَا لِشَرِيعَةٍ يَنْسَخُ بِهَا شَرِيعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا لِإِمَامَةٍ يُلْزِمُ عِبَادَهُ الِاقْتِدَاءَ بِهَا، وَلَا لِطَاعَةٍ يَفْرِضُهَا لَهُ. بَلَى إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنْ يُقَدِّرَ مِنْ عُمُرِ الْقَائِمِ عليه السلام فِي أَيَّامِ غَيْبَتِهِ مَا يُقَدِّرُ، وَعَلِمَ مَا يَكُونُ مِنْ إِنْكَارِ عِبَادِهِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ الْعُمُرِ فِي الطُّولِ، طَوَّلَ عُمُرَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ أَوْجَبَ ذَلِكَ إِلَّا لِعِلَّةِ الِاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى عُمُرِ الْقَائِمِ عليه السلام، وَلِيَقْطَعَ بِذَلِكَ حُجَّةَ الْمُعَانِدِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ

(١) سورة يوسف، الآية ١١٠.

عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ»[١].

وصرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام من تخوُّفهم الشديد حول المهدي وما عزمت عليه الأمة من قتله، وإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمَّا سوف يجري لأهل بيته عليهم السلام مصداق واقعي عن صدق تخوّفه على المهدي من القتل، كيف لا «والأمة مصرَّة على مقته، مجتمعة على قطيعة رحمه وإقصاء ولده إلَّا القليل ممَّن وفى لرعاية الحق فيهم، فقُتِلَ من قُتِلَ، وسُبي من سُبي، وأُقصي من أُقصي»[٢]، كل هذا جرى لأهل البيت عليهم السلام من قبل الأمة، فلا عجب ولا غرابة أن يحدث للمهدي كذلك.

والنصوص والأخبار والأنباء من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام صريحة واضحة الدلالة، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا بد للغلام من غيبة، فقيل له: ولِمَ يا رسول اللَّه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: يخاف القتل»[٣].

وعن زرارة قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل ظهوره، قلت ولِمَ؟ قال عليه السلام: يخاف، وأومأ بيده إلى بطنه، قال زرارة: يعني القتل»[٤].

وفي رواية عن زرارة، عن الصادق عليه السلام، قال: «للغلام غيبة قبل قيامه، قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف على نفسه الذبح»[٥].

وبسبب هذا الموقف الحادِّ من قِبَل الأمة الإسلامية تجاه المهدي وقضيته صار عدد العرب الأنصار للمهدي قليلًا في مقابل الجماعات

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٦٢، حديث ٩.
(٢) المزار الكبير، لابن المشهدي، ص ٥٧٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٢، حديث ١.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٣، حديث ٥.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٧، حديث ١٨.

والأفراد والمناصرين له من خارج القطر العربي.

عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبداللَّه عليه السلام أنه سمعه يقول: «ويل لطغاة العرب، من شرٍّ قد اقترب، قلت: جعلت فداك، كم مع القائم من العرب؟ قال عليه السلام: شيء يسير.

فقلت: واللَّه إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير.

فقال عليه السلام: لا بد للناس من أن يُمحَّصوا ويميّزوا ويغربلوا ويخرج من الغربال خلق كثير»[1].

وإليك أخي القارئ قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي أبي طالب عليه السلام حول أوضاع الأمة الإسلامية السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية، وما جرى فيها ويجري عليها، والأسباب التي جعلتها أمةً متخلِّفةً تعيش في ضياع وتيهٍ، ويكون غياب قائدها الشرعي سببًا منها.

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبداللَّه عليه السلام قال: «خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ كَسْرَ عَظْمٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَطْبٍ وَاسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ، وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرِ عَيْنٍ بِبَصِيرٍ. عِبَادَ اللَّهِ، أَحْسِنُوا فِيمَا يُعِينُكُمُ النَّظَرُ فِيهِ، ثُمَّ انْظُرُوا إِلَى عَرَصَاتِ مَنْ قَدْ أَقَادَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، كَانُوا عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ أَهْلَ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ،

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٨، حديث ٣١.

وَمَقامٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ انْظُرُوا بِمَا خَتَمَ اللَّهُ لَهُمْ بَعْدَ النَّظْرَةِ وَالسُّرُورِ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلِمَنْ صَبَرَ مِنْكُمُ الْعَاقِبَةُ فِي الْجِنَانِ، وَاللَّهِ مُخَلَّدُونَ، وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ.

فَيَا عَجَبَا، وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَاءِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا، لَا يَقْتَفُونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلَا يَعْتَدُّونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، وَكُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، آخِذٌ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى وَثِيقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ، فَلَا يَزَالُونَ بِجَوْرٍ وَلَنْ يَزْدَادُوا إِلَّا خَطَأً، لَا يَنَالُونَ تَقَرُّبًا وَلَنْ يَزْدَادُوا إِلَّا بُعْدًا مِنَ اللَّهِ ﷻ، أُنْسُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَتَصْدِيقُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، كُلُّ ذَلِكَ وَحْشَةً مِمَّا وَرَّثَ النَّبِيُّ ﷺ، وَنُفُورًا مِمَّا أَدَّى إِلَيْهِمْ مِنْ أَخْبَارِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَهْلُ حَسَرَاتٍ، وَكُهُوفُ شُبُهَاتٍ، وَأَهْلُ عَشَوَاتٍ وَضَلَالَةٍ وَرِيبَةٍ، مَنْ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَرَأْيِهِ فَهُوَ مَأْمُونٌ عِنْدَ مَنْ يَجْهَلُهُ، غَيْرُ الْمُتَّهَمِ عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ، فَمَا أَشْبَهَ هَؤُلَاءِ بِأَنْعَامٍ قَدْ غَابَ عَنْهَا رِعَاؤُهَا.

وَوَاأَسَفَى مِنْ فَعَلَاتِ شِيعَتِنَا مِنْ بَعْدِ قُرْبِ مَوَدَّتِهَا الْيَوْمَ، كَيْفَ يَسْتَذِلُّ بَعْدِي بَعْضُهَا بَعْضًا؟ وَكَيْفَ يَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا؟ الْمُتَشَتِّتَةُ غَدًا عَنِ الْأَصْلِ، النَّازِلَةُ بِالْفَرْعِ، الْمُؤَمِّلَةُ الْفَتْحَ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ، كُلُّ حِزْبٍ مِنْهُمْ آخِذٌ مِنْهُ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ الْغُصْنُ مَالَ مَعَهُ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ -وَلَهُ الْحَمْدُ- سَيَجْمَعُ هَؤُلَاءِ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا يَجْمَعُ قَزَعَ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَامًا كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ سَيْلَ الْعَرِمِ، حَيْثُ نَقَبَ عَلَيْهِ فَأْرَةٌ فَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٍ، يُذَعْذِعُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَةٍ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ بِهِمْ قَوْمًا فِي دِيَارِ قَوْمٍ تَشْرِيدًا لِبَنِي أُمَيَّةَ، وَلِكَيْلَا يَغْتَصِبُوا مَا غَصَبُوا، يُضَعْضِعُ اللَّهُ بِهِمْ رُكْنًا، وَيَنْقُضُ بِهِمْ طَيَّ الْجَنَادِلِ مِنْ إِرَمَ،

وَيَمْلَأُ مِنْهُمْ بُطْنَانَ الزَّيْتُونِ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَيَكُونَنَّ ذَلِكَ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ صَهِيلَ خَيْلِهِمْ، وَطَمْطَمَةَ رِجَالِهِمْ، وَايْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ ضَالًّا، وَإِلَى اللَّهِ عجل الله فرجه يُفْضِي مِنْهُمْ مَنْ دَرَجَ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عجل الله فرجه عَلَى مَنْ تَابَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُ شِيعَتِي بَعْدَ التَّشَتُّتِ لِشَرِّ يَوْمٍ لِهَؤُلَاءِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ الْخِيَرَةُ، بَلْ لِلَّهِ الْخِيَرَةُ وَالْأَمْرُ جَمِيعًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْمُنْتَحِلِينَ لِلْإِمَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا كَثِيرٌ، وَلَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ مُرِّ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَتَشَجَّعْ عَلَيْكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ عَلَى هَضْمِ الطَّاعَةِ وَإِزْوَائِهَا عَنْ أَهْلِهَا، لَكِنْ تِهْتُمْ كَمَا تَاهَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عليه السلام.

وَلَعَمْرِي، لَيُضَاعَفَنَّ عَلَيْكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافَ مَا تَاهَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ. وَلَعَمْرِي، أَنْ لَوْ قَدِ اسْتَكْمَلْتُمْ مِنْ بَعْدِي مُدَّةَ سُلْطَانِ بَنِي أُمَيَّةَ لَقَدِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى سُلْطَانِ الدَّاعِي إِلَى الضَّلَالَةِ، وَأَحْيَيْتُمُ الْبَاطِلَ، وَأَخْلَفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم. وَلَعَمْرِي، أَنْ لَوْ قَدْ ذَابَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ لَدَنَا التَّمْحِيصُ لِلْجَزَاءِ، وَقَرُبَ الْوَعْدُ، وَانْقَضَتِ الْمُدَّةُ، وَبَدَا لَكُمُ النَّجْمُ ذُو الذَّنَبِ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَلَاحَ لَكُمُ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَرَاجِعُوا التَّوْبَةَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمْ طَالِعَ الْمَشْرِقِ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَتَدَاوَيْتُمْ مِنَ الْعَمَى وَالصَّمَمِ وَالْبَكَمِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ وَالتَّعَسُّفِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقَلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ، وَلَا يُبَعِّدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ أَبَى وَظَلَمَ وَاعْتَسَفَ وَأَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٩٤، حديث ٢٤.

ما الفائدة من إمام غائب؟

ما الذي نستفيده من الحجة في غيبته؟

الجواب: إن وجود من تتجسَّد فيه مبادئ الإسلام وقيم الشريعة يعدّ من أهم ركائز الضمان لسلامة المبادئ والتعاليم الإسلامية من عبث العابثين.

والمهدي وإن كان غائبًا إلَّا أنه الشخصية الوحيدة التي تمثّل فيها المبادئ والقيم والتعاليم الإسلامية في العالم كله، وهو الوحيد كذلك الذي سوف ينفّذ مشروع المبادئ والقيم في واقع الأمة خصوصًا والمجتمعات والشعوب والأمم الأخرى عمومًا.

وبالعموم «فالشيعة يقولون: إن الإكمال حقًّا لا يتم إلَّا بوجود السلطة التشريعية والتنفيذية معًا، والأولى وحدها ليست بشيء ما لم تدعمها الثانية، وقد كان التنفيذ بيد الرسول الأعظم محمد ﷺ، فظن أعداء الإسلام أن السلطة التنفيذية ستذهب بذهاب النبي ﷺ وبذهابها يذهب الإسلام، فأقام النبي ﷺ عليًّا ليحفظ الشريعة من بعده ويقيم الدين كما أقامه الرسول ﷺ، وبهذا لم يبقَ للكفار أيُّ أمل في ذهاب الإسلام أو ضعفه»[1].

ومعلوم أن الأئمة الأطهار عليهم السلام لم يمارسوا السلطة التنفيذية إلَّا

(١) بحوث في الفقه المعاصر، الجواهري، ج٧، ص٩٣.

بحدود. نعم الإمام علي عليه السلام هو الوحيد من الأئمة الأطهار ممّن تسنَّى له السلطة التشريعية والتنفيذية.

بعد هذه المقدّمة القصيرة حول أهمية حفظ المبادئ والقيم الإسلامية من خلال السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية تتّضح الضرورة الملحّة للمعصوم عليه السلام ووجوده في عالمنا، وأن مع تعدّد السلطة التنفيذية تبقى القيم والمبادئ الإسلامية في شخصية الإمام عليه السلام، وهو بدوره يأمر من يُطيعه ويُؤمن به ويعمل بنهجه ويواليه في عمله وعلمه؛ لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[١]، والشيعة هم الوحيدون في العالم من ينفذ أمر الإمام عليه السلام ويطيع المهدي في حفظ قيم ومبادئ الإسلام الأصيلة، كونهم يؤمنون بوجوده حيًّا بينهم.

وعن العباس بن عامر القصباني قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: «صاحب هذا الأمر من يقول الناس: لم يولد بعد»[٢] إشارة للإمام الحجة، وفعلًا هناك بعض الناس يقول: الإمام الحجة لم يلد بعد، وهناك قسم من المسلمين عقيدتهم هكذا.

فمن يأتيكم بماء معين:

عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر قلت: «ما تأويل[٣] قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾[٤] قال:

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٣٦٠.
(٣) التأويل تطبيق المفاهيم والآيات في الخارج، أي تعيين المصاديق الخارجية لمعاني الآيات، فالتأويل الصحيح يترتّب من ناحية المعنى على التفسير الصحيح. ولا يخفى أن التأويل الصحيح لا مجال للوصول إليه إلَّا من طريق الوحي وكلام المعصومين. مركز الأبحاث العقائدية.
(٤) سورة الملك، الآية ٣٠.

إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون»[١].

«شبّه الإمام الغائب بالماء الغائر في الخفاء عن الخلق مع كثرة النفع وشدّة احتياجهم إليه، وشبّه الإمام الحاضر الذي يأتي بعد غيبته بالماء المعين الجاري في الأرض في جريانه وسيره فيها ونفعه لأهلها، وفيه على هذا التأويل دلالة على الغيبة، وعلى أن تعيين الإمام ونصبه من عند اللَّه تعالى وهو الحق»[٢].

وعن الباقر قال: «نزلت هذه الآية في الإمام القائم عليه السلام، يقول: إن أصبح إمامكم غائبًا عنكم لا تدرون أين هو فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماوات والأرض وحلال اللَّه وحرامه، ثم قال عليه السلام: واللَّه ما جاء تأويل هذه الآية، ولا بد أن يجيء تأويلها»[٣].

يقول الشيخ أحمد آل طوق[٤]: «لا ريب في أن الإمام عليه السلام يطلق عليه لفظ (الماء)، وهو كثير في الأخبار؛ لأنه الماء الذي حمّله اللَّه علمه، وهو أول الكائنات، ولأنه مادّة حياة جميع الخلق؛ فإنّ حياة الأرواح به، والأجساد بها؛ فهو روح الأرواح وعلَّة النجاح. فإمام كلّ قوم ماؤهم أي مفيض علمهم، وعلَّة علمهم، وعلمهم حياتهم، فحياة كلّ شخص بقدر علمه شدّةً وضعفًا، بل هي علمه. فعلم كلّ مخلوق وجوده، فوجوده حياته. فظهر بهذا صحّة تسمية إمامنا ماءَنا، وتسمية علمنا المفاض منه ماءنا، فإنّ علمنا من فاضل علمه بلا تنافٍ.

(١) الإمامة والتبصرة من الحيرة، النص، ص ١٢٥.
(٢) شرح أصول الكافي، المازندراني، ج٦، ص٢٦٤.
(٣) تفسير الصافي، ج٥، ص٢٠٦.
(٤) مؤلف لعدد كبير من الكتب التي يصل عددها إلى أربعين كتابًا أو أكثر، وأكثرها رسائل صغيرة جمعت كلها في مجلد واحد تحت عنوان (رسائل آل طوق)، وطبعت في قم سنة ١٤٢٢هـ، توفي ١٢٣٩هـ.

وأمّا تأويل غوره بغيبته فظاهر؛ إذ لا يمكن عدمه بحال؛ فالحجّة مع الخلق، وقبل الخلق، وبعد الخلق، فأقصى ما يقال في معنى غوره: غيبته عن الحواسّ والأبصار، لا عن العقول والبصائر. ومن الظاهر أن تأويلها بذلك لم يقع إلى زمن الرضا سلام اللَّه عليه، وإنّما وقع بعد مضيّ أبي محمّد سلام اللَّه عليه، نسأل اللَّه الفرج برحمته، وأن يجعلنا ممّن سقاهم ربّهم شرابًا طهورًا بعفوه وكرمه، والحمد للَّه ربّ العالمين»[١].

وعن داود بن كثير الرقي قال: «سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن صاحب هذا الأمر؟ قال عليه السلام: هو الطريد الوحيد الغريب الغائب عن أهله الموتور بأبيه»[٢].

الإمام الغائب نعمة باطنة:

عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي قال: «سألت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾، فقال عليه السلام: النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب.

فقلت له: ويكون في الأئمة من يغيب؟

فقال: نعم، يغيب عن أبصار الناس شخصه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره»[٣].

فالإمام يُنبّهنا ألَّا ننسى الحجة. نعم، هو غائب ولكن فلتذكر قلوبنا الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف.

(١) رسائل آل طوق القطيفي، أحمد بن الشيخ صالح آل طوق، ج٣، ص٣٧٣.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٣٦١.
(٣) كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر، ص ٢٧٠.

مسؤوليات الإمام المهدي في عصر الغيبة

تتلخَّص مسؤوليات الإمام ومهامه في زمن الغيبة في النقاط التالية:

أولًا: حفظ ورعاية الكيان الإسلامي:

قال الإمام المهدي للشيخ المفيد: «فإنَّا نحيط علمًا بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعًا، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون. إنَّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، وأصطلمكم الأعداء»[1].

فمن هذا النص الشريف نفهم أن الإمام حريص على فهم ومعرفة والإحاطة بأوضاع المؤمنين الموالين خاصة والشيعة عامة.

وربما يسأل أحدنا هذا السؤال: كيف يرعانا الإمام، وأنه لولا رعايته لكنّا في خبر كان، وما نراه من مصائب في كل مكان من الشرق والغرب قد

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج٢، ص ٤٩٧.

ملئت بالمؤمنين، ناهيك عمَّا جرى عليهم من قبل الحكّام الظلمة وطواغيت الأمة في عصور مختلفة وعلى مرّ الزمان، حيث دفعوا أثمان باهضة بسبب استقامتهم على ولاية آل البيت عليهم السلام، وإصرارهم على الإيمان والثبات على عقيدة الإمامة لعلي وأولاده؟

والجواب مختصرًا: كل هذا صحيح قد جرى على الشيعة والموالين على مرّ التاريخ الإسلامي، إلَّا أنها -أيضًا- جريت على قادتهم وأئمتهم، من القتل والغريب والتهجير والتعذيب والسجن إلى غيرها من الويلات.

أما رعاية المهدي لنا نحن الشيعة فقد تمثَّلت في أمرين:

الأول: الاستقامة على الدين والهداية والثبات على الإمام والولاية.
الثاني: تخفيف البلاء ووقوع الفتن والبلاء.

فالمهدي يرعى الشيعة بيد خفيَّة مرتبطة بالغيب، لِمَ لا وهم أنصاره، وهم ممّن سوف ينصرونه ويقودون معه الدولة المهدوية.

ثانيًا: تسديده للفقهاء:

في البدء لا بد من التذكير أن المرجعية «بدأت في الإسلام بالرجوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام، فيما شرّعه اللَّه في هذه الآيات: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ...**﴾[1]، ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ...**﴾[2] لخلافتهم عن الرسول، وبما أودعهم من علم وقضاء وحكم، ثمّ إلى النوّاب الأربعة في النيابة الخاصّة

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.
(٢) سورة النساء، الآية ٨٥.

في الغيبة الصغرى، ثمّ إلى الأمثل من الفقهاء الذين حقّت أهليّتهم للنيابة العامّة في عصر الغيبة الكبرى.

وبذلك يحقّ لنا أن نقول: بدأ الدِّين بالوحي والبلاغ، وانتهى إلى الفتوى والتقليد، وبتعبير آخر بدأ بالتمسّك بالرسالة الإلهيّة، وخُتِمَ بالأخذ من الرسالة العمليّة للفقهاء»[١].

وجاءت النيابة العامة في الغيبة الكبرى وأما الغيبة الصغرى فهي تمهيد لهذه

فالنيابة الخاصة للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في الغيبة الصغرى تُمهِّد لهذه المرحلة، وهي النيابة العامة من الفقهاء العدول الجامعين للشرائط الذين ينوبون عن الإمام الحجة.

يقول عليه السلام لإسحاق بن يعقوب -وهو من أصحاب الإمام- عن طريق أحد السفراء الأربعة الحجة في توقيعًا أرسله إليه إجابة عن أسئلة، ومما قاله عن العلماء الفقهاء مراجعنا اليوم: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِم»[٢].

و«الحوادث جمع حادثة: هي الواقعة الجديدة التي يُجهل حكمها بسبب حدوثها جديدًا، وعدم وقوعها في عصر الحضور والرجوع فيها إلى الرواة لمعرفة حكمها عبارة عن الاستفتاء عنهم؛ فإنّهم المفتون»[٣].

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي عن هذا الحديث: «فإنّه يدل

(١) شرح العروة الوثقى، التقليد، تقرير بحث السيد الخوئي للغروي، ج١، المقدمة.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٤٨٤.
(٣) الاجتهاد والتقليد، السيد رضا الصدر، ص٩٠.

بالمطابقة على لزوم الرجوع إلى الفقهاء في كلّ أمر حادث، وعلى الفقهاء أن يبيّنوا الحكم، وهذا معناه أن لا بدّ من وجود حكم لكي يرجع فيه إلى الفقهاء، وإلَّا كان هذا الأمر لغوًا»[١].

والحاصل «أن المفهوم جواز اعتماد ضعفاء الناس والعوام على العلماء، من غير تقييده بلزوم عرض فتاواهم على كلام الأئمة عليهم السلام، فيكون منفيًّا، ولو وقع غلط كان على ذِمَّة العلماء فقط، ويقتضيه نفي العسر والحرج، وكون الدين والشريعة سمحة سهلة، كما لا يخفى، فتأمَّل، واللَّه أعلم بحقائق الأمور»[٢].

الحذر قبل إرسال السَّهم

اليوم نسمع من الشباب كلامًا كثيرًا قد يتناول المراجع العظام للأسف، ولا نلتفت إلى خطورة ما نتحدّث به اليوم، بسبب الانفتاح ودخول بعض الأفكار على الشباب فتسمع منهم إساءة حتى للمراجع الذين يقول الإمام الحجة عجل الله فرجه عنهم: «حجتي عليكم، وأنا حجة اللَّه عليهم».

والأئمة عليهم السلام قبل الإمام الحجة أشاروا إلى هذا المعنى، فلابد أن تلتفتوا إلى عظم وجسامة دور العلماء الفقهاء، قال الإمام الهادي عليه السلام: «لَوْلَا مَنْ يَبْقَى بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، وَالدَّالِّينَ عَلَيْهِ، وَالذَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللَّهِ، وَالْمُنْقِذِينَ لِضُعَفَاءِ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ شِبَاكِ إِبْلِيسَ وَمَرَدَتِهِ، وَمِنْ فِخَاخِ النَّوَاصِبِ، الَّذِينَ يُمْسِكُونَ أَزِمَّةَ قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الشِّيعَةِ كَمَا يُمْسِكُ السَّفِينَةَ سُكَّانُهَا؛ لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ

(١) بحوث فقهية مهمة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ص٢٣٧.
(٢) الوافية في أصول الفقه، الفاضل التوني، ص٣١٦.

الْأَفْضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ»[١].

علماء الرعيل الأول بعد الغيبة:

«مرّ الفكر الشيعي بأزمات حادَّة، خصوصًا بعد غيبة الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف، فقد انتهز مخالفوه الفرصة للانقضاض عليه ببث الشبهات في الإمامة، وقد أوجدت تلك الشبهات أصداءً واسعة في الأجواء الشيعية حتى كادت تؤثّر، لولا قيام أفذاذ من العلماء في تلك الحقبة، وفي طليعتهم: الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي، بأخذ زمام الأُمور وتثبيت الهوية الفكرية للشيعة في مختلف المجالات من خلال القيام بأُمور:

١- كبح جماح الانتهازيين الذين ادّعوا النيابة الخاصة للإمام الثاني عشر أمام النواب الأربعة الذين كانت لهم النيابة الخاصة، فحفظوا الشيعة من الانخراط في صفوفهم.

٢- الرَّدّ على المشكّكين وأصحاب المقالات الضالّة في أمر الإمامة والغيبة، إذ أنكروا إمكان الغيبة، وأنكروا إمكان حياة الإمام فترة طويلة.

٣- تثبيت الهوية الفكرية العقائدية للشيعة، حيث خلّصوا العقائد من رواسب الروايات الضعيفة، وسبكوها بسبكة علمية فكرية بعيدًا عن الغلو والتقصير، وقد عقدوا أندية فكرية للمناظرة مع أصحاب المقالات، كالزيدية والإسماعيلية والواقفة، الذين كانوا على نهج الإمامة ثمّ انحرفوا، كما عقدوا أندية مناظرات مع غيرهم من المذاهب»[٢].

---

(١) منية المريد، ص ١١٨.

(٢) موسوعة طبقات الفقهاء، الشيخ السبحاني، ج٢، ص٢٧٦.

من هنا نفهم بوضوح الرواية، عن علي بن محمد عليه السلام، قال: «لولا من يبقى بعد غيبة الامام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عنه وعن دينه بحجج اللَّه، المنقذين للضعفاء من عباد اللَّه، من شباك إبليس ومردته، لما بقي أحد إلَّا ارتد».

إذا من مهمات الإمام رعاية الفقهاء، وهو بحث موجود، فليرجع القارئ للكتب المطولة، فهناك قصص طويلة تفيد أن الإمام الحجة عجل الله فرجه قد يحصل أن يلتقي بالخواص من هؤلاء العلماء إذا اقتضت الظروف للالتقاء بهم ليرشدهم ويسدّدهم، ولنا في الشيخ المفيد مثال على ذلك في رسائل الحجة له.

ثالثًا: تسديده العمل الاجتهادي:

«إِنَّ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ -تَكُونُ مِنْ بَعْدِي يُكَادُ بِهَا الْإِيمَانُ- وَلِيًّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، مُوَكَّلًا بِهِ، يَذُبُّ عَنْهُ، يَنْطِقُ بِإِلْهَامٍ مِن اللَّهِ، وَيُعْلِنُ الْحَقَّ وَيُنَوِّرُهُ، وَيَرُدُّ كَيْدَ الْكَائِدِينَ»[1].

بما إن الإمام المهدي له زعامة ربانية، وهو الإمام الحجة على الخلق أجمعين، فمن مهامه الضرورية تسديده العمل الاجتهادي؛ لأن هذا من مهام الإمامة لحفظ المذهب الحق من التشويه والباطل، وذلك من خلال تسديد الإمام الفقهاء وتعريفهم طريقة الاجتهاد الحق للوصول إلى العلم والمعرفة الحقة، من خلال الطريقة المعتمدة في عملية الاستنباط من الأدلة الشرعية، وهدايتهم إلى الصواب. فهناك ملازمة بين حفظ القيم والمبادئ الدينية والأحكام الشرعية والعقيدة الحقّة عن طريق الاجتهاد، ويستدعي ذلك التوجيه والإرشاد والنصيحة والهداية، وعصمتهم من الخطأ.

(١) الكافي (ط - دار الحديث)، ج١، ص١٣٦ - ١٣٧.

مزيد من الإيضاح:

في زمن غيبة المعصوم العلماء المجتهدون تحت نظر واهتمام الإمام الحجة في تسديد الفقهاء في بحثهم، يقول العلامة الكراكجي[١] في الجزء الثاني من كنز الفوائد، وهو خمسة أجزاء، عمله لابن عمه، يتضمّن أصولًا من الأدلة وكلامًا في فنون مختلفة وتفاسير آيات كثيرة، ومختصرات عملها، وأخبار سمعها مروية من الآداب نظمًا ونثرًا ونكتًا مستحسنة[٢]. يتعرّض فيه العلَّامة إلى منع اجتماع العلماء على الباطل، والمقصود بالعلماء أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام ونُوَّاب الحجة العامِّين، حيث لا يمكن اجتماعهم على باطل: «لأن هذه الآثار والنصوص في الأحكام (أي الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي تتعلّق بموضوع الأحكام الفقهية) موجودة مع من لا يستحيل معه الخطأ والنسيان (فالإنسان معرض للخطأ والنسيان) ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان (ينقلها بشر أيضًا، فالبشر معرض للكتمان والترك)، وإذا جاز عليهم ذلك لم يؤمن وقوعه منهم (أي وقوع الخطأ والاجتماع على الخطأ) إلا بوجود معصوم (أي وجود المعصوم ينفي الخطأ) يكون من ورائهم شاهد على أحوالهم، عالم بأخبارهم، إن أخطؤوا هداهم، وإن نسوا ذكّرهم، أو كتموا علم الحق من دونهم».

ثم يقول: «وإمام الزمان عليه السلام وإن كان مستترًا عنهم بحيث لا يعرفون

(١) كتب العلاَّمة المجلسي في بحار الأنوار: الكراجكي فهو من أجلة العلماء والفقهاء والمتكلمين، وأسند إليه جميع أرباب الإجازات. وكتابه كنز الفوائد من الكتب المشهور التي أخذ عنه جل من أتى بعده، وسائر كتبه في غاية المتانة. وقال عنه الصفدي في الوافي بالوفيات: شيخ الشيعة، وكان من فحول الرافضة، بارعًا في فقههم، لقي الكبار مثل المرتضى.

(٢) مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت، ج٤٤، ص٣٩٠.

شخصه فهو موجود بينهم»[١].

وفي كتاب مفاتيح الأصول للسيد محمد الطباطبائي[٢]: «إن وجود الإمام عليه السلام في زمن الغيبة لطف قطعًا، فيثبت فيه كل ما أمكن لوجود المقتضي وانتفاء المانع، وإن هذا اللطف قد ثبت وجوبه قبل الغيبة فيبقى بعدها بمقتضى الأصل، وإن النقل المتواتر قد دل على بقائه، وقد ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام بألفاظ ومعانٍ متقاربة، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن لكل بدعة من بعدي يكاذب بها الإيمان وليًّا من أهل بيتي، موكلًا يذب عنه، ويعلن الحق، ويردّ كيد الكائدين. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن أهل البيت: أن فيهم في كل خلف عدولًا ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. وفي المستفيض عنهم عليهم السلام: أن الأرض لا تخلو إلَّا وفيها عالم»[٣].

يشير العلَّامة السيد محمد المجاهد إلى أنه لولا وجود الحجة عجل الله فرجه ورعايته لحصل ما لا تحمد عقباه، يقول: البناء على قاعدة اللطف التي وجب على اللَّه نصب الإمام، ومن مقتضاها أن اللَّه سبحانه نصب الأئمة بعد

(١) كنز الفوائد، ج٢، ص ٢١٩.

(٢) صاحب المناهل قدس سره السيد محمد بن السيد علي بن السيد محمد علي الطباطبائي (١١٨٠-١٢٤٢) درس عند والده السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، وعند السيد مهدي بحر العلوم، هاجر في حياة والده من كربلاء إلى أصفهان، وكان بها إلى أن توفّي والده فرجع إلى كربلاء، ثم استدعاه فتح علي شاه القاجاري ليواكب جيشه لمحاربة الروس فقبل ذلك، ولذلك لقب بالسيد محمد المجاهد، ولكن أصيب الجيش بالفشل لخيانة بعض قُوّاده، فاعتل عند رجوعه، وبقي في قزوين أيامًا كذلك حتى وافاه الأجل، ونقل جثمانه إلى كربلاء، حضر درسه الشيخ مرتضى الأنصاري. الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد علي الأنصاري، ج١، ص٥٨٩.

(٣) مفاتيح الأصول، السيد محمد الطباطبائي الكربلائي، ص٤٩٥.

الرسول محمد ﷺ، فإنها تقضي ردهم لو اتفقوا على الباطل، لإنه من أعظم الألطاف، فإن امتنع حصوله بالطرق الظاهرة فلا بد من الأسباب الخفية.

إن وجود الإمام الحجة في زمن الغيبة لطف قطعًا، فيثبت فيه كل ما أمكن لوجود المقتضي وانتفاء المانع، وإن هذا اللطف قد ثبت وجوده قبل الغيبة ويبقى بعد الغيبة بمقتضى الأصل إضافة إلى أن النقل المتواتر الذي قد دل على بقائه، كما في الأحاديث التي ذكرها السيد المجاهد في النص السابق.

وفي المستفيض عنهم عليهم السلام «إن الأرض لا تخلو إلَّا وفيها عالم» والمقصود أن الإمام إذا زاد المؤمنون شيئًا ردّهم إلى الحق، وإن نقصوا شيئًا تمَّم ذلك، ولولا ذلك لالتبس عليهم أمرهم، ولم يفرقوا بين الحق والباطل.

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في عدة طرق: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا تُخْلِي الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ بِحُجَّةٍ ظَاهِرٍ أَوْ خَافٍ مَغْمُورٍ، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُكَ وَبَيِّنَاتُكَ»[١]، فالإمام إما ظاهر، وهذا كما في تاريخ الأئمة الأحد عشر، أو إمام خافٍ مغمور، وذلك لئلَّا تبطل حجج اللَّه عزَّ وجلَّ وبيّناته.

وفي تفسير قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[٢] في عدة روايات أن المنذر رسول اللَّه محمد ﷺ، وفي كل زمان إمام منا يهديهم إلى ما جاء به النبي ﷺ

وفي بعضها عن أئمة أهل البيت «واللَّه ما ذهبت منا ولا زالت فينا إلى الساعة»[٣].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٢٩٤.
(٢) سورة الرعد، الآية ٧.
(٣) تفسير العياشي، ج٢، ص ٢٠٤.

فالمنذر هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم والهداة هم أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى قيام الساعة، يعني إلى أن يظهر الحجة عجل الله فرجه.

وعن أبي عبداللَّه الصادق عليه السلام قال: «ولم تخلُ الأرض منذ خلق اللَّه آدم من حجة له فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة للَّه فيها، ولولا ذلك لم يعبد اللَّه.

قال سليمان فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟

قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»(١).

والإمام الحجة عجل الله فرجه يتكلّم عن نفسه يقول: «وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيَّبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان أهل السماء»(٢).

إن فائدة التشبيه هو في إحاطة الحواس بجميع جزئيات الممثَّل له، وهو إفاضة بلاغية تُعنى بالكشف والإيضاح، وإبانة أوجه المماثلة بين أمرين، قال النيسابوري: «ونحن نرى أن الإنسان يذكر معنى فلا يلوح كما ينبغي، فإذا ذكر المثال اتَّضح وانكشف، وذلك إن من طبع الخيال حب المحاكاة، فإذا ذُكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيال، ولا شك أن الثاني يكون أكمل»(٣).

يقول ميرزا النوري في النجم الثاقب: «ووجه تشبيه وجوده المقدّس

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٢٠٧.
(٢) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج٢، ص ٤٧١.
(٣) الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين علي الصغير، ص٩٤.

بالشمس إذا جلَّلها السحاب قيل فيه عدة وجوه:

الأول: أن نور الوجود والعلم والهداية وسائر الفيوضات والكمالات والخيرات تصل إلى الخلق ببركته عليه السلام، وببركة الشفاعة وبالتوسُّل به عليه السلام تظهر الحقائق.

الثاني: كما أن الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بضوئها فهم ينتظرون في كل آن رفع السحاب وانكشاف الحجاب، فكذلك المخلصون والمؤمنون الموقنون ينتظرون الفرج دائمًا في أيام غيبته ولا ييأسون، ويحصلون بذلك الانتظار على ثواب عظيم.

الثالث: أن منكر وجوده عليه السلام مع أن أنوار إمامته ساطعة وظهور آثار ولايته كالمنكر لوجود الشمس إذا حُجبت بالسحاب.

الرابع: قد تكون غيبة الشمس بالسحاب أحيانًا أصلح للعباد وأنفع، فكذلك قد تكون غيبته عليه السلام مع الانتفاع بالآثار، أو قد تكون أصلح لكثير من ظهوره عليه السلام»[١].

ويقول السيد محمد محمد صادق الصدر: «السحاب كناية عن خفاء العنوان، والشمس كناية عن التأثير النافع المنتج في المجتمع، بعد وضوح أن العمل الذي يمكن للمهدي عليه السلام تنفيذه مع جهل الناس بحقيقته وعنوانه، أي في غيبته، أقل بكثير مما يستطيع القيام به حال ظهوره وإعلان أمره، وهذا الفهم هو المعين لهذا الحديث الشريف بناء على أطروحة خفاء العنوان»[٢].

إذن مقتضى هذا الكلام هو ردّ الباطل وإحقاق الحق، طبعًا قد تكون في

(١) النجم الثاقب، ميرزا حسين النوري، ج٢، ص٤٩٦.
(٢) موسوعة الإمام المهدي، ج٢، ص٥١.

فترة معينة لأسباب ظاهرة كما في الغيبة الصغرى، وقد تكون بأسباب خفية كما في زمن الغيبة الكبرى.

أخلاقياتنا مع نُوَّاب المهدي:

بما أن الفقهاء والعلماء في الغيبة الكبرى هم حُرّاس العقيدة، ورعاة الدين، وحفظة الشريعة، وهم نُوَّاب الحجة المهدي ووكلاؤه، وهم من يعمل على هداية الناس وإرشادهم للحق وأهله، فاللازم علينا رعاية حقوقهم وحفظهم، وعلينا كموالين لأهل البيت عليهم السلام أن نحفظ حرمة الفقهاء، وأن ندافع عنهم بالمال والنفس، وأن نلتزم بطاعتهم وسماع نصحهم والعمل بإرشادهم؛ لأنهم حملة علوم آل محمد عليه وعليهم السلام.

من هنا يجب علينا أن نحذر من الدعايات والإعلام المضلل في النيل من الفقهاء والعلماء ومحاولته تسقيطهم وتشويه صورتهم والحطِّ من مقامهم، فالأعداء كثيرون يتربّصون بنا الدوائر، فالواجب الحذر منهم؛ لأن العدو يريد تسقيط القامات والقادة والفقهاء والعلماء ليسهل عليه حينئذٍ الوصول إلى عقول شبابنا وشابّاتنا، وهذا واضح من خطط العدو وتفكيره وسلوكه مع الدين وأهله. وهدفه من عملية التشويه والتسقيط لفقهاء الأمة هو الفصل بين القادة والجمهور ليتسنّى له اختراق المجتمع والوصول إلى مبتغاه الشيطاني.

لذا على شبابنا أن يلتفتوا أولًا لخطط العدو، وأن يلتفُّوا حول الفقهاء ثانيًا؛ لإعطاء موقف واضح وصريح لأعداء الدين والمذهب: إن مراجعنا وفقهاء الأمة خط أحمر لا يجوز تجاوزه والتلاعب على وتره.

الانتظار شرعة وانتصار

معنى الانتظار:

الانتظار بمعنى: الترقُّب، انتظر صاحبه: جلس يرتقب وصوله.

وكذلك بمعنى: البقاء إلى الدور.

والانتظار كما يراه ابن فارس: من الفعل نظرته، أي انتظرته، كأنه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه، أي إن فعل الانتظار منحصر بالوقت.

ويصح أن يكون الانتظار بمعنى جاهزية الفرد واستعداده من ينتظره.

وفي لسان العرب (ج٥، ص٢٥٤ - ٢٥٦): «والنَّظَرُ: الانتظار، يقال: نظرت فلانًا وانتظرته بمعنى واحد، فإذا قلت: انتظرتُ فلم يجاوزك فعلك، فمعناه وقفت وتمهلت. ومنه قوله تعالى: ﴿**انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**﴾[1] قرئ انْظُرُونا وأَنْظِرُونا بقطع الأَلف، فمن قرأَ انْظُرُونا بضم الأَلف فمعناه انْتَظِرُونا، ومن قرأَ أَنْظِرُونا فمعناه أَخِّرُونا، وقال الزجاج: قيل معنى (أَنْظِرُونا) انتظرونا أيضًا، ومنه قول عمرو ابن كلثوم:

(١) سورة الحديد، الآية ١٣.

أبـــا هـــنـــدٍ فـــلا تـــعـــجـــل علينا وانـــظـــرنـــا نـــخـــبـــرك اليقينا

وقال الفراء: تقول العرب: أَنْظِرْني، أي انتظرني قليلًا»[١].

وقال في ص٢٥٦: «ونظر الرجل ينظره وتنظّره: تأتّى عليه، قال عروة بن الورد:

إذا بـعـدوا لا يؤمنون اقترابه تـشـوّف أهـل الغائب المنتظر

التنظر: توقّع الشيء.

والتنظّر: توقّع ما تنتظره.

والنظرة بكسر الظاء: التأخير في الأمر. وفي التنزيل العزيز: ﴿**فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾، وقرأ بعضهم: فناظرة، كقوله عزّ وجلّ: ﴿**لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ**﴾ أي تكذيب»[٢].

ولأننا نتكلّم عن الانتظار لا بد من بيان معنى الفرج للملازمة بين المعنيين، وتوقّف أحدهما على الآخر كما في النص الإسلامي.

الفرج: انكشاف الكرب وذهاب الفهم.

قال الجوهري: الفرج، بالتحريك.

يقال: فرّج اللَّه غمّك تفريجًا، وكذلك فرّج اللَّه عنك غمّك يفرج، بالكسر»[٣].

---

(١) ص٢٥٤.
(٢) ص٢٥٦.
(٣) لسان العرب، ج٢، ص٣٩٨.

عن العياشي، عن عمران، عن محمد بن عبدالحميد، عن محمد بن الفضيل، عن الرضا عليه السلام قال: «سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْفَرَجِ فَقَالَ: أَلَيْسَ انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ الْفَرَجِ، إِنَّ اللَّهَ عزّ وجلّ يَقُولُ: ﴿**فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾».

ويمكن أن نستخلص من لفظتي الانتظار والفرج معنيين:

الأول: الترتّب والاستعداد.

الثاني: إعداد وتمكّن.

فالانتظار يعدّ حالة نفسية تدفع الإنسان المؤمن نحو الاستعداد التام والجهوزية والبناء في كل شيء يُمكِّن ما ينتظره من الانتصار والغلبة.

والفرج الانفراج: حالة نفسية تدفع الإنسان نحو الداخل الذاتي، ولترسيخ الحب للَّه وإلى ولي الأمر، ولإصلاح النفس وتربيتها على العبادة.

لأن الفرج يبدأ من داخل النفس والانتظار يبدأ من خارجها.

وكلاهما مكمل للآخر، وهذا ما ربما يمكن فهمه من النصوص الشريفة فيما يخص انتظار المهدي المنتظر عليه السلام.

الانتظار عقيدة وسلاح:

لقد تناولت النصوص والروايات موضوع الانتظار وثقافة الصبر في مفهومه، وفرضته كثقافة وعقيدة وفكرة تبنى عليها مواقف تجاة كثير من القضايا وأهمها قضية المهدي عليه السلام.

وانتشرت ثقافة الانتظار في وسط المجتمع الشيعي مستلهمةً من النصوص والروايات التي تحدَّثت حول المهدي المنتظر عليه السلام.

وكان الهدف من نشر ثقافة الانتظار فيما يرتبط بالمهدي عليه السلام تمهيدًا للغيبة الكبرى، فكان لزامًا على المعصومين عليهم السلام أن يشكّلوا في أتباعهم من الموالين والشيعة وعي الانتظار، وتوضيح ومفاهيمه وأعبائه الدينية والحياتية.

وبما أن الانتظار ثقافة بحاجة إلى ممارسة عملية وتفاعل معنوي وإيمان وعقيدة بمضامينها، كان اللازم أن تُطبّق النظرية في حياة المعصومين عليهم السلام، ويكون تنضيج شرعة الانتظار من خلال الحوار والممارسة كذلك؛ لذا لم تكن ثقافة الانتظار مجرّد فكرة، وليست عقيدة هيولانية، بل كانت تتعايش مع الوقائع والأحداث، وتنضج في عقول المنتمين لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

إن الانتظار والفرج مقومان هامّان في حياة المؤمن، وتعدّان دعامتين تدفعان الإنسان نحو الاستقامة والثبات على الدين والعقيدة الحقّة والولاء للمعصومين عليهم السلام، بل تدفعان المؤمن نحو التصدّي لكل من يخالف أهل البيت عليهم السلام بالفكرة والمعرفة والأخلاق؛ لكون ما يحمله المؤمن من عقيدة الإمامة ممتدة إلى نهاية العالم والوجود البشري؛ لأن «الأرض لا تخلو إلَّا وفيها إمام»[1].

ومن الطبيعي أن تُثار فرضية خلو الأرض من حجة؛ لأن عدد الحجج لا يكفي لأن يمتد إلى خاتمة الحياة، ووقع التعارض بين الأدلة القائلة بوجود الحجة إلى يوم القيامة، والأدلة الناطقة بعدمه.

وهذا بالفعل ما أثار الحسين بن أبي العلاء لمَّا طرح سؤالًا على صيغة استعلام واستفهام على الإمام الصادق عليه السلام، فقال:

(١) الكافي، ج١، ص١٩٩، حديث ٢.

«تكون الأرض ليس فيها إمام؟

قال عليه السلام: لا.

قلت: يكون إمامان؟

قال عليه السلام: لا، إلَّا وأحدهما صامت»[١].

وهذا ما يؤكد أهمية الإيمان بوعي بقضية الإمامة ووجودها الحضوري، وأَلَّا يشترط الإيمان بها وجودها الشهودي، فالإمام حاضر سواء كان الحضور ذهنيًّا أو زمانيًّا أو مكانيًّا، فهو لا يغيب عن عالم الذهن والزمان والمكان؛ لأن حضوره ممتد، لا ينقطع عن الحضور الزماني والمكاني. ومعلوم أن عقيدتنا في الانتظار ليس شرطها الحضور باعتبار لوازم الحضور مختلفة عن لوازم الشهود.

من هنا جاءت النصوص المتواترة لتؤسّس فكرة الانتظار في الوعي الشيعي الإمامي، وتجعله مطلبًا عقائديًّا وإيمانًا راسخًا؛ لأن الانتظار من الدين.

عن الأعمش قال الصادق عليه السلام: «من دين الأئمة الورع»[٢].

وأن «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج اللَّه عزّ وجلّ»[٣].

وفي هذه دلالة على أن المهدي: فرج اللَّه تعالى في أرضه وعلى عباده.

(١) الكافي، ج١، ص١٩٩، حديث ١.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٤، حديث ١.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٤، حديث ٢.

وعدّ الانتظار عبادة «وانتظار الفرج عبادة»[١].

عن علي عليه السلام قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: من رضي عن اللَّه بالقليل من الرزق رضي اللَّه عنه بالقليل من العمل، وانتظار الفرج عبادة».

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٤، حديث ٣.

الانتظار الغاية والأهداف

حقيقة الانتظار بعبارة مبسطة: ترقّب حصول الشيء، فعندما نقول: انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام يعني ترقّب خروجه عجل الله تعالى فرجه.

فالانتظار يعني: ترقّب ظهور وقيام الدولة القاهرة والسلطنة الظاهرة لمهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وامتلاء الأرض قسطًا وعدلًا، وانتصار الدين القويم على جميع الأديان، كما أخبر به اللّه تعالى نبيه الكريم ووعده بذلك، بل بشّر به جميع الأنبياء والأمم، ولا يبقى الدين مخفيًّا وراء ستر وحجاب مخافة أحد[1].

ومجيء هذا اليوم حتمي كما وعدنا اللّه تعالى ورسوله وأوصياؤه عليهم السلام، فيه يعبد الناس اللّه سبحانه وتعالى وحده دون سواه، وهذا في دولة الإمام المهدي.

إذن الانتظار يتضمن حالة قلبية يوجدها أصل العقيدة بالإمام عليه السلام، فالانتظار ناشئ من إيماننا بأن الإمام المهدي موجود، وأن ظهوره حتمي يتحقق من خلال هذا الظهور أهداف كل الأنبياء وآمال البشرية على مستوى

(١) النجم الثاقب، حسين الطبرسي النوري.

البسيطة، وهذا كله متعلّق بهذا المنقذ العالمي صاحب العصر والزمان.

هذه الحالة القلبية تؤدّي إلى انبعاث حركة عملية من خلالها يلتزم الإنسان بالورع والإيمان والابتعاد عن المحرّمات، مثال ذلك ما نقله الشيخ فرج العمران قائلًا: «أحيطك خبرًا بحكاية لو لم أشهدها لما كدت أصدق بها في مثل هذا العصر السافل.

كنت ذات يوم في منزل آية اللّه السيد الميرزا عبدالهادي الشيرازي مد ظله، إذ جاءه رجل من مقلديه حرفته الحلاقة، فاستفتاه عن حلق اللحية فأجابه بغلظة: هو حرام، والمال المأخوذ في قباله حرام.

فقال: إن عندي دراهم ودنانير مكتسبة من حلق الرأس واللحية.

فأجابه أنك لا تملك منها شيئًا، وهي عائدة إلى الحاكم الشرعي.

فقال الرجل: مولاي، الرجاء أن تعيّنوا من قِبلكم من يستلم جميع ما عندي من الدراهم والدنانير، فإني ما جئتكم إلّا ممتثلًا أمركم، معتقدًا أنه أمر من اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قال ذلك الرجل: وإن جميع أثاث منزلي من هذا الكسب أيضًا، وكذلك نفس منزلي.

فأجابه : كل ذلك لا تملك منه شيئًا.

فقال الرجل: سمعًا وطاعةً للّه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولكم. ثم قال: هل تسوّغون لي أنه أبقى على حرفتي، فإني لا أعرف غيرها.

فأجابه: لا يجوز لك البقاء على هذه الحرفة إلّا إذا التزمت بترك حلق اللحية.

فامتثل الرجل أمره، وجزم بترك حرفته، وطلب حرفة غيرها، والتمس من آية اللَّه أن يُعيِّن من قِبَله من يستلم كل ما يملك من دراهم ودنانير وأثاث ومنزل قائلًا: طهّرتني جزاك اللَّه خيرًا، وشكر سعيك، ومتَّعنا اللَّه ببقائك طويلًا.

فتعجَّب الحاضرون غاية العجب من رضوخ هذا الرجل إلى أوامر الشرع المُرَّة.

وبعد أن خرج جازمًا على تسليم كل أملاكه إلى الحاكم الشرعي بطيب نفس وحسن اختيار بعث إليه آية اللَّه من يأتي به إليه، فلما حضر عنده قال له: أيها المؤمن، إن دراهمك ودنانيرك كانت لنا وقد وهبناك إياها، وإن أثاث منزلك كان لنا وقد وهبناك إياه، وكذلك نفس منزلك كان لنا وقد وهبناك إياه، ولا نريد منك إلَّا أن تترك حلق اللحية.

فانصرف الرجل ممتثلًا أمر آية اللَّه، شاكرًا صنيعة الجميل»[1].

إذن الانتظار مرتبط بحالة نفسية ومسألة عقائدية وبسلوك عملي للإنسان، ينتج عن هذه الحالة التهيُّؤ، فأنت تتهيَّأ لما تنتظره.

وضد هذا التهيُّؤ والانتظار اليأس، وحينئذٍ يتراجع الإنسان عن سلوكه العقائدي والإيماني، ويخفت صوت الحق من أنفاسه، وتتيه جوانحه وجوارحه عن العمل العبادي، ويصبح أسيرًا للشهوات والأهواء والضلال؛ لأن المحرّك الحقيقي للهداية والهدى قد اختفى من نفسه وروحه، وربما يكون أسيرًا لليأس والهزيمة.

(١) الأزهار الأرجية، ج٢، ص٥٤٠.

«فالإنسان كلما كان انتظاره للشيء أشدّ كلما كان التهيُّؤ أكثر، ويستعد أكثر، ألا ترى إذا كان لك مسافر تتوقّع قدومه كلما ازداد تهيُّؤك لقدومه وكلما قرب حينه، بل ربما تبدَّل رقادك إلى سهاد، فكلما اشتد الانتظار كلما ازداد تهيُّؤ الإنسان، بل حالته النفسية يصير فيها تحوّل معيّن، وهذا فيه تفاوت، فمسألة التهيُّؤ تختلف من شخص لآخر، ومن جهة ثانية كلما ازداد حبك لمن تنتظره كلما ازداد تهيُّؤك»[١].

قال صاحب كتاب ميكال المكارم شارحًا معنى الانتظار: «هو كيفية نفسانية ينبعث منها التهيُّؤ لما تنتظره، وضده اليأس».

وقال: «المؤمن المنتظر لقدوم مولاه كلما اشتد انتظاره ازداد جهده في التهيُّؤ لذلك بالورع والاجتهاد، وتهذيب نفسه عن الأخلاق الرذيلة، واقتناء الأخلاق الحميدة حتى يفوز بزيارة مولاه ومشاهدة جماله في زمن غيبته كما اتفق ذلك لجمع من الصاحلين الأخيار»[٢].

كلنا ينتظر خروج الإمام، وكلما ازداد الانتظار ازداد التهيُّؤ، والتهيُّؤ بأن يكون المؤمن أكثر ورعًا واجتهادًا وتحلّيًا بالأخلاق الحسنة، وأكثر ابتعادًا عن الأخلاق السيئة، وإلَّا ما معنى انتظار المهدي؟! هل يمكن أن يكون التهيُّؤ بلا تديُّن ولا ورع ولا أخلاق حسنة؟! كيف يمكن للإنسان أن ينتظر إمامه المهدي وهو منحرف، وفاسق؟! فما ربط هذا بهذا؟ كلما كان الإنسان منتظرًا للإمام المهدي تهيَّأ له، وبالتالي يكون أكثر ورعًا وإيمانًا وإخلاصًا وتمسّكًا بالأخلاق الحسنة ومبتعدًا عن المعاصي، وهذا حقيقة الانتظار وغاياته وأهدافه.

---

(١) مكيال المكارم.

(٢) مكيار المكارم، ج٢، ص١٣٦.

والغاية من الانتظار تعود لمصلحة الإنسان نفسه، بحيث يكون الانتظار محرّكًا نحو تقويم الذات وإصلاح النفس، وجعل الإنسان معتدل السلوك والأفعال، فالغاية والهدف من الانتظار يبتني على الدين والعقيدة والعلم والمعرفة، وليس مجرد عواطف وآمال خاوية من العقلانية والواقعية كما ربما يفهم البعض.

ويمكن أن نضع عدة معانٍ للمراد من الإنسان المنتظر مبنية على فهمنا للنصوص والروايات الشريفة، والتي من خلالها استنتجنا النقاط التالية:

أولًا: الانتظار يدفع نحو التنبيه والتحريض والإثارة.

فالمنتظر في حالة من الانتباه النفسي والعقلي لما في الانتظار من إثارة للعواطف والأحاسيس، فيزداد فاعلية تنعكس بالدرجة الأولى على الداخل النفسي والمعنوي والعقلي.

ثانيًا: الانتظار يدفع المنتظر إلى التنافس.

والتنافس تسابق إيجابي للحصول على مستوى الكمال، فالتنافس يدفع الإنسان نحو تحقيق رغبة شديدة في أمر ما، ولأن المنتظرين من الكمال في الأخلاق والعلم والعبادات وصفات شخصية توصله إلى وظعية يرضاها اللَّه ورسوله والإمام؛ لأن المنتظر يعلم أنه بالتنافس يكون هو الأقوى والأصلح. وهذا ما أطلق عليه العلماء بـ: «قانون تنازع البقاء».

ثالثًا: الانتظار يصنع في المنتظر تبني حبل الامتداد.

الامتداد في اللغة: الانبساط تقول: امتدَّ الشيء: انبسط، وامتد به السير: طال، وامتد النهار: تنفس، وامتد الماء: كثر، وامتد نظره إلى الشيء: طمح

ببصره إليه.

وامتداد الإنسان المؤمن يتحقّق بالانتظار الإمام المهدي؛ لأن الإنسان وحده من دون الإمام المهدي لا يقوم بنفسه دون امتداد من المهدي، فالمؤمن إذا أراد الانبساط والسير والتنفس والكثرة والطموح الكبير عليه أن يكون متّصلًا بالمهدي منتظرًا له.

رابعًا: الانتظار هو الباعث نحو الحركة.

فالانتظار باعث نحو الخير والبناء والإصلاح.

«والباعث ما يحمل على الفعل، كالباعث على الثورة، والباعث على التنظيم، ويطلق على كل سبب عقلي يحدث فعلًا إراديًّا، أو ينزع إلى إحداثه، أو على كل حالة ذهنية تغلب فيها العناصر العقلية على العناصر الانفعالية»[١].

فالمنتظرون يدركون أن الانتظار باعث نحو الكمال، فهو سبب قوي لبناء الطموح والارتقاء وتحقيق الأهداف العظمى؛ لذا الانتظار فاعل وسبب باعث مفعل، ويسمّى محفّزًا ومشوّقًا للعمل.

خامسًا: الانتظار يصنع الرجاء.

«الرجاء في اللغة هو الطمع فيما يمكن حصوله، ويرادفه الأمل، ويستعمل في الإيجاب والنفي.

والرجاء في الاصطلاح تعلّق القلب بحصول محبوب في المستقبل. وقيل: هو توقّع الخير ممَّن بيده الخير»[٢].

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج١، ص١٩٦.
(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج١، ص٦٠٩.

سادسًا: الانتظار يربط الإنسان بالمصير.

والمصير في اللغة ما ينتهي إليه الأمر، يقال: مصير المياه، ومصير الخلق، قال تعالى: ﴿**وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾[١].

والمصير في الاصطلاح هو المستقبل الذي خلق الكائن من أجله والغاية التي ينتهي إليها.

والإنسان لا يدرك السعادة الأبدية إلَّا باتّباع طريق الفضيلة»[٢].

وقد حدّد الحديث الشريف مصير الإنسان وسعادته بالارتباط والعلاقة بالمهدي: «مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، ومعنى هذا أن مصير الإنسان مرتبط بالإمام المهدي وانتظاره، وجزء من دلالة الارتباط وبناء العلاقة وتحديد الهوية والطريق إلى السعادة أو الشقاء.

يقول السيد محمد صادق الصدر في موسوعته الجميلة عن الإمام المهدي عليه السلام: «لا يكون الفرد على مستوى الانتظار المطلوب إلَّا بتوفّر عناصر ثلاثة مقترنة: عقائدية ونفسية وسلوكية. ولولاها لا يبقى للانتظار أي معنى إيماني صحيح»[٣].

فإذا لم يكن عندك عقيدة بالمنتظر أو لم تستعد نفسيًّا لظهور المنتظر، أو كان سلوكك لا يتناسب مع الانتظار، حيث لا ورع ولا تقوى.

وهذا ما نلاحظه في روايات أهل البيت عليهم السلام التي أكدت على معرفة

(١) سورة المائدة، الآية ١٨.
(٢) المعجم الفلسفي، ج١.
(٣) تاريخ الغيبة الكبرى، ج٢، ص٢٩٢.

الحجة عجل الله فرجه عقائديًّا، وأن انتظاره يكون بالورع والسلوك القويم.

فالانتظار نوعان -كما يقول الشهيد المطهري-: «انتظار وبنَّاء باعث للتحرُّك والالتزام الرسالي، فهو عبادة وأفضل العبادات، وانتظار مخرّب يشلّ الإنسان عن العمل البنَّاء».

ويقول: «إن نوعي الانتظار هذين هما نتيجة لنوعين من الفهم لماهية الظهور التاريخي العظيم للمهدي الموعود عجل الله فرجه»[1].

البعض يعتقد أن انتظار الحجة عجل الله فرجه نتيجة امتلاء الأرض فسادًا وجورًا وظلمًا فيخرج الحجة عجل الله فرجه، ونتيجة لهذا الفهم يقول بعض الناس: دع الأرض تمتلئ فسادًا وظلمًا وانحرافًا حتى يظهر الحجة عجل الله فرجه، ونحن لسنا مسؤولين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى نعجّل بظهور الحجة عجل الله فرجه!

هذا فهم خاطئ للانتظار، وهو سلبي، حيث أصحاب هذا النوع من التفكير يظنون أن: ثورة الإمام الحجة الموعودة أنها صيغة انفجارية لا غير، وهي نتيجة انتشار الظلم وغصب الحقوق والفساد حينها تظهر يد الغيب لإنقاذ الحق، وعليه فإن أفضل عون يمكن أن يقدّمه الإنسان لتعجيل الظهور المهدوي وأفضل أشكال الانتظار هو السماح بترويج الفساد.

لكن المستفاد من الآيات أن ظهور المهدي الموعود حلقة من حلقات مجاهدة أنصار الحق لأشياع الباطل، فيلتحق أنصار الحق بالإمام الحجة عجل الله فرجه تكون عاقبتها الانتصار الكامل للحق.

ومشاركة الإنسان في الحصول على هذه السعادة مرهون أن يدخل في

(١) النهضة والثورة المهدوية، الشهيد المطهري، ص٦١ - ٨١.

صفوف أنصار الحق.

ويستفاد من الروايات الواردة أن ظهور المهدي يقترن ببلوغ جبهتي السعداء والأشقياء ذروة عملهم كل حسب أهدافه، لا أن ينعدم السعداء، ويبلغ الأشقياء ذروة إجرامهم. أي ليس فقط أهل الفساد يزداد عملهم، بل حتى أهل السعادة يزدادون في الدعوة إلى الحق.

ورأينا في ثورة الإمام الحسين أن أصحابه قلّة ولكنهم كانوا أكثر الناس إخلاصًا وإيمانًا، وكذلك أصحاب الحجة صحيح أنهم قلّة لكنهم سيكونون كأصحاب سيد الشهداء من الأوفياء ومن الخلّص ومن المؤمنين، بل من خيرة المؤمنين.

خلاصة البحث:

يتضح ممَّا تقدّم أن الانتظار الشرعي المطلوب يحتاج إلى جملة من الشروط، منها الشرط العقائدي أعني سلامة العقيدة، والشرط النفسي، والشرط السلوكي، فهذه بعض الشرائط والتكاليف التي يجب على المؤمن أن يتّصف بها في عصر الغيبة.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ غَيْبَتِهِ الْقَائِلُونَ بِإِمَامَتِهِ الْمُنْتَظِرُونَ لِظُهُورِهِ أَفْضَلُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْغَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدَةِ، وَجَعَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالسَّيْفِ، أُولَئِكَ الْمُخْلَصُونَ حَقًّا، وَشِيعَتُنَا صِدْقًا، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرًا»[1].

(١) بحار الأنوار،

شرائط الانتظار

قال الإمام الصادق عليه السلام: «طُوبَى لِشِيعَةِ قَائِمِنَا الْمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ فِي غَيْبَتِهِ، وَالْمُطِيعِينَ لَهُ فِي ظُهُورِهِ، أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ ﴿**لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾»[١].

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «لَهُ غَيْبَةً يَكْثُرُ أَيَّامُهَا، وَيَطُولُ أَمَدُهَا، فَيَنْتَظِرُ خُرُوجَهُ الْمُخْلِصُونَ، وَيُنْكِرُهُ الْمُرْتَابُونَ»[٢].

ما هو تكليفنا في الغيبة؟ وما هي أهمية الانتظار؟ وما هي الآثار التي ينالها المؤمن من خلال انتظاره للمهدي عليه السلام؟ وما هي شروط الانتظار؟

معرفة وظائفنا في زمن الغيبة يعدّ من الضروريات الشرعية كوجوب معرفة الإمام المعصوم عليه السلام معرفةً عقائديةً، فلا بد أن نعرف من هو صاحب الزمان، وأنصح الشباب المؤمن باستغلال المناسبات وأوقات اللقاء في الديوانيات للحوار في قضايا الدين وأمور المجتمع، وأن من الضروري قراءة كتب عن المهدي عليه السلام قراءة معمّقة وبوعي.. وذلك لأنه إمام عصرنا

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٣٥٧.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٣٧٨.

وزماننا، والواجب معرفة إمام العصر واجب الطاعة.

ومن الواجبات المتعلّقة بالمهدي هو: انتظار الفَرَج، والنصوص في هذه الوظيفة الشرعية بالعشرات؛ لذا يمكن القول: إن انتظار الفرج من أوجب الواجبات في زمن الغيبة؛ لأنه معني بصاحب الزمان، ولأنه من العوامل التي تعزّز وتعمّق الارتباط الوجداني بالمهدي، وتحقّق العلاقة الروحية بين القائد والموالين له.

فهذه العلاقة «والصلة الوجدانية بينهم وبين القائد، وكل ما يرمز إليه من قيم، وهي رابطة وصلة ليس بالإمكان إيجادها ما لم يكن المهدي قد تجسّد فعلًا في إنسان حي معاصر، وهكذا نلاحظ أن هذا التجسيد أعطى الفكرة زخمًا جديدًا، وجعل منها مصدر عطاء وقوة بدرجة أكبر، إضافة إلى ما يجده أي إنسان رافض من سلوة وعزاء وتخفيف لما يقاسيه من آلام الظلم والحرمان، حين يحس أن إمامه وقائده يشاركه هذه الآلام ويتحسّس بها فعلًا بحكم كونه إنسانًا معاصرًا، يعيش معه وليس مجرّد فكرة مستقبلية»[1].

و«الانتظار: يطلق عادة على من يكون في حالة غير مريحة وهو يسعى لإيجاد وضع أحسن.

فمثلًا المريض ينتظر الشفاء من سقمه، أو الأب ينتظر عودة ولده من السفر، فهما -أي المريض والأب- مشفقان، هذا من مرضه وذاك من غياب ولده، فينتظران الحال الأحسن، ويسعيان من أجل ذلك بما في وسعهما.

وكذلك- مثلًا- حال التّاجر الذي يعاني الأزمة السوقية وينتظر النشاط

(١) بحث عن المهدي، السيد محمد باقر الصدر، ص٥٦.

الاقتصادي. فهاتان الحالتان أي: الإحساس بالأزمة، والسعي نحو الأحسن هما من الانتظار»[١].

وفي قبسات من السيرة العلوية (ج١، ص٢٢٣): «قال الإمام علي عليه السلام: المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل اللَّه». ويمكن بيان تفسيرين لهذه الرواية لا يتنافيان مع بعضهما:

١- منتظرو الظهور يأتون بأعمال نتيجتها واحدة مع الجهاد في سبيل اللَّه؛ كما قال الإمام علي عليه السلام: «فرض اللَّه الجهاد عزًّا للإسلام».

ونتيجة انتظار المنتظرين الواقعيين هي هذه الأمور؛ الانتظار الذي يتحقّق في ظلّه التهذيب وإجراء الأحكام الإسلامية وإيصال صوت الدين بالاستعانة بالقلم والبيان وجميع الوسائل الحديثة إلى أقصى مناطق العالم.

سؤال: ما نوع انتظارنا؟

الجواب: يرى البعض أنّه منتظر بمجرد تكراره لهذه العبارة «سيدي عجل بظهورك»! والبعض الآخر اختصر انتظاره في قراءة دعاء «الندبة» وزيارة آل ياسين وما شابه ذلك.

وبعض بالإضافة إلى ذلك يتشرّف بزيارة مسجد جمكران المقدّس ويكتفي بذلك!

وهذا النوع من التفسير للانتظار يجعلنا نتعجّب حين تطالعنا مثل هذه الروايات ونسأل أنفسنا: كيف يكون ثواب الدعاء مساويًا لثواب من يتشحّط بدمه جهادًا في سبيل اللَّه؟ أما إن فسرنا الانتظار بإعداد البشرية برمتها لظهور

(١) الأمثل، ج٦، ص٢٣.

الإمام عليه السلام فإنّ هذا الانتظار يعادل الجهاد، بل أحيانًا يفوقه أبعادًا!

٢- كان البعد الخارجي للانتظار هو التفسير الأول، أمّا البعد الباطني للانتظار هو جهاد النفس، وعلينا أن نهذب ونعدّ أنفسنا؛ لأنّه باسط العدالة، فأنَّى لي انتظار ظهوره إن كنت ظالمًا.

هو طيب وطاهر، فكيف أزعم انتظاره إن كنت ملوثًا و... وعليه إنّما يتحقق الانتظار الواقعي حين نجاهد أنفسنا ونتأهَّب بما يجعلنا مؤهَّلين أن نكون من جنوده. ومن الواضح أن جهاد النفس أصعب بكثير من جهاد العدو. ومن هنا خاطب رسول اللَّه صلى الله عليه وآله المسلمين الذين عادوا من معركة عنيفة قائلًا: «مرحبًا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال الجهاد مع النفس».

والنتيجة لا بدّ من تفسير الانتظار للناس في بعديه الخارجي والباطني كي لا يفرغ من محتواه ولا يختصر في الدعاء. ترى لو كنّا ننتظر ضيفًا عزيزًا ماذا نفعل؟ لا شك ننظف أنفسنا ونطهّر البيت. أفلا ينبغي أن يطهّر منتظرو إمام العصر والزمان- عجل اللَّه فرجه- أنفسهم وبيوتهم؟!».

نصوص في انتظار الفرج:

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من حبس نفسه لداعينا وكان منتظرًا لقائمنا كان كالمتشحِّط بدمه بين سيفه وترسه في سبيل اللَّه»[1].

وعن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «سألته عن شيء من الفرج فقال عليه السلام: «أَوَليس تعلم أن انتظار الفرج من الفرج، إن اللَّه

(١) شرح الأخبار، القاضي النعماني المغربي، ج٣، ص٣٥٧.

يقول: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾»[١].

وعن أحمد بن محمد بن الحسن الرضا عليه السلام قال: «سمعته يقول: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج. أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِين﴾»[٢].

وعن الحسن بن الجهم قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من الفرج.

فقال: أَوَلست تعلم أن انتظار الفرج من الفرج؟

قلت: لا أدري، إلَّا أن تُعلّمني.

فقال: نعم، انتظار الفرج من الفرج»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «مِنْ دِينِ الْأَئِمَّةِ الْوَرَعُ وَالْعِفَّةُ وَالصَّلَاحُ، إِلَى قَوْلِهِ: وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ»[٤].

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «انْتَظَرُوا الْفَرَجَ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عزوجل انْتِظَارُ الْفَرَجِ.

وَقَالَ عليه السلام: مُزَاوَلَةُ قَلْعِ الْجِبَالِ أَيْسَرُ مِنْ مُزَاوَلَةِ مُلْكٍ مُؤَجَّلٍ، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، لَا تُعَاجِلُوا الْأَمْرَ قَبْلَ بُلُوغِهِ فَتَنْدَمُوا، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ.

(١) تفسير العياشي، ج٢، ص ١٣٨.
(٢) البرهان في تفسير القرآن، ج٢، ص ٥٦١.
(٣) الأربعون حديثًا عن الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٤، حديث ١.

وَقَالَ عليه السلام: الْآخِذُ بِأَمْرِنَا مَعَنَا غَدًا فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، وَالْمُنْتَظِرُ لِأَمْرِنَا كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[1].

ما العلاقة بين الانتظار والفرج؟

هناك علاقة وثيقة بين الانتظار والفرج، تلك العلاقة لها مقدّمة ونتيجة:

المقدمة هي الانتظار.
والنتيجة هي الفرج.

والفرج معناه: الكشف والإزالة، وانكشاف الغمّ والهمّ.

فرجت بين الشيئين فرجًا من بابا ضَرَبَ: فتحت.

وفرج القوم للرجل فرجًا أيضًا: أوسعوا في الموقف والمجلس، وذلك الموضع فرجة، والجمع فُرَج، وكل منفرج بين شئين فهو فرجة، وكل موضع مخافة فرجة.

والفرج بالفتح: مصدر يكون في المعاني وهي الخلوص من شدة.

وفرج اللَّه الغمّ: كشفه، والاسم الفرج.

ومن الواضح أن النصّ الإسلامي لما دعا المؤمن إلى ضرورة انتظار الفرج فهو يدعو إلى أمرين:

الأول: الانتظار والصبر والتحمُّل.
الثاني: انتظار الفرج وكشف الغمّ والهمّ والحزن والألم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٥، حديث ٧.

وهذا يدل على أن هناك أزمات نفسية ومعنوية ومادية واجتماعية وسياسية واقتصادية، كلها عوامل يمكن أن يفشل المؤمن في مواجهتها، ممّا دعا إلى ضرورة فهم حقيقة الانتظار، وأن هذا مقدمة لتحقّق الانفراج والانتصار.

قال ابن فارس: «الغين والميم أصل واحد صحيح يدل على تغطية وإطباق. تقول: غممت الشيء أغمّه: أغطيه، وغمَّ الهلال: إذا لم يُرَ».

يقال: أمر غمّة أي مبهم ملتبس.

والغمّ ضد الفرج، والغمَّة الضِّيْقة.

والغمّ: معنىً ينقبض القلب منه، ويكون لوقوع ضرر قد كان، أو توقّع ضرر يكون.

والغمّ: ما لا يقدر الإنسان على إزالته كموت المحبوب.

والهمّ كذلك كالغمّ حزن يُذيب قلب الإنسان من الألم لما فيه من الشدة وخشونة المصاب.

وقالوا: الهمّ والغمّ والحزن من وادٍ واحد.

وأنا أذكر للقارئ بعض ما جاء عن أصحاب الأئمة وحواراتهم معهم في شأن الانتظار، وتعبيرهم عن الألم والغمّ والحزن الذي يعيشون فيه، وما يرونه من مضايقات ومواجهات مع أئمة الحق عليهم السلام من قبل الحاكم الظالم، وممَّن يدّعي العلم بفقه السنة النبوية من الدعاة والعلماء، وهم أعوان السلطان.

فالشيعة في زمن الأئمة عليهم السلام كانوا يستعجلون ظهور القائم المهدي عليه السلام والسبب ما لاقوه من الزمان وألمه وغمّه. فهذا عبدالحميد الواسطي يشكو حال الشيعة في زمن الظلم، ويستفسر عن وقت الفرج وخروج الإمام المهدي عليه السلام.

عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيِّ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْنَا أَسْوَاقَنَا انْتِظَارًا لِهَذَا الْأَمْرِ، حَتَّى أَوْشَكَ الرَّجُلُ مِنَّا يَسْأَلُ فِي يَدَيْهِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ، أَتَرَى مَنْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا؟! بَلَى وَاللَّهِ، لَيَجْعَلَنَّ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا. رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَيْنَا، رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا. قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ مِتُّ قَبْلَ أَنْ أُدْرِكَ الْقَائِمَ؟ فَقَالَ الْقَائِلُ مِنْكُمْ: إِنْ أَدْرَكْتُ الْقَائِمَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ نَصَرْتُهُ كَالْمُقَارِعِ مَعَهُ بِسَيْفِهِ، وَالشَّهِيدُ مَعَهُ لَهُ شَهَادَتَانِ»[1].

وعَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيِّ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَكُنْتُ عِنْدَهُ إِذْ دَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام وَهُوَ غُلَامٌ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَجَلَسْتُ، فَقَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا بَا إِبْرَاهِيمَ، أَمَا إِنَّهُ صَاحِبُكَ مِنْ بَعْدِي، أَمَا لَيَهْلِكَنَّ فِيهِ أَقْوَامٌ وَيَسْعَدُ آخَرُونَ، فَلَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ، وَضَاعَفَ عَلَى رُوحِهِ الْعَذَابَ.

أَمَا لَيُخْرِجَنَّ اللَّهُ مِنْ صُلْبِهِ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ بَعْدَ عَجَائِبَ تَمُرُّ بِهِ حَسَدًا لَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، يُخْرِجُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ صُلْبِهِ تَكْمِلَةَ اثْنَيْ عَشَرَ إِمَامًا مَهْدِيًّا، اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ قُدْسِهِ.

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٧، حديث ١٦.

الْمُنْتَظِرُ لِلثَّانِي عَشَرَ كَالشَّاهِرِ سَيْفَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَذُبُّ عَنْهُ. فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي أُمَيَّةَ فَانْقَطَعَ الْكَلَامُ، وَعُدْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً أُرِيدُ اسْتِتْمَامَ الْكَلَامِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ، هُوَ الْمُفَرِّجُ لِلْكَرْبِ عَنْ شِيعَتِهِ بَعْدَ ضَنْكٍ شَدِيدٍ، وَبَلَاءٍ طَوِيلٍ وَجَوْرٍ، فَطُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ، وَحَسْبُكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ.

قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ: فَمَا رَجَعْتُ بِشَيْءٍ أَسَرَّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا وَلَا أَفْرَحَ لِقَلْبِي مِنْهُ»[١].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «فَمَا تَمُدُّونَ أَعْيُنَكُمْ فَمَا تَسْتَعْجِلُونَ، أَلَسْتُمْ آمِنِينَ؟ أَلَيْسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ فَيَقْضِي حَوَائِجَهُ ثُمَّ يَرْجِعُ لَمْ يُخْتَطَفْ؟ إِنْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَيُؤْخَذُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فَتُقْطَعُ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ، وَيُصْلَبُ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، وَيُنْشَرُ بِالْمِنْشَارِ، ثُمَّ لَا يَعْدُو ذَنْبَ نَفْسِهِ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾**[٢]»[٣].

فهذه أمثلة ترسم لنا واقع الشيعة والموالين للمعصومين عليهم السلام في عصور الحكّام الظلمة، وانتظارهم الفرج وكشف الغمة والهمّ، وتخليصهم من الظلم والطغيان والإقصاء التي تمارسه الأمة في حق المعصومين وشيعتهم.

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٩، حديث ٢٤.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٧٠، حديث ٢٨.

إذن الانتظار مقدّمة، والفرج نتيجة، وما بينهما من الثواب والجزاء العظيم.

هذا عمار الساباطي قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْعِبَادَةُ مَعَ الْإِمَامِ مِنْكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي السِّرِّ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ أَمِ الْعِبَادَةُ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ وَدَوْلَتِهِ مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ مِنْكُمْ؟

فَقَالَ: يَا عَمَّارُ، الصَّدَقَةُ فِي السِّرِّ وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَكَذَلِكَ عِبَادَتُكُمْ فِي السِّرِّ مَعَ إِمَامِكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ؛ لِخَوْفِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ وَحَالِ الْهُدْنَةِ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ، وَلَيْسَ الْعِبَادَةُ مَعَ الْخَوْفِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ مِثْلَ الْعِبَادَةِ مَعَ الْأَمْنِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ.

اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ صَلَاةً فَرِيضَةً وُحْدَانًا مُسْتَتِرًا بِهَا مِنْ عَدُوِّهِ فِي وَقْتِهَا فَأَتَمَّهَا كَتَبَ اللَّهُ عزوجل لَهُ بِهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً فَرِيضَةً وَحْدَانِيَّةً، وَمَنْ صَلَّى مِنْكُمْ صَلَاةً نَافِلَةً فِي وَقْتِهَا فَأَتَمَّهَا كَتَبَ اللَّهُ عزوجل لَهُ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ نَوَافِلَ، وَمَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ حَسَنَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عِشْرِينَ حَسَنَةً، وَيُضَاعِفُ اللَّهُ تَعَالَى حَسَنَاتِ الْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ إِذَا أَحْسَنَ أَعْمَالَهُ وَدَانَ اللَّهَ بِالتَّقِيَّةِ عَلَى دِينِهِ وَعَلَى إِمَامِهِ وَعَلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَ مِنْ لِسَانِهِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً كَثِيرَةً، إِنَّ اللَّهَ عزوجل كَرِيمٌ.

قَالَ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَدْ رَغَّبْتَنِي فِي الْعَمَلِ، وَحَثَثْتَنِي عَلَيْهِ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ صِرْنَا نَحْنُ الْيَوْمَ أَفْضَلَ أَعْمَالًا مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ مِنْكُمُ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ، وَنَحْنُ وَهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ عزوجل؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَإِلَى الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ،

وَإِلَى كُلِّ فِقْهٍ وَخَيْرٍ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ سِرًّا مِنْ عَدُوِّكُمْ مَعَ الْإِمَامِ الْمُسْتَتِرِ، مُطِيعُونَ لَهُ، صَابِرُونَ مَعَهُ، مُنْتَظِرُونَ لِدَوْلَةِ الْحَقِّ، خَائِفُونَ عَلَى إِمَامِكُمْ وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ، تَنْظُرُونَ إِلَى حَقِّ إِمَامِكُمْ وَحَقِّكُمْ فِي أَيْدِي الظَّلَمَةِ، قَدْ مَنَعُوكُمْ ذَلِكَ وَاضْطَرُّوكُمْ إِلَى جَذْبِ الدُّنْيَا وَطَلَبِ الْمَعَاشِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى دِينِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ وَطَاعَةِ رَبِّكُمْ وَالْخَوْفِ مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَبِذَلِكَ ضَاعَفَ اللَّهُ أَعْمَالَكُمْ، فَهَنِيئًا لَكُمْ هَنِيئًا.

قَالَ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَمَا نَتَمَنَّى إِذًا أَنْ نَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ عليه السلام فِي ظُهُورِ الْحَقِّ وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي إِمَامَتِكَ وَطَاعَتِكَ أَفْضَلُ أَعْمَالًا مِنْ أَعْمَالِ أَصْحَابِ دَوْلَةِ الْحَقِّ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ فِي الْبِلَادِ، وَيُحْسِنَ حَالَ عَامَّةِ النَّاسِ، وَيَجْمَعَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ، وَيُؤَلِّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَلَا يُعْصَى اللَّهُ فِي أَرْضِهِ، وَيُقَامَ حُدُودُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَيُرَدَّ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُظْهِرُوهُ حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ. أَمَا وَاللَّهِ يَا عَمَّارُ لَا يَمُوتُ مِنْكُمْ مَيِّتٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا فَأَبْشِرُوا»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٨، حديث ٢٠.

منزلة المنتظرين وصفاتهم

مقدمة:

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿**وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**﴾[١]، ﴿**فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[٢]، فعليكم بالصبر فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم»[٣].

وقال الإمام السجاد عليه السلام: «إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان؛ لأن اللَّه تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة العيان، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول اللَّه صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقًّا، وشيعتنا صدقًا، والدعاة إلى دين اللَّه عزَّ وجلَّ سرًّا وجهرًا»[٤].

(١) سورة هود، الآية ٩٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٧١.
(٣)قرب الإسناد، ص ٣٨٠ - ٣٨١.
(٤)كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٣٢٠.

يتناول الإمام عليه السلام في هذه الرواية حقيقة المنتظرين وصفاتهم، وأنهم الشيعة الحقيقيون، يعتقدون بإمامة الحجة عجل الله فرجه وغيبته، ويعتقدون بظهوره عجل الله فرجه، فهم رغم ما في هذا الزمن من التشكيك في المعتقدات، وحيث منحنى التشكيك في تصاعد مستمر، ويكفي أن نعود إلى عام ١٣٧١هـ كنقطة بدء افتراضية لتصور تصاعد موجة التشكيك (أي قبل حوالي سبعين عامًا) لندرك مستوى ما بلغته موجة التشكيك في هذا الزمن، ففي شهر شعبان من عام ١٣٧١هـ كتب الشيخ فرج العمران رحمه الله عن لقاء جمعه مع السيد المقرّم يتضمّن وصفًا للوضع الإسلامي في تلك المرحلة: «في يوم الجمعة السابع من الشهر المؤرّخ زارنا فضيلة السيد المكرم السيد عبدالرزاق المقرّم صاحب التأليفات الثمينة والكتب القيّمة الممتعة بالتحقيق والتدقيق، فحصل لي بزيارته من الأنس الشيء الكثير.

وبعد تقديم ما يناسب المقام من الشربت من الثلج والقهوة (البن) مع الجقاير عرضت على فضيلته أني أرغب جدًّا في تأليف كتاب يشتمل على جميع الآيات المتضمّنة لمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء الخارقة للعادة، وتعقيبها بتفسيرها الصحيح من المصادر الوثيقة والمراجع الموسوعة المهمة.

وذكر ما يندرج في سلكها من الفوائد والنوادر والعجائب والغرائب، ثم ذكر ما يشبه تلك المعجزات والكرامات من معجزات المعصومين الأربعة عشر وكراماتهم لذكرهم المجد، فإني أرى فيما أعلم أن هذا الأسلوب لم يدوّن فيما سبق، وأنه من الأمور المهمّة جدًّا في مثل هذا الزمان المنكوس الذي كثر فيه إنكار المعجزات والخوارق للعادة الصادرة من أولياء اللّه من آل محمد لذكرهم الشرف.

وأرغب أن يسمّى هذا الكتاب (الكتاب والعترة)، فإن السامع إذا سمع الآية المشتملة على المعجزة وتفسيرها الصحيح الصريح ثم سمع بعدها الرواية للكرامة المماثلة لها لا يسعه إنكار معقولية صدورها، فإما أن يذعن، وإما أن يسكن ويُفحم، نعم يبقى له المجال في ثبوتها فقط، واللَّه الهادي إلى صواب الهدى»[1].

مقدمات الالتحاق بقافلة المنتظرين:

ما هي الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المؤمن المنتظر لخروج الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

الشروط يمكن أن نُجملها في النقاط التالية، وجزء مهم منها هو برنامج عملي للمنتظر لخروج صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهذا البرنامج ينبغي لكل مؤمن أن ينتهجه في حياته الخاصة وحياته الاجتماعية.

الشرط الأول: ترسيخ معرفة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف:

من المهم أن يعرف المؤمن إمامه الحجة، وأن يقرأ عنه، ويتعرّف إليه عن قرب. لأن ترسيخ معرفة الإمام الحجة، والإيمان بإمامته، مسألة مهمّة، حيث هناك من يشكّك في إمامة الحجة، بل هناك من لا يعتقد بالحجة، فمن المهم ترسيخ المعرفة بالحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف والقيام بمهامها في غيبته، ومعرفة طبيعة دوره التاريخي.

إننا نعتقد أن الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف موجود، وأنه إمام ويقوم بمهام الإمامة في زمن الغيبة أيضًا، كما نعتقد أنه هو المنقذ العالمي، وسيملأ الأرض عدلًا وقسطًا، فعلينا أن نعتقد بهذا.

---

(١) الأزهار الأرجية، ج٤، ص٥٤.

إنقاذ البشرية منوطة بالحجة عجل الله فرجه الشريف، فالعالم المملوء بالانحراف وسيأتي من ينقذ العالم كله وليس فقط المؤمنين، فالدور التاريخي للحجة مهم، وهناك دور للمؤمنين اتجاه الحجة عليه السلام من خلال ترسيخ المعرفة بالحجة، وذلك شرط أساسي من الانتظار الإيجابي مقابل الانتظار المخرّب الذي يعتقد أنه لا بد أن تُهدم الدنيا حتى يظهر عليه السلام.

فإذا توفّرت هذه المعرفة عند الإنسان المؤمن فسيكون مستعدًا في كل وقت لظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، فمتى كانت عند الإنسان معرفة وإيمان ومعتقد بإمامة الحجة عجل الله فرجه الشريف وظهوره سيكون متهيئًا لظهور الحجة عجل الله فرجه الشريف في أي وقت ولا يُفاجأ إذا ظهر الحجة عجل الله فرجه الشريف.

الشرط: الثاني: ترسيخ الإخلاص:

الإخلاص مطلوب في القيام بمختلف متقضيات الانتظار، فالمنتظر يجب أن يكون مخلصًا ونقيًّا عن الشوائب والأغراض المادية والنفسية حتى يكون الانتظار عبادة. فالإنسان المنتظر لخروج الحجة هو في عبادة كما في روايات أهل البيت عليهم السلام، بل أفضل العبادة أن ينتظر الإنسان ظهور الحجة. ولذا هو بحاجة إلى الإخلاص في الاعتقاد والسعي في رضا اللَّه.

وقد صرّح أحد علمائنا وهو (السيد محمد تقي الأصفهاني) أن توفُّر النية الخالصة لانتظار الإمام شرط من شروط الانتظار، والقيام بواجب الانتظار.

يقول رحمه الله: «استحقاق الثواب بالعبادة موقوف على قصد الإطاعة كما سمعت في صريح الرواية. والمفروض أنه لم يأتِ بالمأمور به تعبُّدًا، فليس

انتظاره عبادة، وكما لا يستحق الثواب كذلك لا يستحق العقاب أيضًا؛ لأنَّا لم نعلم انحصار المصلحة فيه في الإتيان به بقصد التعبُّد فقط، بل الظاهر من الممارسة في أخبار المقام أن الغرض أَلَّا ييأس المؤمن من ظهور الإمام عليه الصلاة والسلام.

ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح اللَّه... إلخ»، فإن الظاهر أن قوله: «لا تيأسوا» بيان لأول درجات الانتظار»[١].

الشرط الثالث: علينا أن نُربِّي أنفسنا:

تربية النفس مسألة مهمة في إعداد الإنسان نفسه على المستوى الشخصي لخروج الحجة عجل الله فرجه، فمرة ننتظر خروج الإمام كيفما كان، بغض النظر عن وضعنا وأخلاقنا وديننا والتزامنا، لا نهتم ولكن نقول: «اللهم عجِّل له الفرج»، ومرة ننتظر الإمام مع كامل الاستعداد لخروجه، متهيئين نفسيًّا وتربويًّا.

إن «انتظار الفرج ليس بمعنى الانتظار القلبي فحسب وإن كان الانتظار القلبي منه، لكن بمعنى العمل -أيضًا- لأجله ولأجل أن يعجّل اللَّه ظهوره، فكما أن الانتظار بالنسبة إلى الزارع أن يُهيِّئ الأرض وسائر الشؤون المرتبطة بالزرع، وكما أن الانتظار للضيف عليه أن يُهيِّئ المقدّمات ويهيِّئ نفسه لذلك، هكذا انتظار الفرج. فعلينا في غيبة الإمام عجل الله فرجه أن نُهيِّئ أنفسنا ومجتمعاتنا بالعمل الصالح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وننتظر دولته العادلة»[٢].

---

(١) مكيال المكارم، ج٢، ص١٣٩.

(٢) الإمام المهدي عجل الله فرجه، السيد محمد الشيرازي، ص٦٩.

إن التزامنا بالدين السليم، والتحلّي بمكارم الأخلاق، والبعد عن الأخلاق الفاسدة، شرط أساس لانتظار خروج الحجة.

وهذا مصداق لقول السجاد عليه السلام وهو يصف المنتظرين للإمام الحجة والمعتقدين بإمامته «أُولَئِكَ الْمُخْلَصُونَ حَقًّا، وَشِيعَتُنَا صِدْقًا»، لأنه يكشف أن هؤلاء مستعدون، وإلَّا كيف يكونون شيعة صدقًا لأهل البيت عليهم السلام وسلوكهم مخالف لعقيدة الانتظار؟!

لا بد من معرفة «أن الأئمة عليهم السلام مرتبطون بحقائق الكون، فهم ينظرون إلى القلوب ولا تخدعهم صورة الشخص وظاهره... إن أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام المهدي عليه السلام يتعاملون مع قلوبنا ولا ينظرون إلى صورنا وأشكالنا، ولذلك علينا أن نقول الحق ونعتقد به ونعمل وفقه»[١].

فالتربية والإعداد النفسي مهمين، ويفترض أن عباداتنا كصلاتنا وصومنا والحج الذي نُؤدّيه وإنفاق أموالنا هي تهيّئنا وتربي أنفسنا للالتزام والاستعداد لخروج الإمام الحجة عجل الله فرجه.

الشرط الرابع: الجانب الاجتماعي لخروج الحجة:

على الإنسان المؤمن أن يتحرّك اجتماعيًّا، ويمارس دوره الرسالي لكي يُمهِّد لخروج الحجة عجل الله فرجه، وفي الرواية يقول الإمام السجاد عليه السلام: «أولئك المخلصون حقًّا، وشيعتنا صدقًا، والدعاة إلى دين اللَّه عزّ وجلّ سرًّا وجهرًا»[٢].

---

(١) حقائق عن الإمام المهدي، ص٦٢.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٣٢٠.

السيد الشيرازي قدس سره: مقصرون في حق إمام الزمان:

يقول المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي قدس سره: «نحن أناس قد مَنَّ اللَّه علينا بمعرفة إمام زماننا الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف والاعتقاد به، فعلينا أن نسعى لهداية الآخرين أيضًا إلى ذلك. إن اللَّه أعطانا شمسًا مضيئة لكننا جعلناها منحصرة بمكان خاص، فلا يكفي مجرد الدعاء للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بالفرج والتوسل إليه والقيام ببعض الوظائف المذكورة من التصدّق وما أشبه، بل علينا مسؤولية هداية الآخرين لمعرفة هذا الإمام العظيم والاعتقاد بولايته.

فيلزم على كل واحد منا أن يسعى لنشر اسم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وعلومه ومدرسته في العالم أجمع عبر طبع ونشر الكتب، وتقديم البرامج التلفزيونية في الفضائيات وغيرها، والاستفادة من الإنترنت وما أشبه لتعريف العالم بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يوجد في قم المقدسة أحد العلماء والذي لا يرغب في ذكر اسمه، وقد أتعب منذ سبع إلى عشر سنوات بجمع الكتب التي أُلِّفت حول الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بشكل مستقل باللغة العربية والفارسية وغيرها.

فقلت له: أتعلم كم نحن مقصّرون في حق إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فإن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف موجود منذ اثني عشر قرنًا تقريبًا، إذ ولد عجل الله تعالى فرجه الشريف في سنة مائتين وخمسة وخمسين للهجرة، ونحن الآن في سنة ألف وأربعمائة وعدة سنوات للهجرة، ولم يُكتب حول الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف سوى ١١٠٠ إلى ١٢٠٠ كتاب حسب البحث الطويل الذي دام عدة سنوات لاستقراء هذه الكتب، وهذا يعني أن معدل الكتابة هو كتاب واحد فقط لكل سنة، وإذا ما نظرنا إلى الأرقام العالمية

فسنرى كم هذا الرقم ضئيل وقليل»[١].

إن المطلوب من المنتظرين ليس أن يكونوا على المستوى الشخصي متهيئين فقط، بل أيضًا عليهم أن يمارسوا دورهم، بأن يكونوا «دعاة إلى دين اللَّه عزّ وجلَّ سرًّا وجهرًا»، يدعون إلى دين اللَّه، ويهيّئون أنفسهم أن يكونوا أنصار اللَّه وأنصار الحجة، ويعملون على زيادة أنصار الإمام عجل الله فرجه كما أكّد هذه الصفة الإمام عليه السلام.

الانتظار حركة إيجابية:

الانتظار حركة إيجابية وليس موقفًا سلبيًّا. وهناك اعتقاد عند البعض لماذا ندعو الناس للإيمان والخير ونأمر بالمعروف؟ اترك الأمور على غاربها حتى يزداد الفساد، وتمتلئ الأرض فسادًا حتى نُعجّل بظهور الإمام. هذا انتظار خاطئ قد يعتقد به البعض، لكنه ليس حركة بناء لانتظار الإمام، بل هو انتظار سلبي، فالمؤمنون المنتظرون للحجة عجل الله فرجه ليس هذا موقفهم.

الانتظار البنَّاء أن يمارس المؤمنون دورهم في الدعوة إلى الخير والإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكونوا كمن هو من أنصار الإمام عجل الله فرجه، بحيث لو ظهر الآن أكون من أنصاره، وإلَّا إذا تركت الأمر فقد يُمارس الحرام، فكيف أكون منتظرًا للإمام عجل الله فرجه.

يقول أحد المراجع: «سلام على المهدي الموعود، وسلام على منتظريه الحقيقيين، سلام على غيبته وظهوره، وسلام على الذين يدركون ظهوره على نحو الحقيقة ويرتوون من كأس هدايته».

---

(١) في مولد الإمام الحجة، السيد محمد الشيرازي، ص٦٠.

الانتظار المتأهب لظهور فوري مبارك:

هذا ينقلنا إلى العنوان الأخير في مبحث تكليفنا في الغيبة حول الظهور الفوري عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد تسأل متى يظهر الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ بعد حين، اليوم، غدًا، بعد مائة سنة، لا نعلم، لا نُوقّت، قد يظهر الإمام فورًا، فإذا ظهر الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف فورًا ما هو تكليفنا؟

تشير الروايات إلى وجوب انتظار ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فبعد أن اعتقدنا بإمامته وغيبته نعتقد بوجوب ظهوره. في المقابل هناك روايات أشارت إلى أنه في خضم هذا الانتظار قد يكون الظهور فوريًّا، فعلى الإنسان إذن أن يعتقد بإمكان ظهور الإمام فورًا، وأن يُهيّئ نفسه لهذا الظهور.

يقول الشهيد محمد صادق الصدر في كتابه (تاريخ الغيبة الكبرى ص٤٢٧): «من الأخبار الدالة على التكليف في عصر الغيبة ما دلّ على وجوب الانتظار الفوري، وتوقع الظهور الفوري للإمام في كل وقت بالمعنى الذي سبق أن حقّقناه».

في المقابل يقول السيد محمد تقي الأصفهاني في كتابه (مكيال المكارم) بعد أن نقل مجموعة من الروايات التي تؤكّد على وجوب الانتظار والتهيُّؤ:

«أقول: المقصود من توقّع الفرج صباحًا ومساءً هو الانتظار للفرج الموعود في كل وقت يمكن فيه وقوع هذا الأمر المسعود، ولا ريب في إمكان وقوع ذلك في جميع الشهور والأعوام، بمقتضى أمر المدبّر العلَّام، فيجب الانتظار له على الخاص والعام»[1].

(١) مكيال المكارم، ج٢، ص١٤٣.

ووجوب الانتظار يشمل الجميع، من يعتقد بولادة الإمام ووجوده وظهوره، ومن لم يعتقد بهذا، بل اعتقد أن الإمام سيولد، يجب عليه -أيضًا- انتظار الإمام عجل الله فرجه الشريف، وهذا ما يقوله الصدر: «هذا الانتظار على الخاص والعام بنحو يحصل اليقين في مدلولها، وينقطع العذر أمام اللَّه عزّ وجلّ بعد العلم بإناطة ذلك الغرض بإرادة اللَّه من دون أن يكون لغيره رأي في ذلك. فإذن من المحتمل في كل يوم أن يقوم المهدي عليه السلام بحركته الكبرى لتطبيق ذلك الغرض؛ لوضوح احتمال تعلّق إرادة اللَّه به في أي وقت.. ولا ينبغي أن تختلف الأطروحة الإمامية عن غيرها؛ إذ على تلك الأطروحة يأذن الظهور بعد الاختفاء، وأما على الأطروحة القائلة: إن المهدي يولد في مستقبل الدهر ويقوم بالسيف، فيحتمل أن يكون الآن مولودًا ويوشك أن يأمره اللَّه بالظهور، وهذا الاحتمال قائم في كل وقت.

وهذا يقودنا إلى الانتظار الفوري على كل من يؤمن بأن الإمام المهدي منقذ للعالم.

وهذا الاعتقاد ليس منحصرًا على الشيعة الإمامية، بل يعتقد به حتى من غير أتباع أهل البيت عليهم السلام من المسلمين، فهناك روايات ثابتة، منها ما روي من أن نبي اللَّه عيسى عليه السلام يأتي فيقول له إمام العصر عجل الله فرجه الشريف: صلِّ، فيقول عيسى عليه السلام: بل تقدّم لنقتدي بك. وقد نقل هذا المضمون في روايات كثيرة»[1].

وهناك من يؤمن باللَّه من غير المسلمين ويعتقدون بأن هناك منقذًا لهذا العالم، فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح سيأتي وينقذ العالم، فالكل

(١) حقائق عن الإمام المهدي، السيد محمد الشيرازي، ص٣٠.

متسالمون على أن هناك منقذًا سيأتي لهذا العالم، وقد يأتي فورًا. لذا فإن تكليفنا في عصر الغيبة هو التهيُّؤ والاستعداد وتوقع الظهور في أي حين.

لا تجعل علامات الظهور تُنسيك الاستعداد الفوري:

وقد يظن البعض أن الظهور الفوري يتعارض مع علامات الظهور، حيث العلامات تسبق ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فكيف يخرج الإمام فورًا؟ فأين علامات الظهور؟

يقول العلماء: لا تنافي في ذلك؛ لأنه ليس من اللازم أن تظهر العلامات بفترة طويلة قبل ظهور الإمام عليه السلام كمائة سنة مثلًا، بل قد تظهر قبل ظهوره بفترة قليلة.

يقول الشهيد محمد الصدر رحمه الله: «إن العلامات يحتمل وقوعها في أي وقت، ويحتمل أن يتبعها ظهور المهدي عليه السلام في وقت قصير، وأما شرائط الظهور فيحتمل اكتمالها وإنجازها في أي وقت، وقلنا: إن وجود هذا الاحتمال كافٍ في إيجاد الجو النفسي للانتظار الفوري».

فهذه الاحتمالات متى توفّرت في نفس الإنسان، واعتقد أن الإمام قد يظهر فورًا، وأنه قد يُفاجئنا بظهوره، يكون هذا الإنسان متهيِّئًا دائمًا لظهور الحجة عجل الله فرجه الشريف، ويتوفّر على شروط الانتظار من معرفة الإمام والإخلاص لهذا الانتظار، وهذا كافٍ في تهيئة الإنسان لظهوره.

البائسون هم اليائسون من الظهور:

نختم البحث بمسألة مهمة أشارت إليها الرواية التي ذكرناها عن الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج»[1].

اليأس بشكل عام حرام، وعدَّه القرآن من الكبائر، وكذلك في المسألة المهدوية، ففي بعض الحالات قد يصاب الإنسان باليأس، ويتساءل: متى يظهر الإمام؟ فإن الدنيا مُلئت ظلمًا وجورًا ولم يظهر.

واليأس من الانتظار يمكن أن يُتصور على أقسام:

«**الأول**: اليأس من أصل ظهور القائم بالكلية. ولا شبهة في حرمة ذلك اتّفاقًا؛ لأن ظهور القائم وقيامه من ضروريات مذهب الإمامية بأجمعهم، بل يحتمل أن يكون أصل ظهور القائم من ضروريات دين الإسلام؛ لأن الأحاديث فيه متواترة عن خير الأنام من طرق الخاص والعام، بل اعترف علماؤهم بهذا المرام، وإنما الخلاف في تعيين شخصه ووجوده فعلًا، في قبال العامة القائلين بأنه سيوجد، فإنكاره بالكلية تكذيب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويشهد لما ذكرنا ما حكاه المجلسي رحمه الله عن ابن أبي الحديد الذي هو من أعيان العلماء العامة أنه قال: قد وقع اتّفاق من المسلمين على أن الدنيا والتكليف

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج١٢، ص ٣٧٩.

لا ينقضي إلَّا على مهدي، انتهى.

الثاني: اليأس من ظهور القائم عليه السلام في مدة معيّنة بحسب الحدسيات والوهميات، بأن يقال مثلًا: إن القائم صلوات اللَّه عليه لا يظهر إلى خمسين سنة، ولازم ذلك عدم الانتظار في تلك المدة، والظاهر من ملاحظة الأحاديث الآمرة بالانتظار في كل صباح ومساء حرمة هذا القسم من اليأس لظهور الأمر في الوجوب، وترك الواجب محرّم قطعًا، وأما الأحاديث الدالّة على المطلوب فقد مرّ جملة منها»[1].

فإذن الاعتقاد بانتظار الفرج يُعطي الأمل والاستقرار النفسي بالفرج؛ ولذا ينبغي أَلَّا تراود الإنسان المؤمن الأفكار السوداء وأَلَّا يداخله اليأس والقنوط في هذا الشأن.

إن المؤمن يعيش الأمل، متسع الأفق، ولا يعيش اليأس مهما كانت الظروف قاسية، بل حتى على الصعيد الشخصي قد يرتكب بعض المؤمنين المعاصي ثم يأخذه الشيطان بعيدًا عن الدين والإيمان ويصاب باليأس يقول: لا مجال للتوبة.

ويردد: متى أتوب؟ لم يبقَ شيء لم أعمله. ويضله الشيطان وينغمس في المحرمات، وتصبح حالة من اليأس، ولا يرى أمامه طريقًا سوى إكمال طريق الحرام.

هذا مرفوض، ولا يجوز اليأس، ﴿**وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[2]، مهما كان الإنسان على المستوى الفردي

(١) مكيال المكارم، ج٢، ص١٤٢.
(٢) سورة يوسف، الآية ٨٧.

مرتكبًا للمعاصي.

وكذلك على المستوى العقائدي ينبغي أَلَّا نكون مصابين باليأس، وأن نعيش الأمل بأن الإمام سيظهر، ولكن متى فأمره بيد اللَّه؛ لذا قال الإمام الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول اللَّه عز وجل: ﴿**وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**﴾، ﴿**فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾»[1].

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٦٤٥.

صفات المنتظرين للمهدي ومقاماتهم

التحدي الحقيقي الذي واجه الشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام هو مرحلة ما بعد الغيبة، وسيستمر هذا التحدي إلى ظهور المهدي؛ لأن جوهر التحدي يتمثّل في أمرين:

الأول: غياب الإمام عليه السلام عن الحضور والشهود.
الثاني: شكل المسؤولية والوظيفة الشرعية المناطة بالشيعة.

أما الأول فيعدّ ثقلًا إضافيًّا يتحمَّله الشيعة، فغياب القيادة الشرعية ليس بالأمر السهل؛ لأن هذا سوف يعقبه مسؤولية كبرى، وهي إدارة الشيعة نفسها بنفسها، والبحث عن قادة يتحلَّون بصفات وضعها أئمة أهل البيت عليهم السلام في وصاياهم وإرشاداتهم، فالبحث والاختيار وقبول جمهور الشيعة قيادة العلماء والفقهاء مسؤولية إضافية معقّدة بحاجة إلى لطف إلهي وتسديد من الإمام.

أما الثاني فيعدّ من أصعب التكاليف الشرعية والوظائف الدينية التي واجهت الشيعة بالخصوص، وهي مسألة حفظ الإمام والخليفة المهدي في:

١- العقل الإسلامي.
٢- الوجدان الإسلامي.
٣- التراث الإسلامي.
٤- العقيدة الإسلامية.

وهذه تعدّ من مقوّمات بقاء المهدي في حياة المسلمين وعقيدتهم، بما أن هناك توافقًا واتّفاقًا في المبدأ والرؤية حول المهدي؛ لأن الأمر يعدّ من موارد الاتّفاق بين الشيعة والسنة، «وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا. وقد ورد في شأنه عليه السلام مئات الروايات، بل ناهزت الستة آلاف رواية أو حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعترة الطاهرة بطرق متعدّدة من الفريقين، وهذا عدد هائل يتجاوز حدَّ التواتر عشرات المرات، والتواتر -كما في علم الحديث والرجال- يخرج بالقضية من دائرة الظنون والتشكيكات، ويُدخلها في دائرة الضروريات الدينية»[1].

ولكن هذا الاتفاق الإسلامي حول المهدي لا يكلّف أهل السنة والجماعة مسؤولية غير التصديق والإيمان والتسليم بالأحاديث النبوية الواردة في المهدي، وحفظ النصوص في التراث الإسلامي، فهم لا يرون أنفسهم معنيين بالمهدي من حيثيات كثيرة، منها: وجوده وحضوره. فالعامة يرون أن الإمام المهدي الذي تحدّثت عنه النصوص الكثيرة سيولد في الظرف المناسب حينما يحين الوقت المناسب للظهور، أما الشيعة الإمامية فهم معتقدون أنه عليه السلام ولد عام ٢٥٥ هجري، هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام»[2].

(١) الفوائد البهية، محمد جميل حمود، ج٢، ص٢٢٨.
(٢) الفوائد البهية، محمد جميل حمود، ج٢، ص٢٣١.

«ومنها عصمته عليه السلام، فالشيعة يعتقدون بعصمته عليه السلام تمامًا كعصمة جدّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرة؛ لأن مقام الإمامة يستدعي كونه معصومًا»[1].

وهذان الأمران غائبان عن عقيدة السنة، وباقي الأمور لا يرون أنهم معنيين بها لا في بحثها ولا مناقشتها، بل ربما يرى البعض فرصة لمهاجمة الشيعة والطعن فيهن والتشهير بهم.

وعليه فبعد أن ظهر لنا أن قضية المهدي تعني الشيعة بالدرجة الأولى، وأنهم المعنيون في تحمُّل الوظيفة الشرعية تجاه إمامهم المهدي؛ يأتي السؤال المهم وهو: ما صفاتهم؟ وما مميزاتهم؟ وما مقاماتهم؟ وما مراتبهم؟

إن الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الموالي الشيعي ومميزاته هي ما تحدّد الجماعة الإسلامية المؤهّلة لأن تكون أنصار المهدي وقادة جيشه في المستقبل، وهم من يحملون راية المهدي، وهم من يستحقون المقامات والمراتب والمنزلة العالية عند اللَّه وعند رسوله وعند حجته. فليس كل شيعي موالٍ مؤهَّلًا لأن يكون من أنصار المهدي ومن قادة جيشه؛ لذا من المهم أن نُفرّق في الصفات والمقامات التي يتّصف بها الموالي للمهدي ما قبل الظهور وفي زمن الغيبة بين الصفات العامة التي يجب أن تكون في كل شيعي اثني عشري، والصفات الخاصة لمن يريد أن يكون من أنصار المهدي وأعوانه وخواصّه؛ لذا أذكر للقارئ الكريم الصفات العامة منها والخاصة، وما عليه إلَّا أن يكون مستعدًّا لأن يتحلَّى بها، عاملًا وساعيًا لأن يكون مؤهَّلًا ليصل إلى المقامات والمنازل والمراتب العظيمة للموالين الشيعة ما قبل الظهور.

أما الصفات والمقامات للموالين والمنتظرين للمهدي في زمن الغيبة

(١) الفوائد البهية، محمد جميل حمود، ج٢، ص٢٣٢.

وما قبل الظهور فهي على النحو التالي:

١- أعظم الناس يقينًا:

عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لِعَلِيٍّ عليه السلام: يَا عَلِيُّ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ يَقِينًا قَوْمٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لَمْ يَلْحَقُوا النَّبِيَّ، وَحُجِبَ عَنْهُمُ الْحُجَّةُ فَآمَنُوا بِسَوَادٍ فِي بَيَاضٍ»[١].

٢- إنهم أعظم الناس صبرًا:

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «مِنْ دِينِ الْأَئِمَّةِ الْوَرَعُ وَالْعِفَّةُ وَالصَّلَاحُ، إِلَى قَوْلِهِ: وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ»[٢].

٣- أعظم الناس عقلاً وفهمًا ومعرفةً:

عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: «تَمْتَدُّ الْغَيْبَةُ بِوَلِيِّ اللَّهِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ أَوْصِيَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْأَئِمَّةِ بَعْدَهُ. يَا أَبَا خَالِدٍ، إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ غَيْبَتِهِ الْقَائِلُونَ بِإِمَامَتِهِ، الْمُنْتَظِرُونَ لِظُهُورِهِ، أَفْضَلُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْغَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدَةِ، وَجَعَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالسَّيْفِ، أُولَئِكَ الْمُخْلَصُونَ حَقًّا، وَشِيعَتُنَا صِدْقًا، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرًا. وَقَالَ عليه السلام: انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنْ أَعْظَمِ الْفَرَجِ»[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٦، حديث ١٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٤، حديث ١.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٤، حديث ٤.

٤- إنهم كالمتشحطين بدمائهم في سبيل اللّه:

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «انْتَظَرُوا الْفَرَجَ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عزوجل انْتِظَارُ الْفَرَجِ.

وَقَالَ عليه السلام: الْآخِذُ بِأَمْرِنَا مَعَنَا غَدًا فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ وَالْمُنْتَظِرُ لِأَمْرِنَا كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[١].

٥- بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه:

السِّنْدِيُّ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا تَقُولُ فِيمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُنْتَظِرًا لَهُ؟ قَالَ: هُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: هُوَ كَمَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيِّ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَصْلَحَكَ اللَّهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْنَا أَسْوَاقَنَا انْتِظَارًا لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى أَوْشَكَ الرَّجُلُ مِنَّا يَسْأَلُ فِي يَدَيْهِ، فَقَالَ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ: أَتَرَى مَنْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا؟! بَلَى وَاللَّهِ، لَيَجْعَلَنَّ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا. رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَيْنَا، رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا. قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ مِتُّ قَبْلَ أَنْ أُدْرِكَ الْقَائِمَ فَقَالَ الْقَائِلُ مِنْكُمْ: إِنْ أَدْرَكْتُ الْقَائِمَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ نَصَرْتُهُ كَالْمُقَارِعِ مَعَهُ بِسَيْفِهِ، وَالشَّهِيدُ مَعَهُ لَهُ شَهَادَتَانِ»[٣].

عَنِ الْفَيْضِ بْنِ الْمُخْتَارِ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٥، حديث ٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٧، حديث ١٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٧، حديث ١٦.

مَاتَ مِنْكُمْ وَهُوَ مُنْتَظِرٌ لِهَذَا الْأَمْرِ كَمَنْ هُوَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ. قَالَ: ثُمَّ مَكَثَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ كَمَنْ قَارَعَ مَعَهُ بِسَيْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا كَمَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ عَرَفَ هَذَا الْأَمْرَ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ الْقَائِمُ عليه السلام كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ قُتِلَ مَعَهُ»[2].

٧- مضاعف لهم الأجر في العبادات:

عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْعِبَادَةُ مَعَ الْإِمَامِ مِنْكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي السِّرِّ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ أَمِ الْعِبَادَةُ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ وَدَوْلَتِهِ مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ مِنْكُمْ؟ فَقَالَ: يَا عَمَّارُ، الصَّدَقَةُ فِي السِّرِّ وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَكَذَلِكَ عِبَادَتُكُمْ فِي السِّرِّ مَعَ إِمَامِكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ لِخَوْفِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ وَحَالِ الْهُدْنَةِ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ، وَلَيْسَ الْعِبَادَةُ مَعَ الْخَوْفِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ مِثْلَ الْعِبَادَةِ مَعَ الْأَمْنِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ. اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ صَلَاةً فَرِيضَةً وُحْدَانًا مُسْتَتِرًا بِهَا مِنْ عَدُوِّهِ فِي وَقْتِهَا فَأَتَمَّهَا كَتَبَ اللَّهُ عز وجل لَهُ بِهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً فَرِيضَةً وَحْدَانِيَّةً، وَمَنْ صَلَّى مِنْكُمْ صَلَاةً نَافِلَةً فِي وَقْتِهَا فَأَتَمَّهَا كَتَبَ اللَّهُ عز وجل لَهُ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ نَوَافِلَ، وَمَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ حَسَنَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عِشْرِينَ حَسَنَةً، وَيُضَاعِفُ اللَّهُ تَعَالَى حَسَنَاتِ الْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ إِذَا أَحْسَنَ أَعْمَالَهُ وَدَانَ اللَّهَ بِالتَّقِيَّةِ عَلَى دِينِهِ وَعَلَى إِمَامِهِ وَعَلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَ مِنْ لِسَانِهِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً كَثِيرَةً، إِنَّ اللَّهَ عز وجل كَرِيمٌ.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٨، حديث ١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧١، حديث ٣٠.

قَالَ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَدْ رَغَّبْتَنِي فِي الْعَمَلِ وَحَثَثْتَنِي عَلَيْهِ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ صِرْنَا نَحْنُ الْيَوْمَ أَفْضَلَ أَعْمَالًا مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ مِنْكُمُ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ وَنَحْنُ وَهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ ﷻ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ وَإِلَى الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَإِلَى كُلِّ فِقْهٍ وَخَيْرٍ وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ سِرًّا مِنْ عَدُوِّكُمْ مَعَ الْإِمَامِ الْمُسْتَتِرِ، مُطِيعُونَ لَهُ، صَابِرُونَ مَعَهُ، مُنْتَظِرُونَ لِدَوْلَةِ الْحَقِّ، خَائِفُونَ عَلَى إِمَامِكُمْ وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ، تَنْظُرُونَ إِلَى حَقِّ إِمَامِكُمْ وَحَقِّكُمْ فِي أَيْدِي الظَّلَمَةِ، قَدْ مَنَعُوكُمْ ذَلِكَ، وَاضْطَرُّوكُمْ إِلَى جَذْبِ الدُّنْيَا وَطَلَبِ الْمَعَاشِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى دِينِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ وَطَاعَةِ رَبِّكُمْ وَالْخَوْفِ مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَبِذَلِكَ ضَاعَفَ اللَّهُ أَعْمَالَكُمْ فَهَنِيئًا لَكُمْ هَنِيئًا.

قَالَ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَمَا نَتَمَنَّى إِذًا أَنْ نَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ عليه السلام فِي ظُهُورِ الْحَقِّ وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي إِمَامَتِكَ وَطَاعَتِكَ أَفْضَلُ أَعْمَالًا مِنْ أَعْمَالِ أَصْحَابِ دَوْلَةِ الْحَقِّ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ عز وجل الْحَقَّ وَالْعَدْلَ فِي الْبِلَادِ، وَيُحْسِنَ حَالَ عَامَّةِ النَّاسِ، وَيَجْمَعَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ، وَيُؤَلِّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَلَا يُعْصَى اللَّهُ فِي أَرْضِهِ، وَيُقَامَ حُدُودُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَيُرَدَّ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُظْهِرُوهُ حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ؟ أَمَا وَاللَّهِ يَا عَمَّارُ لَا يَمُوتُ مِنْكُمْ مَيِّتٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا، فَأَبْشِرُوا»[1].

وفي هذا النص الشريف بيّن الإمام الدواعي الحقيقية لمعنى الانتظار، وما هو سبب مضاعفة الأجر والثواب للمنتظرين.

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٨، حديث ٢٠.

٨- المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول اللَّه يذبُّ عنه:

عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيِّ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَكُنْتُ عِنْدَهُ إِذْ دَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام وَهُوَ غُلَامٌ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ....

فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي أُمَيَّةَ فَانْقَطَعَ الْكَلَامُ، وَعُدْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً أُرِيدُ اسْتِتْمَامَ الْكَلَامِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ، هُوَ الْمُفَرِّجُ لِلْكَرْبِ عَنْ شِيعَتِهِ بَعْدَ ضَنْكٍ شَدِيدٍ، وَبَلَاءٍ طَوِيلٍ وَجَوْرٍ، فَطُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ، وَحَسْبُكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ. قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ: فَمَا رَجَعْتُ بِشَيْءٍ أَسَرَّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا وَلَا أَفْرَحَ لِقَلْبِي مِنْهُ»[1].

٩- صدقهم في عقيدة التمني:

عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: «لَمَّا قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْخَوَارِجَ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، طُوبَى لَنَا إِذْ شَهِدْنَا مَعَكَ هَذَا الْمَوْقِفَ، وَقَتَلْنَا مَعَكَ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَقَدْ شَهِدَنَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ أُنَاسٌ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ آبَاءَهُمْ وَلَا أَجْدَادَهُمْ بَعْدُ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَكَيْفَ يَشْهَدُنَا قَوْمٌ لَمْ يُخْلَقُوا؟ قَالَ: بَلَى، قَوْمٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَشْرَكُونَنَا فِيمَا نَحْنُ فِيهِ وَيُسَلِّمُونَ لَنَا، فَأُولَئِكَ شُرَكَاؤُنَا فِيمَا كُنَّا فِيهِ حَقًّا حَقًّا»[2].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٩، حديث ٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧١، حديث ٣٢.

١٠- إنهم أفضل من أصحاب القائم المهدي:

عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ رَجُلٍ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَيُّمَا أَفْضَلُ نَحْنُ أَوْ أَصْحَابُ الْقَائِمِ عليه السلام؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ؛ وَذَلِكَ أَنَّكُمْ تُمْسُونَ وَتُصْبِحُونَ خَائِفِينَ عَلَى إِمَامِكُمْ وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ، إِنْ صَلَّيْتُمْ فَصَلَاتُكُمْ فِي تَقِيَّةٍ، وَإِنْ صُمْتُمْ فَصِيَامُكُمْ فِي تَقِيَّةٍ، وَإِنْ حَجَجْتُمْ فَحَجُّكُمْ فِي تَقِيَّةٍ، وَإِنْ شَهِدْتُمْ لَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُكُمْ، وَعَدَّدَ أَشْيَاءَ مِنْ نَحْوِ هَذَا مِثْلَ هَذِهِ. فَقُلْتُ: فَمَا نَتَمَنَّى الْقَائِمَ عليه السلام إِذَا كَانَ عَلَى هَذَا، قَالَ: فَقَالَ لِي: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَمَا تُحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ الْعَدْلُ، وَيَأْمَنَ السُّبُلُ، وَيُنْصَفَ الْمَظْلُومُ»[١].

قال الإمام علي عليه السلام: «الْزَمُوا الْأَرْضَ وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ وَهَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا أُوْقِعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إصلائه [إِصْلَاتِهِ] بِسَيْفِهِ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا»[٢].

١١- بمنزلة الشهيد:

عَنْ يَحْيَى بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «كُلُّ مُؤْمِنٍ شَهِيدٌ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَهُوَ كَمَنْ مَاتَ فِي عَسْكَرِ الْقَائِمِ عليه السلام. ثُمَّ قَالَ:

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٨١، حديث ٦٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٨١، حديث ٦٣.

أَيَحْبِسُ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»[١].

١٢- أولياء اللَّه:

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنَ مُحَمَّدٍ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عز وجل: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْرًا﴾** قَالَ يَعْنِي يَوْمَ خُرُوجِ الْقَائِمِ الْمُنْتَظَرِ مِنَّا.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: يَا بَا بَصِيرٍ، طُوبَى لِشِيعَةِ قَائِمِنَا الْمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ فِي غَيْبَتِهِ، وَالْمُطِيعِينَ لَهُ فِي ظُهُورِهِ، أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ»[٢].

ومن صفاتهم:

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ لَقِّنِي إِخْوَانِي مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَمَا نَحْنُ إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّكُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْنِي، لَقَدْ عَرَّفَنِيهِمُ اللَّهُ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَأَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ، لَأَحَدُهُمْ أَشَدُّ بَقِيَّةً عَلَى دِينِهِ مِنْ خَرْطِ الْقَتَادِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، أَوْ كَالْقَابِضِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى يُنْجِيهِمُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»[٣].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: سَيَأْتِي قَوْمٌ مِنْ بَعْدِكُمْ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ،

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٨١، حديث ٦٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٨٤، حديث ٧٦.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٦٦، حديث ٨.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ كُنَّا مَعَكَ بِبَدْرٍ وَأُحُدٍ وَحُنَيْنٍ وَنَزَلَ فِينَا الْقُرْآنُ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَوْ تَحَمَّلُوا لِمَا حُمِّلُوا لَمْ تَصْبِرُوا صَبْرَهُمْ»[١].

الوظيفة الشرعية في زمن الغيبة:

١- عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: «اعْرِفْ إِمَامَكَ فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ، وَمَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى هَذَا الْأَمْرَ ثُمَّ خَرَجَ الْقَائِمُ عليه السلام كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ كَانَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ»[٢].

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ عَرَفَ هَذَا الْأَمْرَ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ الْقَائِمُ عليه السلام كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ قُتِلَ مَعَهُ»[٣].

٣- عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ**﴾[٤]، فَقَالَ: يَا فُضَيْلُ، اعْرِفْ إِمَامَكَ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ إِمَامَكَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ، وَمَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِدًا فِي عَسْكَرِهِ، لَا بَلْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِدًا تَحْتَ لِوَائِهِ.

قَالَ: وَرَوَاهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم»[٥].

٤- عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: سَأَلَ أَبُو بَصِيرٍ أَبَا عَبْدِاللَّهِ عليه السلام وَأَنَا أَسْمَعُ، فَقَالَ: أَتَرَانِي أُدْرِكُ الْقَائِمَ عليه السلام؟ فَقَالَ: يَا بَا بَصِيرٍ، لَسْتَ تَعْرِفُ

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧٠، حديث ٢٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧١، حديث ٣٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧١، حديث ٣١.
(٤) سورة الإسراء، الآية ٧١.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧٩، حديث ٥٣.

إِمَامَكَ؟! فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، وَأَنْتَ هُوَ، فَتَنَاوَلَ يَدَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ، مَا تُبَالِي يَا بَا بَصِيرٍ أَلَّا تَكُونَ مُحْتَبِيًا بِسَيْفِكَ فِي ظِلِّ رِوَاقِ الْقَائِمِ عليه السلام»[١].

٥- عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ عَارِفٌ لِإِمَامِهِ لَمْ يَضُرَّهُ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ عَارِفٌ لِإِمَامِهِ كَانَ كَمَنْ هُوَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ»[٢].

٦- عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبَانٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: اعْرِفِ الْعَلَامَةَ فَإِذَا عَرَفْتَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَمْرُ أَمْ تَأَخَّرَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ**﴾[٣]، فَمَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ كَانَ كَمَنْ كَانَ فِي فُسْطَاطِ الْمُنْتَظَرِ»[٤].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧٩، حديث ٥٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧٩، حديث ٥٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٧١.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص، ص٣٧٩، حديث ٥٧.

الامتحان والتمحيص في زمن الانتظار

ليس للانتظار زمن محدود ولا وقت معلوم؛ لأنه أمر من اللَّه تعالى، وسرٌّ من أسراره عزَّ وجلَّ، وغيب من غيب اللَّه تعالى. لهذا جاء منع توقيت الظهور، وَعُدَّ مدَّعي التوقيت كذّابًا.

قال الصادق عليه السلام: «كذب الوقَّاتون. إنا أهل بيت لا نُوَقِّت، أبى اللَّه إلَّا أنْ يُخْلِف وقت الموقّتين»[1]؛ لأن وقت الظهور ليس من شؤون العباد، بل هو شأن من شؤون الخالق سبحانه وتعالى كغيره من العبادات والمعتقدات.

وقال الصادق عليه السلام لمحمد بن مسلم: «يا محمد، من أخبرك عنَّا توقيتًا فلا تهابه، أن تكذّبه، فإنا لا نوقَّت وقتًا»[2].

ولما كان الانتظار حالة ترقّب وتوقّع حصول أمر، كان لا بد من هذه الحالة من الصبر والتحمّل؛ لأن من لوازم الانتظار الصبر، ومن تبعاته الامتحان أولًا والتمحيص ثانيًا.

ونصوص الانتظار والفرج فكرتها إعداد المؤمن الموالي للمهدي

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢٩٤.
(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٥٢، ص ١١٧.

ليتجاوز مرحلتين:

الأولى: مرحلة الامتحان والتمحيص.
الثانية: مرحلة الفراغ الحضوري للإمام عليه السلام.

ففي مرحلة الامتحان والتمحيص احتمال السقوط والفشل، وفي مرحلة الفراغ الحضوري للإمام عليه السلام ووجوده بيننا ربما يقع الموالي في الشك في أصل وجوده؛ لذا في مرحلة ما قبل الظهور وزمن الغيبة المؤمن بحاجة إلى يقظة وبصيرة وتربية مستمرة؛ لأنها مرحلة حساسة وشديدة التعقيد. فالمؤمن لا يضره طول الانتظار لأن «من مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّره»[1].

تداعيات مرحلة الانتظار:

ما هي التداعيات والعواقب التي سوف تقع على المنتظرين ما قبل الظهور؟

الجواب: تحدّثت النصوص والأخبار عن العواقب التي سوف تقع في زمن الغيبة وما قبل الظهور، وشرحت أهم القضايا التي سوف تمرّ على الإنسان الموالي للمهدي، وبيَّنت الأسباب، أو قل أسباب التداعيات والعواقب، ممّا يدعو المؤمن إلى الانتباه والبصيرة والحذر وبناء نفسه وذاته ليكون مؤهَّلًا لمواجهتها واستيعابها. وأنا أذكر النصوص الشريفة وما على القارئ إلَّا قراءتها بتمعُّنٍ ومعرفة.

من تلك النصوص:

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٧٩، حديث ٥٦.

١- عَنْ فُرَاتِ بْنِ أَحْنَفَ قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَذَكَرَ الْقَائِمَ فَقَالَ: لَيَغِيبَنَّ عَنْهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ: مَا لِلَّهِ فِي آلِ مُحَمَّدٍ حَاجَةٌ»[١].

٢- عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «لَتُمْخَضُنَّ يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ شِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَخِيضِ الْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْكُحْلِ يَعْلَمُ مَتَى يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَذْهَبُ، فَيُصْبِحُ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا فَيُمْسِي وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا، وَيُمْسِي وَهُوَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا فَيُصْبِحُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا»[٢].

٣- عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسْلِيِّ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَتُكْسَرُنَّ كَسْرَ الزُّجَاجِ، وَإِنَّ الزُّجَاجَ يُعَادُ فَيَعُودُ كَمَا كَانَ. وَاللَّهِ لَتُكْسَرُنَّ كَسْرَ الْفَخَّارِ، وَإِنَّ الْفَخَّارَ لَا يَعُودُ كَمَا كَانَ، وَاللَّهِ لَتُمَحَّصُنَّ، وَاللَّهِ لَتُغَرْبَلُنَّ كَمَا يُغَرْبَلُ الزُّؤَانُ[٣] مِنَ الْقَمْحِ»[٤].

٤- عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: «لَا تَزَالُونَ تَنْتَظِرُونَ حَتَّى تَكُونُوا كَالْمَعْزِ الْمَهُولَةِ الَّتِي لَا يُبَالِي الْجَازِرُ أَيْنَ يَضَعُ يَدَهُ مِنْهَا، لَيْسَ لَكُمْ شَرَفٌ تُشَرِّفُونَهُ، وَلَا سَنَدٌ تُسْنِدُونَ إِلَيْهِ أُمُورَكُمْ.

بيان: المهولة أي المفزعة المخوفة فإنها تكون أقل امتناعًا، والجازر القصاب»[٥].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٩، حديث ١.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٩، حديث ٢.
(٣) الزؤان- مثلثة-: ما يخالط البر من الحبوب، الواحدة زؤانة، قال في أقرب الموارد: وهو في المشهور يختص بنبات حبّه كحب الحنطة إلّا أنه صغير، أذا أُكل يحدث استرخاء يجلب النوم، وهو ينبت غالبًا بين الحنطة.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٩، حديث ٣.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣١٥، حديث ١٥.

٥- عَنْ مَنْصُورٍ قَالَ: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا مَنْصُورُ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْدَ إِيَاسٍ. لَا وَاللَّهِ، حَتَّى تُمَيَّزُوا، لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُمَحَّصُوا، لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَشْقَى مَنْ يَشْقَى، وَيَسْعَدَ مَنْ يَسْعَدُ»(١).

٦- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَمَاعَةً نَتَحَدَّثُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ؟ أَيْهَاتَ أَيْهَاتَ، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُغَرْبَلُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُمَيَّزُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ إِلَّا بَعْدَ إِيَاسٍ، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى يَشْقَى مَنْ شَقِيَ، وَيَسْعَدَ مَنْ سَعِدَ»(٢).

٧- عَنِ ابْنِ شَاذَانَ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ قَالَ: «قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: أَمَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ الَّذِي تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُمَيَّزُوا وَتُمَحَّصُوا، وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُ، ثُمَّ تَلَا: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا**﴾(٣) ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾(٤)»(٥).

٨- عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَتَى يَكُونُ فَرَجُكُمْ؟ فَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، لَا يَكُونُ فَرَجُنَا حَتَّى تُغَرْبَلُوا، ثُمَّ تُغَرْبَلُوا، ثُمَّ تُغَرْبَلُوا، يَقُولُهَا ثَلَاثًا، حَتَّى يَذْهَبَ الْكَدِرُ وَيَبْقَى الصَّفْوُ»(٦).

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٦، حديث ٢٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٧، حديث ٢٣.
(٣) سورة التوبة، الآية ١٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤٢.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٧، حديث ٢٤.
(٦) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٨، حديث ٢٨.

٩- عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هُلَيْلٍ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَاتَ أَبِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِينَ مَا قَدْ تَرَى أَمُوتُ وَلَا تُخْبِرُنِي بِشَيْءٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَنْتَ تَعْجَلُ، فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ أَعْجَلُ، وَمَا لِي لَا أَعْجَل وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ مَا تَرَى؟! فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، مَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى تُمَيَّزُوا وَتُمَحَّصُوا، وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَقَلُّ، ثُمَّ صَعَّرَ كَفَّهُ»[١].

١٠- عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: «قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: وَاللَّهِ مَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ أَعْيُنَكُمْ إِلَيْهِ حَتَّى تُمَحَّصُوا وَتُمَيَّزُوا، وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُ فَالْأَنْدَرُ»[٢].

١١- عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: وَيْلٌ لِطُغَاةِ الْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، كَمْ مَعَ الْقَائِمِ مِنَ الْعَرَبِ؟ قَالَ: شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّ مَنْ يَصِفُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْهُمْ لَكَثِيرٌ، فَقَالَ: لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمَحَّصُوا وَيُمَيَّزُوا وَيُغَرْبَلُوا، وَيَخْرُجُ فِي الْغِرْبَالِ خَلْقٌ كَثِيرٌ»[٣].

١٢- عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام يَقُولُ: وَاللَّهِ لَتُمَيَّزُنَّ، وَاللَّهِ لَتُمَحَّصُنَّ، وَاللَّهِ لَتُغَرْبَلُنَّ كَمَا يُغَرْبَلُ الزُّؤَانُ مِنَ الْقَمْحِ»[٤].

١٣- عَنْ عَمِيرَةَ بِنْتِ نُفَيْلٍ قَالَتْ: «سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام يَقُولُ: لَا يَكُونُ الْأَمْرُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَبْرَأَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَتْفُلَ

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٨، حديث ٢٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٨، حديث ٣٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٨، حديث ٣١.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٩، حديث ٣٢.

بَعْضُكُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ، وَحَتَّى يَلْعَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَحَتَّى يُسَمِّيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَذَّابِينَ»[١].

١٤- عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: ﴿**الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾[٢]، ثُمَّ قَالَ لِي: مَا الْفِتْنَةُ؟ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، الَّذِي عِنْدَنَا أَنَّ الْفِتْنَةَ فِي الدِّينِ. ثُمَّ قَالَ: يُفْتَنُونَ كَمَا يُفْتَنُ الذَّهَبُ، ثُمَّ قَالَ: يُخْلَصُونَ كَمَا يُخْلَصُ الذَّهَبُ»[٣].

١٥- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صَالِحٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ لِي: إِنَّ حَدِيثَكُمْ هَذَا لَتَشْمَئِزُّ مِنْهُ الْقُلُوبُ قُلُوبُ الرِّجَالِ فَانْبِذُوا إِلَيْهِمْ نَبْذًا، فَمَنْ أَقَرَّ بِهِ فَزِيدُوهُ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ فَذَرُوهُ، إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةٌ يَسْقُطُ فِيهَا كُلُّ بِطَانَةٍ وَوَلِيجَةٍ حَتَّى يَسْقُطَ فِيهَا مَنْ يَشُقُّ الشَّعْرَةَ بِشَعْرَتَيْنِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا نَحْنُ وَشِيعَتُنَا»[٤].

١٦- عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ: إِنَّمَا مَثَلُ شِيعَتِنَا مَثَلُ أَنْدَرٍ يَعْنِي بِهِ بَيْتًا فِيهِ طَعَامٌ فَأَصَابَهُ آكِلٌ فَنُقِّيَ، ثُمَّ أَصَابَه آكِلٌ فَنُقِّيَ حَتَّى بَقِيَ مِنْهُ مَا لَا يَضُرُّهُ الْآكِلُ، وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا يُمَيَّزُونَ وَيُمَحَّصُونَ حَتَّى يَبْقَى مِنْهُمْ عِصَابَةٌ لَا تَضُرُّهَا الْفِتْنَةُ»[٥].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٩، حديث ٣٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية ٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٩، حديث ٣٥.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٠، حديث ٣٦.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٠، حديث ٣٨.

توصيات أئمة الهدى في مرحلة ما قبل الظهور:

ورد عن أهل البيت عليهم السلام كثير من التوصيات والإرشادات التي إذا ما أخذ بها المؤمن سيكون في أمان من الضلال والجهل، وسيكون حينئذٍ في حالة من الاطمئنان؛ لأن من أهداف تلك التوصيات -الموجَّهة للموالي الشيعي للإمام المهدي في مرحلة ما قبل الظهور التي أطلق عليها مرحلة الانتظار- ربط المؤمن باللَّه عزّ وجلّ أولًا وبالمهدي ثانيًا. وهذا ما نلاحظه أو لاحظناه في نصوص الانتظار التي تُورث -في الحقيقة- حالةً من الاطمئنان النفسي، والاستقرار الروحي، والإيمان بالغيب، والتمسك بالعقيدة الحقَّة، والرضا بما يكتب اللَّه عزّ وجلّ لعباده المؤمنين، ليكون المؤمن قادرًا مواجهة التيارات المادية والتيارات الشكوكية وغيرها. فالتوصيات تدفع بالمؤمن نحو البناء الذاتي، والإصلاح الاجتماعي على الصعيد العلمي والديني والقيادي.

ومن تلك التوصيات المباركة ما نطق به النص الشريف:

١- قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «مِنْ دِينِ الْأَئِمَّةِ الْوَرَعُ وَالْعِفَّةُ وَالصَّلَاحُ، إِلَى قَوْلِهِ وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ»[١].

٢- عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ فَرَجِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

٣- قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «انْتَظِرُوا الْفَرَجَ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ،

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٤، حديث ١.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٤، حديث ٢.

فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ انْتِظَارُ الْفَرَجِ»[١].

٤- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: «سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْفَرَجِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ الْفَرَجِ؟! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿**فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[٢]»[٣].

٥- عَنِ الْبَزَنْطِيِّ قَالَ: قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ وَانْتِظَارَ الْفَرَجِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**﴾[٤]، وَقَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[٥]، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ الْفَرَجُ عَلَى الْيَأْسِ، فَقَدْ كَانَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَصْبَرَ مِنْكُمْ»[٦].

٦- عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَتَى الْفَرَجُ؟ فَقَالَ: يَا بَا بَصِيرٍ، أَنْتَ مِمَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، مَنْ عَرَفَ هَذَا الْأَمْرَ فَقَدْ فُرِجَ عَنْهُ بِانْتِظَارِهِ»[٧].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٤، حديث ٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٧١.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٩، حديث ٢٢.
(٤) سورة هود، الآية ٩٣.
(٥) سورة الأعراف، الآية ٧١.
(٦) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٦٩، حديث ٢٣.
(٧) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٧٩، حديث ٥٤.

دولة المهدي وعد اللَّه في الزبور والقرآن

تعتقد الإمامية بغيبة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومن المهم أن نعتقد أن الغيبة تخطيط استراتيجي، وذلك لقيام دولة العدل الإلهي، وكلنا يؤمن بالقرآن الذي يؤكد على قيام دولة الحق والولاية، ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[1] تشير الآية إلى أنه لا بد من قيام دولة العدل الإلهي قبل نهاية العالم.

قال أبو جعفر عليه السلام: «هم أصحاب المهدي في آخر الزمان»[2]، ويدل عليه أخبار كثيرة وردت في المهدي عليه السلام[3]، «القميّ: قال: يرثها القائم عليه السلام وأصحابه. وفي المجمع هم أصحاب المهديّ عليه السلام في آخر الزمان. ويدلّ على ذلك ما رواه الخاصّ والعامّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللَّه ذلك اليوم حتّى يبعث رجلًا من أهل بيتي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٤٦٤.
(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ج٣، ص٢١.

زويت لي الأرض فأُريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمّتي ما زوي لي منها»[١].

«والزبور في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ هو كتاب داود، والذكر ما تقدَّمه من الكتب السماوية كصحائف إبراهيم وتوراة موسى، والمعنى أن الحكم والسلطان في الأرض، وإن كان الآن بأيدي الطغاة الفجرة فإن اللَّه سينقله من أيديهم إلى الطيبين الأخيار لا محالة، وعندها يعمُّ الأمن والعدل الكرة الأرضية، وينعم بخيراتها وبركاتها الناس كل الناس، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة وصحيحة»[٢].

وفي الروايات لو لم يبقَ من هذه الدنيا إلَّا يوم واحد لأمدَّه اللَّه حتى تقوم دولة العدل.

إذن الغيبة تهيئة لقيام دولة العدل، روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في إشارة إلى هذه المرحلة: «لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجل مني يحكم بحكومة آل داود»[٣].

إن الغيبة تمهيد لتحقيق مشروع خلافة المستضعفين، فاللَّه وعد المستضعفين أنهم سيكونون خلفاء ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا**

(١) تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري، ج٧، ص٢٠٢.
(٢) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ج٥، ص٣٠٢.
(٣) الكافي (ط - دار الحديث)، ج٢، ص ٣٢٣.

﴿يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١]، والمروي عن أهل البيت عليهم السلام: أنّها في المهدي من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

روى العيّاشي بإسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام: أنه قرأ الآية وقال: «هم واللَّه شيعتنا أهل البيت، يفعل اللَّه ذلك بهم على يدي رجل منّا، وهو مهديّ هذه الأمة، وهو الذي قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوّل اللَّه ذلك اليوم حتّى يلي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا»[٢].

عقيدة نابعة من وعد اللَّه في كتابه العزيز أن هذا الدين سيظهر على الدين كله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣]، والضمير في ليظهره للدين الحق، أي ليُعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجة والغلبة والقهر لها. أو للرسول، أي يجعله غالبًا على جميع أهل الأديان. وورد في أخبارنا أنه يكون تمام هذه الوعد عند قيام القائم عليه السلام[٤].

«هو الدين الوحيد الذي له الغلبة والحجة على سائر الأديان فالإسلام.

وفي الأحاديث: إن تأويل هذه الآية عند خروج الإمام المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن تُملأ ظلمًا وجورًا.

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.
(٢) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام، السيد علي خان المدني، ج٦، ص٤١٥.
(٣) سورة التوبة، الآية ٣٣.
(٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ج٢٥، ص٧٣.

ويكون عند ذلك الإسلام وحده دين العالم لا دين سواه»[١].

وأيضًا هذه العقيدة نابعة من واقع تاريخي، عندما ندرس حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام وما بشَّروا به، حيث بشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكرّرها بأن هناك غيبة للحجة، ومن بعده ستكون دولة العدل الإلهي. ثم جاء الأئمة وبشّروا بهذا.

«وقد صرف هو صلى الله عليه وآله وسلم عمره الشريف وجميع طاقاته وطاقات أهله وأصحابه في بثّ الاسلام ونشره، وصار كأنّه باخع نفسه حرصًا على ذلك، وقدّم في سبيل ذلك مئات من الشهداء من خيرة المسلمين، ولم يغفل عنه ساعة واحدة من عمره الشريف، وكان يعتني ويهتمّ في دعوته وإرشاده حتى بالمسائل الجزئية الفرعية كمال الاهتمام، وكان صلى الله عليه وآله وسلم مع ذلك ملتفتًا إلى أن الإسلام لمّا يستوعب الحجاز بعدُ فضلًا عن سائر البلاد، وأن السلطات الكافرة في إيران والروم وغيرهما تقف أمام نشر الإسلام، ولا يتيسّر دفعها إلَّا بالقوة والقدرة والقيادة الجازمة، وكان عالمًا بأخلاق العرب وتعصُّباتهم القبائلية والعشائرية، وبقاء بعض الرواسب في عدد من النفوس، وملتفتًا إلى وجود منافقين يعملون لانتهاز الفرص»[٢].

وفي «رواياتنا أن حكومة المهدي ستكون حكومة داود عليه السلام، إنه يحكم بحكم داود عليه السلام، رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان وبعضكم ألحن بحجته من بعض، وأيّما رجل قطعت له قطعة فإنما أقطع له قطعة من نار».. رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا تخاصم إليه رجلان على

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي، ج٢، ص٣٩٢.
(٢) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، المنتظري، ج١، ص٤٦.

كتاب مثلًا، أو على دار، أو على أي شيء آخر، يطلب من المدَّعي البينة، وحينئذٍ إن أقام البينة أخذ الكتاب من المدَّعى عليه وسلَّمه إلى المدَّعي، وهذا الحكم يكون على أساس البينة، يقول رسول اللَّه إنما أقضي بينكم بالبينة، أما إذا كانت البينة كاذبة والمدِّعي أقامها وعن هذا الطريق تملَّك الكتاب، فليعلم بأن الكتاب هذا قطعة من النار، فأنا وظيفتي أن أحكم بينكم بحسب البينة، لكن أنت المدَّعي إن كنت تعلم بينك وبين ربك أن الكتاب ليس لك، فلا يجوز لك أخذ هذا الكتاب.

إذن، يكون حكم رسول اللَّه والحكم الإسلامي على أساس القواعد المقرَّرة، وهذه هي الأدلة الظاهرية المعمول بها.

فإذا جاء المهدي سلام اللَّه عليه، لا يأخذ بهذه القواعد والأحكام الظاهرية، وإنما يحكم طبق الواقع، فإذا جاء ورأى أن الكتاب الذي بيدي، هذا الكتاب الذي بحوزتي هو لزيد، أخذه مني وأرجعه إلى زيد، وإذا علم أن هذه الدار التي أسكنها ملك لعمرو أخذها مني وأرجعها إلى عمرو، فكل حق يرجع إلى صاحبه بحسب الواقع»[1].

(١) الإمام المهدي عليه السلام، الميلاني، ص٣٤.

دولة المهدي

تتميَّز دولة المهدي بأمرين أساسيين:

الأول: الحكم القسط:

«ومعنى القسط: العدل البيّن الظاهر، ومنه سمّي المكيال قسطًا والميزان قسطًا؛ لأنه يصوّر لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهرًا، وقد يكون من العدل ما يخفى، ولهذا قلنا: إن القسط هو النصيب الذي بيّنت وجوهه، وتقسط القومُ الشيء: تقاسموا بالقسط»[١].

«والقسط الحصّة العادلة، مأخوذة من قولك: أقسط إذا عدل، ويقال: قسَّط القوم الشيء بينهم إذا قسَّموه على القسط، ويجوز أن يقال: القسط اسم للعدل في القسم، وقيل: القسط ما استحق المقسط له من النصيب ولا بد له منه»[٢].

الثاني: الحكم بالعدل:

قال الراغب: «العدل ضدّ الجور، ويطلق على ملكة للنفس تقتضي

(١) الفروق اللغوية، العسكري المتوفى سنة ٤٠٠هـ، ص٢٦٢.
(٢) الفروق اللغوية، العسكري، ص١٨٧.

الاعتدال في جميع الأمور واختيار الوسط بين الإفراط والتفريط ويطلق على إجراء القوانين الشرعية في الأحكام الجارية بين الخلق».

و«العدل ضربان، مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخًا، ولا يوصف بالاعتداء بوجه، نحو الإحسان إلى من أحسن إليك، وكفّ الأذيّة عمّن يكفّ أذاه عنك. وعدل يعرف كونه عدلًا بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخًا في بعض الأزمنة، كالقصاص وأرش الجنايات، ولذلك قال: ﴿**فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ**﴾[1]، وقال ﴿**وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**﴾[2]، فسمّي ذلك اعتداء وسيئة، وهذا النحو هو المعنيّ بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ**﴾[3]، فإن العدل هو المساواة في المكافاة، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرّا فشرّا. والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه» انتهى.

وقوله عليه السلام «إذا عدل فيه» يحتمل وجوهًا:

الأول: أن يكون الضمير راجعًا إلى الأمر، أي ما أوسع العدل إذا عدل في أمر وإن قل ذلك.

الأمر الثاني: أن يكون الضمير راجعًا إلى العدل، والمراد بالعدل الأمر الذي عدل فيه، فيرجع إلى المعنى الأول، ويكون تأكيدًا.

الثالث: إرجاع الضمير إلى العدل أيضًا، والمعنى: ما أوسع العدل الذي عدل فيه، أي يكون العدل واقعيًّا حقيقيًّا لا ما يسميه الناس عدلًا، أو

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٤.
(٢) سورة الشورى، الآية ٤٠.
(٣) سورة النحل، الآية ٩٠.

يكون عدلًا خالصًا غير مخلوط بجور، أو يكون عدلًا ساريًا في جميع الجوارح لا مخصوصًا ببعضها، وفي جميع الناس لا يختص ببعضهم.

الرابع: ما قيل: إن عدّل على المجهول من بناء التفعيل، والمراد جريانه في جميع الوقائع لا أن يعدل إذا لم يتعلّق به غرض، فالتعديل رعاية التعادل والتساوي. وعلى التقادير يحتمل أن يكون المراد بقوله: و«إن قلّ» بيان قلة العدل بين الناس»[1].

وفي مجمع البحرين: «والعدل لغة هو التسوية بين الشيئين، والعدل القصد في الأمور، والعدل خلاف الجور».

وقال العلَّامة محمد آصف محسني: «أقول: ليس العدل بمعنى التسوية في الكمية مطلقًا جزمًا، بل بمعنى التسوية في مراعاة الحقوق، وحينئذٍ يصبح مفهوم العدل الذي هو من المفاهيم الظاهرة الدائرة في ألسنة جميع الناس المقبول عند جميع طوائف الأنام في مشارق الأرض ومغاربها من المجملات أو المشكلات، فإنّ معنى الحق مختلف فيه، من مذهب إلى مذهب، ومن دين إلى دين، ومن متديّن إلى ملحد، ومن ملحد إلى ملحد، ولكل أمّة اصطلاح ونظر خاص فيه، فترى الشيوعيين يرون أشياء من الحق بينها لا يراها الرأسماليون حقًّا، وما هو حق عند الرأسماليين من الظلم الفاحش عند الشيوعيين، كما أن الشيوعيين يرون بعض الأمور حقًّا يعتقده الرأسماليون ظلمًا وخلافًا للكرامة الإنسانية.

وحينئذٍ فلا بدّ من تقييد الحق بكونه حقًّا حسب الارتكاز الإسلامي، وليس التشخيص بعدُ بواضح وسهل، فربّما يتوقّف الإنسان في كون شيء

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٦.

هل هو حق عند الشرع أو لا، كما في حق طبع الكتاب الذي يعدُّه عرف الغرب وعرف جمع من المسلمين حقًّا، فهل هو صحيح أم لا؟ بل اختلف فيه المتصدّون للفتوى، فاعترف بعض المعاصرين بكونه حقًّا للمؤلّف ولا يجوز لغيره طبع كتابه ثانيًا من دون إذنه، بينما يرى الآخرون بطلانه، وربّما يشك في مقدار الحق وإن كان أصله متسالمًا فيه كما في الهواء والجو، فإلى أين يملكه الساكنون في الأرض؟ ومن أين يعدّ مباحًا عامًّا يجوز العبور منه بلا مانع؟ وللسؤال أثر كبير اليوم كجواز أخذ الأجرة من الطائرات العابرة من جو سائر البلاد، وربّما يصبح البحث في المستقبل القريب أو البعيد أكثر ثمرة وأكبر نزاعًا. وهكذا.. فهل للفقيه الحكم بمفهوم العدل حسب زمانه؟»[1].

قال العلَّامة المظفر: «إن البشارة بظهور المهدي من ولد فاطمة في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا ثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله بالتواتر، وسجّلها المسلمون جميعًا فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم، وليست هي بالفكرة المستحدثة عند (الشيعة) دفع إليها انتشار الظلم والجور، فحلموا بظهور من يُطهِّر الأرض من رجس الظلم، كما يريد أن يصوّرها بعض المغالطين غير المنصفين.

ولولا ثبوت (فكرة المهدي) عن النبي على وجه عرفها جميع المسلمين وتشبّعت في نفوسهم واعتقدوا لما كان يتمكّن مُدَّعُو المهدية في القرون الأولى كالكيسانية والعباسيين وجملة من العلويين وغيرهم من خدعة الناس، واستغلال هذه العقيدة فيهم، طلبًا للملك والسلطان، فجعلوا ادِّعاءهم المهدية الكاذبة طريقًا للتأثير على العامة وبسط نفوذهم عليهم.

(١) الأرض في الفقه، محمد آصف محسني، ج١، ص١٤٤-١٤٥.

ونحن مع إيماننا بصحة الدين الإسلامي، وأنه خاتمة الأديان الإلهية، ولا نترقَّب دينًا آخر لإصلاح البشر، ومع ما نشاهد من انتشار الظلم واستشراء الفساد في العالم على وجه، لا تجد للعدل والصلاح موضع قدم في الممالك المعمورة، ومع ما نرى من انكفاء المسلمين أنفسهم عن دينهم وتعطيل أحكامه وقوانينه في جميع الممالك الإسلامية، وعدم التزامهم بواحد من الألف من أحكام الإسلام، نحن مع كل ذلك لا بد أن ننتظر الفرج بعودة الدين الإسلامي إلى قوَّته وتمكينه من إصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد.

ثم لا يمكن أن يعود الإسلام إلى قوته وسيطرته على البشر عامة، وهو بما عليه اليوم وقبل اليوم من اختلاف معتنقيه في قوانينه وأحكامه وفي أفكارهم عنه، وهم على ما هم عليه اليوم وقبل اليوم من البدع والتحريفات في قوانينه والضلالات في ادعاءاتهم.

نعم، لا يمكن أن يعود الدين إلى قوَّته إلَّا إذا ظهر على رأسه مصلح عظيم يجمع الكلمة، ويردّ عن الدين تحريف المبطلين، ويبطل ما أُلصق به من البدع والضلالات بعناية ربانية وبلطف إلهي، ليجعل منه شخصًا هاديًا مهديًّا، له هذه المنزلة العظمى والرياسة العامة والقدرة الخارقة، ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا.

والخلاصة، إن طبيعة الوضع الفاسد في البشر البالغة الغاية في الفساد والظلم مع الإيمان بصحة هذا الدين وأنه الخاتمة للأديان يقتضي انتظار هذا المصلح المهدي عليه السلام، لإنقاذ العالم مما هو فيه»[1].

(١) عقائد الإمامية، الشيخ المظفر، ج١، ص١٠٩.

والنص والأخبار والروايات من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام أكّدت هذه القضية، وأن رسالة المهدي وأسس حكمه والنظام في دولته العالمية ورسالته في العالم هو إقامة القسط والعدل. وإليك -أخي القارئ- بعض ما جاء من الأخبار والروايات حول هذا النظام والقانون، الذي عُدّ تشريعًا وإخبارًا عن قانون دولة المهدي، وتبشيرًا عن النظام الجديد في العالم.

عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمر أمتي رجل من ولد الحسين عليه السلام يملؤها عدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»(١).

وعن عبد العظيم الحسني، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه قال: «في القائم عليه السلام: لا يحل ذكر اسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»(٢).

وفي منتخب الأثر عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يحثي المال حثيًا لا يعده عدًا، يملأ الأرض عدلًا كماملئت جورًا وظلمًا»(٣).

وفيه أيضًا حديث ٥٨٤: «يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا».

وفيه حديث ٥٨٥ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يملأ الأرض عدلًا كما ملئت قبله ظلمًا وجورًا».

وفي المصدر نفسه حديث ٥٨٧، ص٢٢٣ عن علي عليه السلام قال:

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٤، حديث ٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢٦، حديث ٣.
(٣) منتخب الأثر، لطف اللّه الصافي، ج٢، ص٢٢٢، حديث ٥٨٣.

«تمتلئ الأرض ظلمًا وجورًا حتى يدخل كل بيت خوف وحرب، يسألون درهمين وجريبين فلا يعطونه، فيكون تقتال بتقتال، وتسيار بتسيار، حتى يحيط اللَّه بهم في قصره، ثم تُملأ الأرض عدلًا وقسطًا».

وفي المصدر نفسه حديث ٥٩٤، ص٢٣٢ عن أبي حمزة قال: «دخلت على أبي عبداللَّه عليه السلام فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فقلت: فولدك؟ فقال: لا، فقلت فولد ولدك هو؟ قال: لا، فقلت: فولد ولد ولدك؟ فقال: لا، قلت: من هو؟ قال: الذي يملؤها عدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا...».

فهذه النصوص تعبّر عن تشريع قانون العدل والقسط في دولة المهدي، وتؤكد أن هذا القانون يجري في العالم كله، وأنه لن يكون فيه تلاعب من قبل أركان دولة المهدي ومعاونيه؛ لأنه قانون لا يجوز تعطيله أو التلاعب به، فالسلطة المنفّذة له من أصحاب المهدي لهم مواصفات وخصائص خاصة يختلفون عن جميع كوادر وأصحاب الأنبياء والأوصياء؛ لأنهم سلطة تنفيذية خالصة في الإيمان والتقوى، ومخلصون في التنفيذ والتطبيق.

دولة للَّه ودولة لإبليس:

عن زرارة، عن أبي عبداللَّه عليه السلام في قول اللَّه: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[1] قال: ما زال منذ خلق اللَّه آدم دولة للَّه ودولة لإبليس، فأين دولة اللَّه، أما هو قائم واحد»[2].

«الدولة في اللغة: الاستيلاء، والغلبة، والشيء المتداول، فيكون مرة لهذا ومرة لذاك»، «ودالت الأيام دارت، واللَّه يداولها بين الناس».

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.
(٢) بحار الأنوار، ٢١، ص٤٥، حديث ٣٨.

«والدولة في الاصطلاح جمع من الناس مستقرُّون في أرض معيّنة، مستقلِّون وفق نظام خاص، أو هي مجتمع منظَّم له حكومة مستقلّة وشخصية معيّنة تميّزه عن غيره من المجتمعات المماثلة له. فالدولة إذن هي الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظّم حياة مجموع من الأفراد يؤلّفون أمة.

والفرق بين الدولة والأمة أن الدولة هي الأمة المنظّمة، على حين أن الأمة جماعة من الناس تجمعهم صفات واحدة ومصالح وآمال وأهداف مشتركة»[1].

ما المقصود بدولة اللَّه؟

وما المقصود من دولة إبليس؟

دولة اللَّه تمثّل أعلى القيم والمبادئ، وأفضل وأشرف الأنظمة والتشريعات، وأجمل القوانين في كل شيء وإن كان أهمها في العدالة والقسط والحرية والأمن والسعادة والبناء والتطوّر وكل ما من شأنه أن يُسعد الإنسان.

ودولة إبليس عكس ما ذكرناه، بل أسوأ ممّا يتصوّره الإنسان. والتجارب خير دليل فيما ما نراه ممن يمثّل حكومة ودولة إبليس من الأنظمة والحكومات والدول على مستوى العالم، وأغلبها يمثل دولة إبليس التي أطلق عليها أحد الفقهاء بحكومة الشيطان.

أما الممثّلون لدولة اللَّه تعالى فهم مجموعة من البشر أطلق عليهم:

١- الأنبياء والرسل.

٢- الأوصياء والأئمة.

٣- الحوراييّن والخواصّ.

---

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج١، ص٥٦٨.

وكل هؤلاء سعوا في الأرض لبناء دولة اللَّه تعالى وتحكيم لغة القانون والنظام والعقل لسعادة الإنسان، إلَّا أن مجموعة دولة إبليس رفضت وسعت وعملت على إفشال هذا المشروع، وهم من أطلق عليهم:

١- الكفار.
٢- المشركون.
٣- الملحدون.
٤- المنافقون.
٥- المعادون.

فكل هؤلاء ومن تبعهم عارضوا بشدة بناء مشروع دولة اللَّه.

الرؤية الإسلامية لدولة اللَّه:

حسب ما جاء من النصوص والأخبار والروايات أعطت رؤية إسلامية واضحة وصريحة في موقفين:

الأول: موقف تجاه دولة اللَّه تعالى في الأرض.
الثاني: موقف تجاه دولة إبليس ودول العالم والحكومات الوضعية.

وإن مستقبل البشرية هو بناء دولة واحدة يحكمها شخص واحد اسمه: محمد بن الحسن الملقّب بالمهدي والقائم.

وإن مستقبل الحكومات والأنظمة في العالم إلى الزوال والانهيار، وانتهاء حقبة دولة إبليس في الأرض، وبدء مشروع دولة اللَّه تعالى، ولا نعلم من مدة استمرارها ودوامها، إلَّا أن ما نعلمه من النصوص هو انتهاء مرحلة الصراع بين نظامين وحكمين ودولتين: دولة اللَّه ودولة إبليس، وأن القادم هو

بناء دولة المهدي الذي يمثّل دولة اللّه تعالى في أرضه، وأن هذه الدولة سوف تبقى إلى نهاية العالم وانتهاء حقبة الإنسان في الكرة الأرضية. هذا واضح من قراءة النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[١].

موقف دولة إبليس من دولة المهدي:

كل الدول التي تمثّل دولة الطغيان والكفر والشرك والفساد والإلحاد والضلال سوف يكون موقفها تجاه دولة المهدي سلبيًّا، وهو موقف الرفض، كما أنه كذلك عليه السلام سوف يُعلن رفضه مشروعية كل الحكومات والأنظمة في العالم، بل سوف يُعلن للناس زوالها؛ لذا لا عجب أن يكون موقف دولة إبليس ومن يمثّله من الحكومات والأنظمة تجاه المهدي ومشروعه هو الرفض والإنكار وإعلان الحرب. «إذا خرج القائم لم يبقَ كافر ولا مشرك إلَّا كره خروجه»[٢].

وعليه فكل من كان موقفه معارضًا لدولة المهدي «ليس له في دولة الحق مع القائم نصيب»[٣].

وكما قال تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**﴾[٤].

قال عليه السلام: «إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل»[٥].

---

(١) سورة فصلت، الآية ٥٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٤٩، حديث ٥٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥١، حديث ٦٤.
(٤) سورة الإسراء، الآية ٨١.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥١، حديث ٦٢.

دولة اللَّـه دولة المهدي:

قال الإمام عليه السلام: «إن لنا دولة يجيء اللَّه بها إذا شاء»[١].

وقال الإمام علي عليه السلام: «المستضعفون في الأرض المذكورون في الكتاب الذين يجعلهم اللَّه أئمة نحن أهل البيت عليهم السلام، يبعث اللَّه مهديهم فيعزّهم ويذلّ عدوّهم»[٢].

وقال عليه السلام: «لتعطفنَّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، وتلا عقيب ذلك: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[٣]»[٤].

وقال الباقر عليه السلام: «دولتنا آخر الدول، ولم يبقَ أهل بيت لهم دولة إلَّا ملكوا قبلنا لئلَّا يقولوا إذا رأوا دولتنا: إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء، وهو قول اللَّه تعالى: ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٤]»[٥].

التبشير بدولة المهدي:

أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام عن موقفهم الصريح تجاه دولة المهدي القادمة، وصرّحوا ببعض مواصفات دولته، وأخبرونا ببعض الأنظمة والقوانين التي جاء من أجلها، والتي منها نشر العدل والقسط بين الناس، وسيادة القانون، وحاكمية اللَّه تعالى في عباده.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٧٨، حديث ٥٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٢، حديث ٦٥.
(٣) سورة القصص، الآية ٥.
(٤) سورة القصص، الآية ٨٣.
(٥) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٥٢، ص ٣٣٩.

ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام الناس كافة إلى الانتماء والالتحاق والالتفاف حو الدولة القادمة دولة الحق والعدل. ودلّت تلك المواقف من خلال النصوص والروايات فيما يخصّ دولة المهدي على أمرين:

الأول: إجماع المعصومين عليهم السلام على شرعية دولة المهدي.
الثاني: الدعوة إلى الانتماء إلى هذه الدولة.

«من تبعه نجا، ومن تخلّف عنه هلك»[١].

«اللَّه اللَّه عباد اللَّه، فأتوه ولو على الثلج، فإنه خليفة اللَّه عزّ وجلّ وخليفتي»[٢].

أما شروط الانتماء والنصرة للمهدي ودولته فهي على النحو التالي:

أولًا: الاقتداء والائتمام بالمهدي وبالأئمة عليهم السلام.
ثانيًا: أن يتولّى أولياء المهدي.
ثالثًا: أن يعادي أعداء المهدي.

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: طُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَ قَائِمَ أَهْلِ بَيْتِي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِهِ فِي غَيْبَتِهِ قَبْلَ قِيَامِهِ، وَيَتَوَلَّى أَوْلِيَاءَهُ، وَيُعَادِي أَعْدَاءَهُ، ذَاكَ مِنْ رُفَقَائِي وَذَوِي مَوَدَّتِي، وَأَكْرَمِ أُمَّتِي عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣].

عَنْ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: طُوبَى

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٣، حديث ٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٣، حديث ٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٨، حديث ١٤.

لِمَنْ أَدْرَكَ قَائِمَ أَهْلِ بَيْتِي وَهُوَ مُقْتَدٍ بِهِ قَبْلَ قِيَامِهِ، يَأْتَمُّ بِهِ وَبِأَئِمَّةِ الْهُدَى مِنْ قَبْلِهِ، وَيَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَدُوِّهِمْ، أُولَئِكَ رُفَقَائِي وَأَكْرَمُ أُمَّتِي عَلَيَّ»[1].

مواصفات وزراء دولة المهدي:

مواصفات الجماعة العاملة في إدارة حكومة المهدي تعدّ من أعلى المواصفات القيمية والدينية، وممّا يفهم من النص أنهم خواص تم إعدادهم ورعاية تربيتهم بعناية فائقة لا يتّصف بها أحد من الخلق غير المعصومين وأكثر، خصّت هذه الصفات بأصحاب المهدي دون غيرهم.

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٨، حديث ١٥.

واقع الأمة الإسلامية بعد غيبة المهدي

حال الأمة الإسلامية عمومًا والشيعة الموالين خصوصًا كحال الأمم السابقة والجماعات والفئات، في تأثّرها وتأثيرها في الواقع والأحداث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وعلى نطاق أوسع في حال اتّخذت الأمة قرار الانفتاح على الشعوب والأمم والمجتمعات مختلفة الأعراق والأفكار والثقافات، مع ما لها وعليها من مخاطر في جانب العقيدة والنظام، كالأمة الفارسية والأمة الرومانية.

وهذا ما نبَّه إليه النبي ﷺ الأمة الإسلامية من حدوث تغيير سلبي في حياة المسلمين يصل إلى جميع المستويات حتى الدينية والعَقَدية، وأن حال الأمة كغيرها من الأمم تؤثّر وتتأثّر، وأن فكرة تداخل الحضارات أمر واقعي لا مفرّ منه؛ لذا كان الهدف والغاية من أحاديث النبي ﷺ ومخاطباته وتوجيهاته للأمة الاستعداد والتأهيل لا الامتناع من التواصل والانفتاح.

قال ﷺ: «هي واللَّه السُّنن القذة بالقذة، ومشكاة بمشكاة، ولا بد أن يكون فيكم ما كان في الذين قبلكم»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٥، حديث ١٧.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتتبعنَّ سُنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه»[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لتركبنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل، لتركبنَّ طريقهم حذو القذة بالقذة، حتى لا يكون فيهم شيء إلَّا كان فيكم مثله، حتى إن القوم لتمرّ عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجاملها ثم يرجع إلى أصحابه يضحك لهم ويضحكون إليه»[٣].

فحال الأمة الإسلامية والشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام كأيّ أمة أو فئة تتأثّر بمحيطها الديني والعقائدي وغيرهما، فكما أن التغيير قد جرى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحدث ما حدث من وقائع، جرَّت على الأمة الويلات وإلى يومنا هذا، فكذلك جرى التغيير بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام الذي يمثل آخر الأوصياء، حيث إن غيبته أحدثت صدمة كبيرة ومفاجأة عظيمة للأمة وللشيعة الموالين له ولأهل بيته عليهم السلام.

فكما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تنبَّأ بالتغييرات والأحداث والوقائع بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وما سوف يجري لأمته، فكذلك تنبأ مع أهل بيته عليهم السلام بما سيجري على الأمة والشيعة بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص٥٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير، دار الفكر، ج٢، ص٤٢٧.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢هـ، ج٧، ص٥١٦، حديث ١٢١٠٦.

فإن الأمة الإسلامية عاشت بعد وفاة النبي ﷺ الشتات والضياع والتيه والانحراف بعد أن تخلّت عن وصي الأوصياء علي بن أبي طالب وفشلها في احتواء واستيعاب وقبول الأوصياء الأئمة الاثني عشر من آل البيت عليهم السلام، ولم تكتفِ بعزل الأئمة والأوصياء عن الحكم والخلافة بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وأخطر، إلى المعاملة الأسوأ مع أهل بيت النبي الأعظم ﷺ، وتخليهم عن مبدأ المودة لهم كما أمرهم اللَّه تعالى في محكم كتابه وأوصى به نبيهم ﷺ.

ولا نذهب بعيدًا عن الموالين والمقرّبين من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فبالرغم من موالاتهم وتضحياتهم الكبيرة في سبيل المعصومين عليهم السلام وحفظ كلمة الحق، مع ذلك سجّل التاريخ الصحيح وقائع صدرت من الشيعة تجاه أهل البيت عليهم السلام يخجل منها العدو قبل الصديق، فتلك الصفحات من تاريخ الشيعة تعدّ سوداء في حياتهم.

من هنا جاءت النصوص الشريفة تحكي لنا حقائق ما بعد الغيبة، وتحذّر من الأحداث والوقائع التي سوف تجري بعد غياب الإمام المهدي عليه السلام. ويمكن أن نقسم النصوص التي تحكي الواقع ما بعد الغيبة إلى فئتين:

الفئة الأولى: توقعات وأخبار عن الأحداث التي سوف تقع بعد الغيبة.
الفئة الثانية: توصيات وأحكام في مواجهة الأحداث ما بعد الغيبة.

ولأن الشيعة والموالين هم من يعنيهم أمر المهدي وغيبته لذا جاءت التوصيات لهم بالخصوص، مع ذلك نقرأ في التاريخ الصحيح وقوع أخطاء وانحرافات عند الشيعة وعند بعض زعمائهم، فالبعض ترك المذهب، وآخر تخلَّى عن عقيدة الأئمة الاثني عشر. هذه أحداث قد جرت أمام أعين

المعصومين عليهم السلام وفي عهدهم، لذا ظهرت بيانات إيضاحية تجاه المنحرفين والضالين من الشيعة، فكيف بهم إذا غاب عنهم إمامهم؟

الطبيعي أنهم سيُعدّون لمواجهة تتصاعد، إلَّا أن بعض الأمور التي جرت في حياة المعصومين مع قرب شيعتهم وعلمهم بالأحداث والوقائع التي جرت على الأئمة عليهم السلام أحدثت مأساة وظلمًا، وأوجدت جرائم في حق الأئمة الأطهار عليهم السلام.

فهذه المعاملة القاسية من قبل الأمة الإسلامية تجاه أهل البيت عليهم السلام ساهمت في نضج الشيعة في فهم وقبول الغيبة وضرورة اختفاء الإمام، بالإضافة إلى التمهيد الفكري والثقافي والعقائدي وقيم ومبادئ قضية الغيبة وما بعدها من خلال الإرشادات والتوصيات الصادرة عنهم عليهم السلام، التي أعطت جرعة أخرى لإحياء الولاء والحب والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام.

فهذه الأمور وغيرها ساهمت في تقليل المخاطر العقائدية والاجتماعية، وكانت عاملًا مانعًا من تدخّل أعداء آل البيت عليهم السلام في وسط المجتمع الشيعي.

وكان من تلك الوقائع والتغيّرات المتوقّعة ما بعد الغيبة التي تنبّأ بها أئمة الحق عليهم السلام، وحذّروا شيعتهم من الوقوع فيها؛ ظهور ما يُسمّى بتيار التشكيك، وبروز جماعة المشكّكين من الشيعة، وسهل على السلطة الحاكمة آنذاك اختراق رموز المشككين وتأجيج فكرة التشكيك في المهدي بدءًا بولادته، إلَّا أن هذا التيار الضال بقياداته الفعلية لم يتم لهم النجاح كما خطّطوا له؛ لذا كان التأثير محدودًا وفي وسط بعض أفراد الشيعة ممَّن لم يحظَ بالإحاطة بالعقيدة، ولم يعِ علوم أهل البيت عليهم السلام، أو لم يُحط علمًا بالقضية

المهدوية وتفاصيلها، مع أن النص النبوي حول المهدي انتشر في العالم الإسلامي وفي أروقة العلماء وفي كتب المحدّثين والأخباريين من السنة والشيعة، ناهيك عن استمرار أئمة أهل البيت عليهم السلام في توعية المجتمع الشيعي بقضية المهدي، وتعبئته بالوعي والعلم والمعرفة، وبالوقائع المتوقّع حدوثها بعد الغيبة، ممَّا شكل رافدًا جديدًا وسلاحًا فعّالًا من الوعي بقضية الإمامة والولاية، وبناء منظومة عقائدية تُضاف لعقيدة الإمامية مرتبطة بمستقبل الإسلام أولًا وبالذات، وبالمجتمع الشيعي الحاضن الأول للفكر الإسلامي الصحيح والأصيل؛ لأن المعصومين يعلمون أهمية الوعاء الشرعي لحفظ قيم ومبادئ الإسلام والشريعة، وهم الشيعة الموالون لهم في العقيدة، وعليهم المعتمد في مواجهة أعداء الدين، وما جرى ويجري إلى يومنا هذا من تحريفات وأضاليل وأباطيل ضد النبي وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولذا كانت التوصيات تحذّر الشيعة من ترك الحق وأهله، وتنبّههم من الوقوع في الضلال، خوفًا عليهم من الضياع والغرور، وفتنة شعب اللَّه المختار، فـ«لو تركتم هذا الأمر ما تركه اللَّه»[1].

وهذا النص وضع حدًّا للشيعة من الوقوع في ترك الحق وأهله، وأنهم لو تركوا آل البيت عليهم السلام ما كان على اللَّه بعزيز أن يأتي بقوم ينصرون آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعبارة أخرى: يفهم من «لو تركتم هذا الأمر ما تركه اللَّه» أن أمر نصرة الإمامة والولاء لأهل البيت عليهم السلام لا يتوقّف على الشيعة ما إذا تخلّت عن نصرة الحق وأهله، قال اللَّه تعالى للأعراب: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا**

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٤٩، حديث ٥٧.

تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[2].

توقعات وتوصيات ما بعد الغيبة

تنبّأ أهل البيت عليهم السلام عن الأحداث التي سوف تقع بعد الغيبة، وكانت الغاية من الإخبار بها وبيان الأحداث والوقائع للناس عامة وللشيعة خاصة عدة أمور:

الأول: التحذير من الوقوع فيها والانجرار معها.
الثاني: الإعداد والاستعداد لمواجهتها.
الثالث: امتلاك وعي ديني وسياسي بالحدث قبل وقوعه.
الرابع: التمسّك بالعقيدة الحقَّة وعدم التأثّر من التيارات الدينية المنحرفة.

عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي اسْمُهُ اسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِي خَلْقًا وَخُلْقًا، تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحَيْرَةٌ حَتَّى يَضِلَّ الْخَلْقُ عَنْ أَدْيَانِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُقْبِلُ كَالشِّهَابِ الثَّاقِبِ فَيَمْلَؤُهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»[3].

وعَنِ الْبَاقِرِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي، تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحَيْرَةٌ تَضِلُّ فِيهَا الْأُمَمُ، يَأْتِي بِذَخِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَمْلَؤُهَا

(١) سورة الحجرات، الآية ١٧.
(٢) سورة محمد، الآية ٣٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٨، حديث ١٦.

عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا»[١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزِلْزَالٍ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ»[٢].

وعَنْ أَبِي الْحَجَّافِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْشِرُوا بِالْمَهْدِيِّ، قَالَهَا ثَلَاثًا، يَخْرُجُ عَلَى حِينِ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزِلْزَالٍ شَدِيدٍ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، يَمْلَأُ قُلُوبَ عِبَادِهِ عِبَادَةً، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ»[٣].

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: «لِلْقَائِمِ مِنَّا غَيْبَةٌ أَمَدُهَا طَوِيلٌ، كَأَنِّي بِالشِّيعَةِ يَجُولُونَ جَوَلَانَ النَّعَمِ فِي غَيْبَتِهِ، يَطْلُبُونَ الْمَرْعَى فَلَا يَجِدُونَهُ، أَلَا فَمَنْ ثَبَتَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ، [وَ] لَمْ يَقْسُ قَلْبُهُ لِطُولِ أَمَدِ غَيْبَةِ إِمَامِهِ، فَهُوَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ قَالَ عليه السلام: إِنَّ الْقَائِمَ مِنَّا إِذَا قَامَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ؛ فَلِذَلِك تَخْفَى وِلَادَتُهُ، وَيَغِيبُ شَخْصُهُ»[٤].

وعَنِ الرِّضَا عليه السلام، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قَالَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام: «التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِكَ يَا حُسَيْنُ هُوَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، الْمُظْهِرُ لِلدِّينِ، الْبَاسِطُ لِلْعَدْلِ. قَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ؟

فَقَالَ عليه السلام: إِي وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالنُّبُوَّةِ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ غَيْبَةٍ وَحَيْرَةٍ لَا تَثْبُتُ فِيهَا عَلَى دِينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ الْمُبَاشِرُونَ

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٨، حديث ١٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٩، حديث ٢٣.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٦٠، حديث ٢٤.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٨٥، حديث ١.

لِرَوْحِ الْيَقِينِ الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ بِوَلَايَتِنَا ﴿وَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾»[١].

وعَنْ عَبَايَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا بَقِيتُمْ بِلَا إِمَامٍ هُدًى، وَلَا عَلَمٍ يُرَى، يَبْرَأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ»[٢].

ورَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام يَقُولُ: خَطَبَ النَّاسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِالْكُوفَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ الشِّيبِ وَفِيَّ سُنَّةٌ مِنْ أَيُّوبَ، وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ لِي أَهْلِي كَمَا جَمَعَ لِيَعْقُوبَ شَمْلَهُ، وَذَلِكَ إِذَا اسْتَدَارَ الْفَلَكُ وَقُلْتُمْ: ضَلَّ أَوْ هَلَكَ، أَلَا فَاسْتَشْعِرُوا قَبْلَهَا بِالصَّبْرِ، وَبُوؤُوا إِلَى اللَّهِ بِالذَّنْبِ، فَقَدْ نَبَذْتُمْ قُدْسَكُمْ، وَأَطْفَأْتُمْ مَصَابِيحَكُمْ، وَقَلَّدْتُمْ هِدَايَتَكُمْ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لَكُمْ سَمْعًا وَلَا بَصَرًا، ضَعُفَ وَاللَّهِ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ، هَذَا وَلَوْ لَمْ تَتَوَاكَلُوا أَمْرَكُمْ، وَلَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ بَيْنَكُمْ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَتَشَجَّعْ عَلَيْكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ وَعَلَى هَضْمِ الطَّاعَةِ وَإِزْوَائِهَا عَنْ أَهْلِهَا فِيكُمْ، تِهْتُمْ كَمَا تَاهَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عَهْدِ مُوسَى.

وَبِحَقٍّ أَقُولُ: لَيُضَعَّفَنَّ عَلَيْكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي بِاضْطِهَادِكُمْ وُلْدِي ضِعْفَ مَا تَاهَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَوْ قَدِ اسْتَكْمَلْتُمْ نَهَلًا، وَامْتَلَأْتُمْ عَلَلًا عَنْ سُلْطَانِ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ فِي الْقُرْآنِ، لَقَدِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى نَاعِقٍ ضَلَالٍ، وَلَأَجَبْتُمُ الْبَاطِلَ رَكْضًا، ثُمَّ لَغَادَرْتُمْ دَاعِيَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ، أَلَا وَلَوْ ذَابَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ لَقَدْ دَنَا التَّمْحِيصُ لِلْجَزَاءِ، وَكُشِفَ

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٨٥، حديث ٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٨٦، حديث ٥.

الْغِطَاءُ، وَانْقَضَتِ الْمُدَّةُ، وَأَزِفَ الْوَعْدُ، وَبَدَا لَكُمُ النَّجْمُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَأَشْرَقَ لَكُمْ قَمَرُكُمْ كَمِلْءِ شَهْرِهِ وَكَلَيْلَةٍ تَمَّ، فَإِذَا اسْتَبَانَ ذَلِكَ فَرَاجِعُوا التَّوْبَةَ، وَخَالِعُوا الْحَوْبَةَ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ أَطَعْتُمْ طَالِعَ الْمَشْرِقِ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَدَارَيْتُمْ مِنَ الصَّمَمِ، وَاسْتَشْفَيْتُمْ مِنَ الْبَكَمِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ التَّعَسُّفِ وَالطَّلَبِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقَلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ، فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ أَبَى الرَّحْمَةَ، وَفَارَقَ الْعِصْمَةَ ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾»[1].

وعَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: خَبَرٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ عَشَرَةٍ تَرْوِيهِ، إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، وَلِكُلِّ صَوَابٍ نُورًا.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مِنْ شِيعَتِنَا فَقِيهًا حَتَّى يُلْحَنَ لَهُ فَيَعْرِفَ اللَّحْنَ. إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ: وَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا مُظْلِمَةً عَمْيَاءَ مُنْكَسِفَةً، لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا النُّوَمَةُ. قِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا النُّوَمَةُ؟ قَالَ: الَّذِي يَعْرِفُ النَّاسَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ لِلَّهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَيُعْمِي خَلْقَهُ مِنْهَا بِظُلْمِهِمْ وَجَوْرِهِمْ وَإِسْرَافِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ خَلَتِ الْأَرْضُ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ حُجَّةٍ لِلَّهِ لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا، وَلَكِنَّ الْحُجَّةَ يَعْرِفُ النَّاسَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ، كَمَا كَانَ يُوسُفُ يَعْرِفُ النَّاسَ ﴿**وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**﴾ ثُمَّ تَلَا: ﴿**يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ الشَّاعِرِ -يَعْنِي ابْنَ أَبِي عَقِبٍ- قَالَ: «سَمِعْتُ عَلِيًّا عليه السلام

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٨٦، حديث ٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٨٧، حديث ٨.

يَقُولُ: كَأَنِّي بِكُمْ تَجُولُونَ جَوَلَانَ الْإِبِلِ، تَبْتَغُونَ مَرْعًى وَلَا تَجِدُونَهَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ»[١].

وعَنِ ابْنِ نُبَاتَةَ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ ذَكَرَ الْقَائِمَ عليه السلام فَقَالَ: «أَمَا لَيَغِيبَنَّ حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ: مَا لِلَّهِ فِي آلِ مُحَمَّدٍ حَاجَةٌ»[٢].

وعَنْ يَزِيدَ الضَّخْمِ قَالَ: «سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: كَأَنِّي بِكُمْ تَجُولُونَ جَوَلَانَ النَّعَمِ تَطْلُبُونَ الْمَرْعَى فَلَا تَجِدُونَهُ»[٣].

وعن مسعدة بن صدقة عن أبي عبداللَّه: «... وواأسفا من فعلات شيعتنا من بعد قرب مودَّتها اليوم كيف يستذل بعدي بعضها بعضًا....» إلى آخر الحديث[٤].

عن عبد الرحمن بن سليط، قال: قال الحسين بن علي عليه السلام: «لَهُ غَيْبَةٌ يَرْتَدُّ فِيهَا أَقْوَامٌ وَيَثْبُتُ عَلَى الدِّينِ فِيهَا آخَرُونَ فيودون [فَيُؤْذَوْنَ]، وَيُقَالُ لَهُمْ: مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ؟ أَمَا إِنَّ الصَّابِرَ فِي غَيْبَتِهِ عَلَى الْأَذَى وَالتَّكْذِيبِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم»[٥].

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: «الْقَائِمُ مِنَّا تَخْفَى وِلَادَتُهُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَمْ يُولَدْ بَعْدُ، لِيَخْرُجَ حِينَ يَخْرُجُ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ»[٦].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٨٩، حديث ١٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٩٢، حديث ١٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٩٢، حديث ٢٠.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٩٤، حديث ٢٤.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٢، حديث ٤.
(٦) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٣، حديث ٢.

عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: يَا بَا خَالِدٍ، لَتَأْتِيَنَّ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، يُنْجِيهِمُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ. كَأَنِّي بِصَاحِبِكُمْ قَدْ عَلَا فَوْقَ نَجَفِكُمْ بِظَهْرِ كُوفَانَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، جَبْرَئِيلُ عَنْ يَمِينِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِهِ، وَإِسْرَافِيلُ أَمَامَهُ، مَعَهُ رَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَدْ نَشَرَهَا لَا يَهْوِي بِهَا إِلَى قَوْمٍ إِلَّا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ عزوجل»[١].

عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «قَالَ لِي: يَا أَبَا الْجَارُودِ، إِذَا دَارَ الْفَلَكُ وَقَالَ النَّاسُ: مَاتَ الْقَائِمُ أَوْ هَلَكَ بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ؟! وَقَالَ الطَّالِبُ: أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ بَلِيَتْ عِظَامُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَارْجُوهُ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فَأْتُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ»[٢].

عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ وَرَوَاهُ الْحَكَمُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «كَأَنِّي بِكُمْ إِذَا صَعِدْتُمْ فَلَمْ تَجِدُوا أَحَدًا وَرَجَعْتُمْ فَلَمْ تَجِدُوا أَحَدًا»[٣].

عَنْ فُرَاتِ بْنِ أَحْنَفَ قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَذَكَرَ الْقَائِمَ فَقَالَ: لَيَغِيبَنَّ عَنْهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ: مَا لِلَّهِ فِي آلِ مُحَمَّدٍ حَاجَةٌ»[٤].

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَتُمْخَضُنَّ يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ شِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَخِيضِ الْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْكُحْلِ يَعْلَمُ مَتَى يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَذْهَبُ، فَيُصْبِحُ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا فَيُمْسِي وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا، وَيُمْسِي وَهُوَ عَلَى

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٣، حديث ٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٤، حديث ١.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٦، حديث ١٢.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٩، حديث ١.

شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا فَيُصْبِحُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا»[١].

عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسْلِيِّ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَتُكْسَرُنَّ كَسْرَ الزُّجَاجِ، وَإِنَّ الزُّجَاجَ يُعَادُ فَيَعُودُ كَمَا كَانَ، وَاللَّهِ لَتُكْسَرُنَّ كَسْرَ الْفَخَّارِ، وَإِنَّ الْفَخَّارَ لَا يَعُودُ كَمَا كَانَ، وَاللَّهِ لَتُمَحَّصُنَّ، وَاللَّهِ لَتُغَرْبَلُنَّ كَمَا يُغَرْبَلُ الزُّؤَانُ مِنَ الْقَمْحِ»[٢].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: يَا عَلِيُّ، إِنَّ الشِّيعَةَ تُرَبَّى بِالْأَمَانِيِّ مُنْذُ مِائَتَيْ سَنَةٍ. وَقَالَ يَقْطِينٌ لِابْنِهِ عَلِيٍّ: مَا بَالُنَا قِيلَ لَنَا فَكَانَ، وَقِيلَ لَكُمْ فَلَمْ يَكُنْ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنَّ الَّذِي قِيلَ لَكُمْ وَلَنَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، غَيْرَ أَنَّ أَمْرَكُمْ حَضَرَكُمْ فَأُعْطِيتُمْ مَحْضَهُ وَكَانَ كَمَا قِيلَ لَكُمْ، وَإِنَّ أَمْرَنَا لَمْ يَحْضُرْ، فَعُلِّلْنَا بِالْأَمَانِيِّ. وَلَوْ قِيلَ لَنَا: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَى مِائَتَيْ سَنَةٍ أَوْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ لَقَسَتِ الْقُلُوبُ، وَلَرَجَعَتْ عَامَّةُ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ قَالُوا: مَا أَسْرَعَهُ وَمَا أَقْرَبَهُ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِ النَّاسِ، وَتَقْرِيبًا لِلْفَرَجِ»[٣].

عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: «لَا تَزَالُونَ تَنْتَظِرُونَ حَتَّى تَكُونُوا كَالْمَعْزِ الْمَهُولَةِ الَّتِي لَا يُبَالِي الْجَازِرُ أَيْنَ يَضَعُ يَدَهُ مِنْهَا، لَيْسَ لَكُمْ شَرَفٌ تُشَرِّفُونَهُ، وَلَا سَنَدٌ تُسْنِدُونَ إِلَيْهِ أُمُورَكُمْ»[٤].

عَنِ الْبَزَنْطِي قَالَ: «قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ أَصْحَابَنَا رَوَوْا عَنْ شِهَابٍ، عَنْ جَدِّكَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: أَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُمَلِّكَ أَحَدًا مَا مَلَّكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. قَالَ: إِنْ كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٩، حديث ٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٩، حديث ٣.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٠، حديث ٤.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٥، حديث ١٥.

قَالَهُ جَاءَ كَمَا قَالَ. فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَأَيَّ شَيْءٍ تَقُولُ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ وَانْتِظَارَ الْفَرَجِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿**وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**﴾[١]، وَ﴿**فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[٢]، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ الْفَرَجُ عَلَى الْيَأْسِ، وَقَدْ كَانَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَصْبَرَ مِنْكُمْ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هِيَ وَاللَّهِ السُّنَنُ الْقُذَّةَ بِالْقُذَّةِ وَمِشْكَاةً بِمِشْكَاةٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ مَا كَانَ فِي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ كُنْتُمْ عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.

وَلَوْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ وَجَدُوا مَنْ يُحَدِّثُونَهُمْ وَيَكْتُمُ سِرَّهُمْ لَحَدَّثُوا، وَلَبَثُّوا الْحِكْمَةَ، وَلَكِنْ قَدِ ابْتَلَاكُمُ اللَّهُ عزوجل بِالْإِذَاعَةِ، وَأَنْتُمْ قَوْمٌ تُحِبُّونَّا بِقُلُوبِكُمْ وَيُخَالِفُ ذَلِكَ فِعْلُكُمْ، وَاللَّهِ مَا يَسْتَوِي اخْتِلَافُ أَصْحَابِكَ، وَلِهَذَا أُسِرَّ عَلَى صَاحِبِكُمْ لِيُقَالَ مُخْتَلِفِينَ، مَا لَكُمْ لَا تَمْلِكُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَصْبِرُونَ حَتَّى يَجِيءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالَّذِي تُرِيدُونَ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ يَجِيءُ عَلَى مَا تُرِيدُ النَّاسُ، إِنَّمَا هُوَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَضَاؤُهُ وَالصَّبْرُ، وَإِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ.

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ- عَادَ صَعْصَعَةَ بْنَ صُوحَانَ فَقَالَ لَهُ: يَا صَعْصَعَةُ، لَا تَفْتَخِرْ عَلَى إِخْوَانِكَ بِعِيَادَتِي إِيَّاكَ، وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَكَأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ، وَلَا يُلْهِيَنَّكَ الْأَمَلُ.

وَقَدْ رَأَيْتَ مَا كَانَ مِنْ مَوْلَى آلِ يَقْطِينٍ، وَمَا وَقَعَ مِنْ عِنْدِ الْفَرَاعِنَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ عَنْ صَاحِبِكُمْ وَحُسْنِ تَقْدِيرِهِ لَهُ وَلَكُمْ، هُوَ وَاللَّهِ مِنَ

(١) سورة هود، الآية ٩٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٧١.

اللَّهِ وَدِفَاعِهِ عَنْ أَوْلِيَائِهِ، أَمَا كَانَ لَكُمْ فِي أَبِي الْحَسَنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَةٌ؟ مَا تَرَى حَالَ هِشَام؟ هُوَ الَّذِي صَنَعَ بِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام مَا صَنَعَ، وَقَالَ لَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ، أَتَرَى اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا رَكِبَ مِنَّا؟

وَقَالَ: لَوْ أَعْطَيْنَاكُمْ مَا تُرِيدُونَ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ، وَلَكِنَّ الْعَالِمَ يَعْمَلُ بِمَا يَعْلَمُ»(١).

عَنْ مَنْصُورٍ قَالَ: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا مَنْصُورُ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْدَ إِيَاسٍ، لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُمَيَّزُوا، لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُمَحَّصُوا، لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَشْقَى مَنْ يَشْقَى، وَيَسْعَدَ مَنْ يَسْعَدُ»(٢).

عَنِ الْبَزَنْطِيِّ قَالَ: «قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: أَمَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ الَّذِي تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُمَيَّزُوا وَتُمَحَّصُوا، وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُ، ثُمَّ تَلَا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾(٣) ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾(٤)»(٥).

عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «إِذَا فُقِدَ الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِ السَّابِعِ مِنَ الْأَئِمَّةِ فَاللَّهَ اللَّهَ فِي أَدْيَانِكُمْ، لَا يُزِيلَنَّكُمْ عَنْهَا أَحَدٌ. يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْبَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْ كَانَ يَقُولُ بِهِ، إِنَّمَا هِيَ مِحْنَةٌ مِنَ اللَّهِ امْتَحَنَ اللَّهُ بِهَا خَلْقَهُ»(٦).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَأَبِي بَصِيرٍ قَالا: «سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ:

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥٥ - ٣٥٦، حديث ١٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٦، حديث ٢٠.
(٣) سورة التوبة، الآية ١٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤٢.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٧، حديث ٢٤.
(٦) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٧، حديث ٢٦.

لَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ. فَقُلْنَا: إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ فَمَنْ يَبْقَى؟ فَقَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا فِي الثُّلُثِ الْبَاقِي؟»[١].

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هُلَيْلٍ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَاتَ أَبِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِينَ مَا قَدْ تَرَى، أَمُوتُ وَلَا تُخْبِرُنِي بِشَيْءٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَنْتَ تَعْجَلُ، فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ أَعْجَلُ، وَمَا لِي لَا أَعْجَل وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ مَا تَرَى؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ مَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى تُمَيَّزُوا وَتُمَحَّصُوا، وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَقَلُّ، ثُمَّ صَعَّرَ كَفَّهُ»[٢].

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: «قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: وَاللَّهِ مَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ أَعْيُنَكُمْ إِلَيْهِ حَتَّى تُمَحَّصُوا وَتُمَيَّزُوا، وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُ فَالْأَنْدَرُ»[٣].

عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِطُغَاةِ الْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ. قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، كَمْ مَعَ الْقَائِمِ مِنَ الْعَرَبِ؟ قَالَ: شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، إِنَّ مَنْ يَصِفُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْهُمْ لَكَثِيرٌ، فَقَالَ: لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمَحَّصُوا وَيُمَيَّزُوا وَيُغَرْبَلُوا، وَيَخْرُجُ فِي الْغِرْبَالِ خَلْقٌ كَثِيرٌ»[٤].

عَنْ عَمِيرَةَ بِنْتِ نُفَيْل قَالَتْ: «سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام يَقُولُ: لَا يَكُونُ الْأَمْرُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَبْرَأَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَتْفُلَ بَعْضُكُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ، وَحَتَّى يَلْعَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَحَتَّى يُسَمِّيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَذَّابِينَ»[٥].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٨، حديث ٢٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٨، حديث ٢٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٨، حديث ٣٠.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٨، حديث ٣١.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٩، حديث ٣٣.

عَنْ مَالِكِ بْنِ ضَمْرَةَ قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: يَا مَالِكَ بْنَ ضَمْرَةَ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا اخْتَلَفَتِ الشِّيعَةُ هَكَذَا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ وَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ: الْخَيْرُ كُلُّهُ عِنْدَ ذَلِكَ، يَا مَالِكُ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُومُ قَائِمُنَا فَيُقَدِّمُ سَبْعِينَ رَجُلًا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ فَيَقْتُلُهُمْ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ»[١].

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صَالِحٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ لِي: إِنَّ حَدِيثَكُمْ هَذَا لَتَشْمَئِزُّ مِنْهُ الْقُلُوبُ قُلُوبُ الرِّجَالِ، فَانْبِذُوا إِلَيْهِمْ نَبْذًا، فَمَنْ أَقَرَّ بِهِ فَزِيدُوهُ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ فَذَرُوهُ، إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةٌ يَسْقُطُ فِيهَا كُلُّ بِطَانَةٍ وَوَلِيجَةٍ، حَتَّى يَسْقُطَ فِيهَا مَنْ يَشُقُّ الشَّعْرَةَ بِشَعْرَتَيْنِ، حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا نَحْنُ وَشِيعَتُنَا»[٢].

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ: إِنَّمَا مَثَلُ شِيعَتِنَا مَثَلُ أَنْدَرٍ -يَعْنِي بِهِ بَيْتًا فِيهِ طَعَامٌ- فَأَصَابَهُ آكِلٌ فَنُقِّيَ، ثُمَّ أَصَابَه آكِلٌ فَنُقِّيَ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهُ مَا لَا يَضُرُّهُ الْآكِلُ، وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا يُمَيَّزُونَ وَيُمَحَّصُونَ حَتَّى يَبْقَى مِنْهُمْ عِصَابَةٌ لَا تَضُرُّهَا الْفِتْنَةُ»[٣].

ومن التوقُّعات التي تنبّأ بها أهل البيت عليهم السلام ظهور وبروز تيار التشكيك.

ولنأتِ لنستعرض بشيء مختصر هذا التيار، وكيف تمَّ الاستفادة منه لإضعاف الوحدة الاجتماعية في المجتمع الشيعي، ودوره في إثارة الشكوك

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٥٩، حديث ٣٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٦٠، حديث ٣٦.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٦٠، حديث ٣٨.

حول قضية المهدي، وما هي التوصيات التي أخبرنا بها أئمة أهل البيت لمواجهته؟ مع أن هذا التيار لا يمثّل واقع تحدٍّ إلَّا أنه عامل في إحداث ملابسات قد تؤثّر في جيل الشباب بالأخص في شبابنا المتغرّبين والمتأمركين.

تيار التشكيك:

يطلق على هذا التيار بالشكوكية، وهم يحملون اتجاهًا آخر يخالف العلماء والعقلاء، فهم يشكّون في المعتقدات والمعارف المفترضة. وتتّجه الشكوكية غالبًا نحو اختصاصات مثل ما رواء الطبيعة أو علم الأخلاق وترفض غالبًا الأدلة المنطقية، ولا تقبل شيئًا اسمه اليقين، فالشكوكية الدينية هي الشك بخصوص المبادئ الدينية الأساسية.

نشأت الفلسفية الشكّية اليونانية القديمة (السفسطائيون اليوانانيون) في القرن الخامس قبل الميلاد، كانوا في الأغلب شكيّين. والبيروونية كانت مدرسة من مدارس الشكية أسسها أنيسيديموس في القرن الأول قبل الميلاد.

وفي الفلسفة الإسلامية كان الغزالي هو من أوجد مذهب الشكية كجزء من المدرسة الأشعرية. وربما كانت ردّة فعل الغزالي تجاه الفلسفة اليونانية وليست شكوكه متعلقة بالقضايا والمعتقدات الدينية، لكنه يعدّ في نظر الفلاسفة الإسلاميين مؤسس مدرسة الشكوكية في الإسلام.

ولوحظ في تاريخ مذهب الشكوكية الدينية أن أول من أحدث الشك في المعتقدات الدينية هو سقراط الذي تساءل حول شرعية المعتقدات السائدة في زمنه في ظل وجود أكثر من إله.

إن المطالبة بالدليل والبرهان على المعتقدات هو مبدأ إسلامي لا

يختلف فيه اثنان من علماء الإسلام، إلَّا أنه يجب أن يتجرّد الإنسان من العصبية والتبعية والتخلّص من مرض التشكيك، لذا «ينبغي للعالم، إذا أراد الوصول إلى اليقين، أن ينتقد علمه، وأن يحرّر نفسه من الأفكار السابقة، وأَلَّا يقبل أمرًا على أنه حق إلَّا إذا عرف أنه كذلك ببداهة العقل، أي إن يجتنب التسرّع والظن»، فالشك إذا كان طريقًا لإثبات الحق فلا إشكال في كونه إيجابيًّا، أما إذا كان طريقًا للتخلّص من المعتقدات وبقاء الإنسان مجرّدًا عن المعتقدات الدينية فهذا يدل على جهله ووهمه، وعدم أخذه بأبسط أحكام العقل والمنطق.

من هذا المنطلق تنبّأ أهل البيت عليهم السلام بظهور تيار التشكيك أو مذهب الشكوكية الدينية لمواجهة فكرة المهدوية.

وربّما يقول القائل: إن هذا أمر طبيعي لصعوبة استيعاب الفكرة والإيمان بهذا المعتقد؛ كونه مخالفًا للطبيعة البشرية وقانون الوجود البشري في مدة الحياة؛ لذا لا عجب أن يبقى التشكيك إلى يومنا هذا، ويكون مستمرًّا على العصور. ويصبح أحيانًا ظاهرة على مستوى العالم الإسلامي لأن المذاهب الأربعة تتبنى توجّهًا مغايرًا للمعتقد الإمامي في مسألة المهدي، ويختلفون معنا في ولادة المهدي، ووجوده حيًّا، وظهوره بعد الغيبة.

ولا غرابة في ذلك، إنما التعجَّب ينصرف إلى من يدّعي الولاء والحب لأهل البيت عليهم السلام وهو ينكر المهدي وجودًا وغيبةً.

ونلاحظ أن هناك تيارات تساهم في إظهار تيار الشكوكية في الوسط الشيعي كالتيار السلفي المتعصّب، حيث يرى هذا التيار أن إثارة قضية المهدي عليه السلام والإشكالات منفذًا يتمكن من خلاله إيقاع الفتنة وإثارة الشك

في المعتقدات الإمامية.

إننا نحن الشيعة نعتمد في إثبات وجود المهدي وولادته وغيبته وظهوره بعد الغيبة الطويلة على دليلين أساسيين يتفق معنا العامة في إثباتهما:

الأول: حديث الأئمة اثني عشر.
الثاني: من مات ولم يعرف إمام زمانه.

أما بقية الأدلة وإن كانت مساعدة لإثبات الحقيقة المهدوية إلَّا أنها لا تمثّل عائقًا أو عامل ضعف في أصل الدليلين فيما إذا كانت تلك الأدلة ضعيفة سندًا أو دلالة.

لذا لا يصح مواجهة مذهب التشكيك من أبناء الشيعة بغير هذين الدليلين، أي نعم وجود مئات الأدلة والنصوص والأخبار من النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في قضية المهدي عامل مساعد ومهم وقوي في إثابت وتأكيد أن المهدي ظاهرة حتمية لا مفرّ منها، سواء آمنا بها أم لم نؤمن، لكون الاعتقاد بالمهدي من المسلمات الإسلامية المتّفق عليها لدى كافة علماء المسلمين، والخلاف في بعض الأمور لا ينفي أصل المعتقد.

من هذه المنطلق نلاحظ أن النصوص النبوية وكذلك أحاديث أهل البيت عليهم السلام أظهرت حقائق ظهور وبروز التيارات الشكوكية، وتبنيها فكرة الشك في المهدي، والشك في أصل وجوده. وبيّنت توجيهات النبي ﷺ وإرشاداته وتوصياته للعالم الإسلامي ضرورة مواجهة تيار الشكوكيين المنحرفين بالتي هي أحسن، وعن طريق التباحث العلمي والمنطقي.

قال ﷺ: «ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك

بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلًا بشكّه، فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني»[١].

وفي حديث آخر يشير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى حيرة الأمم في قضية المهدي يقول: «تكون له غيبة وحيرة تضل فيه الأمم»[٢].

وفي رواية: «تكون له غيبة وحيرة حتى يضل الخلق عن أديانهم»[٣].

وحذّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته عن طريق وصيته لجابر من وقوع الشك في المهدي عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجابر: «يا جابر، إن هذا الأمر من أمر اللّه وسر من سر اللّه، مطوي عن عباده، فإياك والشك في أمر اللّه، فهو كفر»[٤].

وعن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال للحسين عليه السلام: «التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِكَ يَا حُسَيْنُ هُوَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، الْمُظْهِرُ لِلدِّينِ، الْبَاسِطُ لِلْعَدْلِ. قَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ فَقَالَ عليه السلام: إِي وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالنُّبُوَّةِ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ غَيْبَةٍ وَحَيْرَةٍ لَا تَثْبُتُ فِيهَا عَلَى دِينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ الْمُبَاشِرُونَ لِرَوْحِ الْيَقِينِ، الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ بِوَلَايَتِنَا، وَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ»[٥].

وقال الحسين بن علي عليه السلام: «له غيبة يرتدّ فيها أقوام، ويثبت على

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٥، حديث ١٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٨، حديث ١٣.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٨، حديث ١٦.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٥٩، حديث ١٨.
(٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١١، حديث ١٥.

الدين فيها آخرون»[١].

عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا عليه السلام أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: «إِذَا مَاتَ ابْنِي عَلِيٌّ بَدَا سِرَاجٌ بَعْدَهُ ثُمَّ خَفِيَ، فَوَيْلٌ لِلْمُرْتَابِ، وَطُوبَى لِلْعَرَبِ الْفَارِّ بِدِينِهِ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْدَاثٌ تَشِيبُ فِيهَا النَّوَاصِي، وَيَسِيرُ الصُّمُّ الصِّلَابُ.

بيان: سير الصم الصلاب كناية عن شدة الأمر وتغيّر الزمان، حتى كأن الجبال زالت عن مواضعها، أو عن تزلزل الثابتين في الدين عنه»[٢].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ قُدَامَةَ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ الْقَائِمَ إِذَا قَامَ يَقُولُ النَّاسُ: أَنَّى ذَلِكَ وَقَدْ بَلِيَتْ عِظَامُهُ؟!»[٣].

ويدلُّ هذا الحديث أن الشك وقع في بقائه حيًّا وإن آمنوا بولادته وغيبته.

سبل النجاة من الشك:

الطريق للتخلّص من الشك في المعتقدات الدينية وغير الدينية يأتي من خلال التباحث والحوار العلمي والمنطقي، والتجرّد من العصبيات والخلفيات الفكرية والسوابق غير المنطقية، بالإضافة إلى الأمور التالية:

أولًا: عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: يَا بَا خَالِدٍ، لَتَأْتِيَنَّ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ، أُولَئِكَ

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٢، حديث ٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٢٠، حديث ٣.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١٣، حديث ٢٠.

مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، يُنْجِيهِمُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ.

كَأَنِّي بِصَاحِبِكُمْ قَدْ عَلَا فَوْقَ نَجَفِكُمْ بِظَهْرِ كُوفَانَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، جَبْرَئِيلُ عَنْ يَمِينِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِهِ، وَإِسْرَافِيلُ أَمَامَهُ، مَعَهُ رَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَدْ نَشَرَهَا، لَا يَهْوِي بِهَا إِلَى قَوْمٍ إِلَّا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ عزوجل»[1].

ثانيًا: عَنِ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عزوجل وَأَعْلَمَهُمْ وَأَرْأَفَهُمْ بِالنَّاسِ مُحَمَّدٌ وَالْأَئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَادْخُلُوا أَيْنَ دَخَلُوا، وَفَارِقُوا مَنْ فَارَقُوا، أَعْنِي بِذَلِكَ حُسَيْنًا وَوُلْدَهُ عليهم السلام، فَإِنَّ الْحَقَّ فِيهِمْ، وَهُمُ الْأَوْصِيَاءُ، وَمِنْهُمُ الْأَئِمَّةُ، فَأَيْنَ مَا رَأَيْتُمُوهُمْ، فَإِنْ أَصْبَحْتُمْ يَوْمًا لَا تَرَوْنَ مِنْهُمْ أَحَدًا فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَانْظُرُوا السُّنَّةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا فَاتَّبِعُوهَا، وَأَحِبُّوا مَنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ، وَأَبْغِضُوا مَنْ كُنْتُمْ تُبْغِضُونَ، فَمَا أَسْرَعَ مَا يَأْتِيكُمُ الْفَرَجُ»[2].

ثالثًا: عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُوذَ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْكُمْ، قَالَ: نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ إِذَا خَفِيَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمٌ، مَأْمَنٌ وَأَمَانٌ، وَسِلْمٌ وَإِسْلَامٌ، وَفَاتِحٌ وَمِفْتَاحٌ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَى بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يُدْرَ أَيُّ مِنْ أَيٍّ أَظْهَرَ اللَّهُ عزوجل صَاحِبَكُمْ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عزوجل، وَهُوَ يُخَيِّرُ الصَّعْبَ عَلَى الذَّلُولِ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَأَيُّهُمَا يَخْتَارُ؟ قَالَ: يَخْتَارُ الصَّعْبَ عَلَى الذَّلُولِ.

بيان: «لم يدر أي من أي» لا يعرف أيهم الإمام، أو لا يتميزون في الكمال تميزًا بيّنًا؛ لعدم كون الإمام ظاهرًا بينهم. والصعب والذلول إشارة إلى السحابتين اللتين خيّر ذو القرنين بينهما، فاختار الذلول، وترك الصعب

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٣، حديث ٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٤، حديث ٢.

للقائم عليه السلام»[١].

رابعًا: عَنْ هَانِئٍ التَّمَّارِ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَةً، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ عَبْدٌ، وَلْيَتَمَسَّكْ بِدِينِهِ»[٢].

خامسًا: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنْ بَلَغَكُمْ عَنْ صَاحِبِكُمْ غَيْبَةٌ فَلَا تُنْكِرُوهَا»[٣].

سادسًا: عَنِ الْكَاهِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «تَوَاصَلُوا وَتَبَارُّوا وَتَرَاحَمُوا، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ وَقْتٌ لَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ لِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مَوْضِعًا، يَعْنِي لَا يَجِدُ لَهُ عِنْدَ ظُهُورِ الْقَائِمِ عليه السلام مَوْضِعًا يَصْرِفُهُ فِيهِ؛ لِاسْتِغْنَاءِ النَّاسِ جَمِيعًا بِفَضْلِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَلِيِّهِ. فَقُلْتُ: وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: عِنْدَ فَقْدِكُمْ إِمَامَكُمْ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ عَلَيْكُمْ كَمَا يَطْلُعُ الشَّمْسُ أَيْنَمَا تَكُونُونَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشَّكَّ وَالِارْتِيَابَ، انْفُوا عَنْ نُفُوسِكُمُ الشُّكُوكَ، وَقَدْ حُذِّرْتُمْ فَاحْذَرُوا، وَمِنَ اللَّهِ أَسْأَلُ تَوْفِيقَكُمْ وَإِرْشَادَكُمْ»[٤].

ابن أبي غانم يسوق تيار التشكيك:

قال ابن أبي غانم القزويني وجماعة: إن أبا محمد عليه السلام مضى ولا خلف له، ثم إنهم كتبوا في ذلك كتابًا وأنفذوه إلى الناحية، وأعلموه بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتابهم بخطه عليه وعلى آبائه السلام:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْفِتَنِ،

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٤، حديث ٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١١، حديث ١٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١٢، حديث ١٦.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١٢، حديث ١٨.

وَوَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ رُوحَ الْيَقِينِ، وَأَجَارَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ. إِنَّهُ أُنْهِيَ إِلَيَّ ارْتِيَابُ جَمَاعَةٍ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ، وَمَا دَخَلَهُمْ مِنَ الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ فِي وُلَاةِ أُمُورِهِمْ، فَغَمَّنَا ذَلِكَ لَكُمْ لَا لَنَا، وَسَاءَنَا فِيكُمْ لَا فِينَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا، وَلَا فَاقَةَ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ، وَالْحَقُّ مَعَنَا فَلَنْ يُوحِشَنَا مَنْ قَعَدَ عَنَّا، وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا. يَا هَؤُلَاءِ، مَا لَكُمْ فِي الرَّيْبِ تَتَرَدَّدُونَ، وَفِي الْحَيْرَةِ تَنْعَكِسُونَ؟! أَوَمَا سَمِعْتُمُ اللَّهَ عزوجل يَقُولُ: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**؟

أَوَمَا عَلِمْتُمْ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ مِمَّا يَكُونُ وَيُحَدَّثُ فِي أَئِمَّتِكُمْ عَنِ الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ مِنْهُمْ عليهم السلام؟ أَوَمَا رَأَيْتُمْ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَعَاقِلَ تَأْوُونَ إِلَيْهَا وَأَعْلَامًا تَهْتَدُونَ بِهَا مِنْ لَدُنْ آدَمَ عليه السلام إِلَى أَنْ ظَهَرَ الْمَاضِي عليه السلام؟ كُلَّمَا غَابَ عَلَمٌ بَدَا عَلَمٌ، وَإِذَا أَفَلَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبْطَلَ دِينَهُ، وَقَطَعَ السَّبَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ؟ كَلَّا، مَا كَانَ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَظْهَرَ أَمْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَهُمْ كَارِهُونَ»[1].

كذبة واهية بحجج هاوية:

وقد تمّ تصوير ما حدث من تراجع لبعض الأشخاص عن الخط الإمامي بشكل مضخّم من أجل القول: إن قضية الإمام المهدي عليه السلام لم تكن واضحة ويقينية. وقد عالج السيد محمد باقر الصدر هذه القضية حينما تعرّض لدعوى تفرُّق الشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام: «قالوا: إن الشيعة انقسموا وتفرّقوا إلى أربع عشرة فرقة في مسألة الإمام بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، وأن أمر الإمام المهدي لو كان واضحًا ومهمًّا وجزءًا من

(١) الغيبة، الطوسي، ص٢٨٥.

المذهب الجعفري لما جاز الاختلاف فيه، ولما أمكن أن يبقى أمره سرًّا غامضًا.

زعموا أن الروايات التي تتحدّث عن هوية الإمام المهدي ضعيفة وموضوعة ومختلفة، سواء منها ما يتعلّق باسم أمه، أم بتاريخ ولادته، أم بما لابس ولادته، أم بغيبته وسفرائه».

يقول الشهيد محمد باقر الصدر: «استدل بعضهم على نفي وجود الإمام المهدي وودلاته بقوله: إن الشيعة اختلفوا في المهدي وانقسموا -على حدِّ زعمه- إلى سبع عشرة فرقة بعد وفاة الحسن العسكري عليه السلام، وهذا يدل -بحسب زعمه- على عدم وجود الإمام.

ولعل من المناسب أن ننبّه إلى أن الاختلاف حول موضوع أو قضية أو شخص لا يستلزم العدم، إذ لو جرينا على هذا المنطق لما قامت عقيدة، ولا ثبت دين، ولا استقام شأن من الشؤون، فالاختلاف قائم دائم في العقائد، وفي التواريخ، وفي الشخصيات، وفي الحوادث الواقعة، وفي الفروع، وفي سائر الأمور. وقد تفرّق أبناء الفرقة الواحدة إلى فرق وطوائف واتجاهات وآراء كما حدث عند المعتزلة والخوارج والأشاعرة وغيرهم.. ثم ألم تسمع بما تناقله أهل الحديث من الرواية المشهورة وهي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «...وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

ونتساءل هنا: حول أي شيء كان الافتراق؟ وهل يستلزم ذلك نفي ما تفرقوا (فيه) لهذا السبب؟! وإذن لا تبقى عقيدة، ولا تسلم حقيقة، ولا يستقيم أمر بسبب وقوع الافتراق والانقسام في ذلك بحسب هذا المنطق.

والسؤال الأهم: ما هي هذه الفرق التي انقسم إليها الشيعة بعد وفاة

الإمام العسكري؟ وما هي تسمياتهم؟ ومن هم زعماء ورجال هذه الفرق المزعومة؟

لقد قال الشهرستاني في الملل والنحل: «وأما الذين قالوا بإمامة الحسن العسكري فافترقوا بعد موته إحدى عشرة فرقة، وليست لهم ألقاب مشهورة، ولكنا نذكر أقاويلهم».

وإذن فهو لا يعرف أسماءهم ولا رجالهم، وهم حسب زعمه إحدى عشرة فرقة. أما هؤلاء المقلدون الكذّابون من أمثال إحسان إلهي ومن تابعة أخيرًا فقد زادوا العدد فرقًا أخرى ليس لها اسم ولا رسم، حتى أوصلها أحد هؤلاء المفضوحين إلى سبع عشرة فرقة!! وأنَّى لهم بمعرفتها وهي من مختلقاتهم؟ ولذا لم يذكر أحد منهم زعيمًا أو رجلًا معروفًا في التاريخ من هذه (السبع عشرة) فرقة، بل ولم يجرؤ أحد هؤلاء المفترين على الشيعة أن يشير إلى مكان أو زمان وجودهم».

وعقَّب العلامة عبدالحسين شرف الدين في الفصول المهمة حول هذه الكذبة التي أطلقها الشهرستاني في مللله، فقال: «وليته أسند شيئًا من الأقاويل التي نقلها عن تلك الفرق إلى كتاب يُتلى أو شخص خلقه اللَّه تعالى! وليته أخبرنا عن بلاد واحدة من تلك الفرق أو زمانها أو اسمها! فباللَّه عليك، هل سمعت بفرق متخاصمة، ونحل آراؤها متعاركة لا يعرف لهم في الأحياء والأموات رجل ولا امرأة؟! ولا يوجد في الخارج لهم مسمّى ولا اسم؟!».

والظاهر أن أحدهم قد أدرك خطأه واشتباهه فقال أخيرًا: إني لم أرفض إمامًا ثبت وجوده من أهل البيت عليهم السلام، وإنما حصل عندي شك بولادة الإمام الثاني!! عشر. زاعمًا أن السبب هو عدم توفر الأدلة الكافية، أو تعدم

قناعته بالأدلة.

والسؤال الذي نثيره هنا هو: عن أي نوع من الأدلة يبحث هؤلاء؟ وهل هناك أدلة أقوى من إطباق الطائفة وعلماء الأمة ورواتها الثقات على مثل هذا الأمر، أعني ولادة الإمام الحجة ابن الحسن؟ إذ ليس هناك من سبيل إلى ثبوت مثل هذه الأمور إلَّا الخبر الصحيح، وتوفر الشواهد وقيام القرائن والمؤيدات من العقل والمنطق وقد ثبت من كل هذه الجهات».

خاتمة البحث:

من الأشياء التي تبعث على الحزن والألم أنه في زمن الغيبة نرى أناسًا يتلبّسون بلباس الدين يشكّكون بصاحب الزمان عليه السلام ليس فقط في ظهوره بل حتى في جوده.

بل من المؤسف أننا نجد موجة تشكيك اجتاحت مواقع التواصل، وتتلاقفها وتتلقاها عقول الشباب والشابات حتى وصل الحال بالبعض إلى التشكيك في أصل الدين، حيث نلحظ حسب تتبّع الثقات من الشباب المتديّن المتخصّص في شؤون التواصل، أن يتجرَّأ البعض في طرح قضايا دينية عقائدية -ومنها مسألة المهدي- من دون أن يكون لديه خلفية علمية، بالإضافة إلى افتقاد الأطروحات المنهجية العلمية، مع أننا نؤيّد الطرح العقلائي الذي يكون مبعثه وغاياته المعرفة، وأن الحوار والمناقشة في قضايا الدين والعقيدة ليست حكرًا على العلماء المتخصّصين في شؤون الدين، إلَّا أننا -أيضًا- ندعو إلى التعقّل والعلمية في الطرح، والذهاب إلى المتخصّصين في قضايا العقيدة وشؤونها ليكون مؤدَّى البحث والحوار التحاكم إلى العلم والمعرفة والحق؛ لأن هذا يعدّ من الآداب الأخلاقية لدى كل علماء العالم.

وإلَّا فإن «التشكيك بأي فكرة أو عقيدة هو من أسهل الأمور الفكرية. وإن قدرة شخص ما على حشر عدد كبير من التشكيكات ليس دليلًا على علميته، وبالتالي ليس دليلًا على وهن الفكرة المشكّك بها، والعبرة في ذلك تبقى دومًا في قدرة التشكيك على نقض الفكرة منطقيًّا، فمن السهولة بمكان أن تشكّك بفكرة وجود اللَّه، وأن تحشر بين يدي عملية التشكيك هذه مجموعة من أشباه الأفكار، ولكن من المتّفق عليه علميًّا أن ذلك لا يقيمة له في قبال عدم تمكّن عملية التشكيك هذه في نقض الدليل الفكري المقدّم لإثبات فكرة وجود اللَّه»[1].

إن شبهات اليوم تطرح من العامة وتُثار بأوساط المجتمعات وتبدأ تشكّك في وجود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووجود أهل البيت عليهم السلام والإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، وهذا يؤلم المؤمن الموالي لأهل البيت عليهم السلام، وهو يرى هذا الجو العام.

لقد «استغل بعض أهل الأهواء عقيدة المسلمين بحتمية ظهور الإمام المهدي عليه السلام، فقد رأوا إجماع المسلمين على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشّر العالم بأن اللَّه تعالى قدَّر وقضى أن ينهي الظلم على الأرض، ويُقيم دولة العدل الكاملة الشاملة، على يد المهدي الموعود من ذريته عليهم السلام.. فسوّلت له نفسه الشيطانية واستغل البشارة النبوية، وادّعى أنه المهدي الموعود، أو رسوله، أو ابنه... إلخ.

حدث ذلك وما زال في الحجاز والشام ومصر وإفريقيا والمغرب وغيرها. أما العراق فكان نصيبه أكثر من غيره؛ لأن المسلمين أجمعوا على أنه

(١) الولاية التكوينية، جلال الصغير، ص٧١.

سيكون عاصمة الإمام المهدي عجل الله فرجه وقاعدة دولته العالمية، فاستهوى ذلك أعداء الدين ودفعوا بعض الكذَّابين إلى ادّعاء المهدوية أو السفارة والوكالة عن الإمام المهدي»[1].

ما أنت فاعل بقائل لك: جئتك برسالة من الحجة؟!

اليوم مظاهر وادّعاءات كثيرة في شأن القضية المهدوية، وإشكال وألوان من التشكيكات.

قال الشيخ الكوراني: زراني حيدر مشتت في قم، محاولًا كسب تأييدي لادّعائه بأنه اليماني الموعود، مع أن اليماني يظهر في اليمن، وليس في العراق.

قال لي: جئت برسالتين، واحدة لك والثانية للسيد القائد!

سألته: ممَّن الرسالة؟ قال: من الإمام صاحب الزمان عليه السلام.

جمعت نفسي وتوجّهت إليه قائلًا: يا شيخ حيدر، هل أنت متأكد.

قال: نعم.

قلت له: لا تستعجل.. فإني أسألك: هل أنت التقيت بالإمام المهدي صلوات اللَّه عليه، الإمام الحجة بن الحسن، التاسع من ذرية الحسين عليه السلام، الذي بشّر به جدّه المصطفى عليه السلام، وذخره اللَّه تعالى ليملأ به الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.. هل أنت التقيت به وكتب لي رسالة، وأمرك أن توصلها لي؟

(١) فعاليات صهيونية، محمد علي نصر الدين، ص٣.

قال: نعم!

فشرحت له ونصحته، ورويتُ له قصة الحلَّاج كيف ادّعى السفارة عن الإمام عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وكتب إلى والد الشيخ الصدوق قدس سره في قم يدعوه إلى الإيمان به، وكيف أجابه، ثم جاء الحلَّاج إلى قم، فوبّخه ونفاه من المدينة.

وختمت بقولي: أعتذر عن استلام رسالتكّ وما دمت التقيت بالإمام عليه السلام وكلفك بإيصال رسالة لي، فقل له: إن فلانًا رفض أن يستلم الرسالة حتى يرى معجزة، تكون دليلًا على صدقي وصدق الرسالة.

فبادر حيدر قائلًا: حسنًا، ماذا تريد معجزة؟

قلت له: نفس المعجزة التي طلبها والد الصدوق رحمه الله من الحلَّاج، أن يعيد لحيتي البيضاء، بلونها عندما كنت شابًّا.

فسكت مدة، ثم قال: حسنًا، هل تقبل أن ترى منامًا الليلة؟

قلت له: كلَّا، ولا عشرين منامًا! فهل نأخذ ديننا يا شيخ حيدر من المنامات؟ إن دين اللَّه أعز من أن يؤخذ من منام، بل يحتاج إلى دليل برهاني منطقي تخضع له العقول، ومعجزة واضحة تخضع لها الأعناق.

قال الإمام عليه السلام: «إن للَّه على الناس حجّتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة. فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول».

فسكت حيدر مدة، ثم نهج مودّعًا: في أمان اللَّه»[1].

(١) فعاليات صهيونية، ص١٨.

توقيع[1] من الناحية المقدَّسة:

وهناك الحادثة تشير إلى هذا المعنى ذكرها علماؤنا في كتبهم، تقول: أنه وقع خلاف في أمر وجود القائم عليه السلام، وتفاقم هذا الخلاف، وبعد التسليم بوجوده اتفقوا أن يرسلوا إليه رسالة للإجابة على هذا الخلاف، وفي هذا إشارة إلى مسألة مهمة هي أن الأرض لا تخلو من حجة منذ خلق اللَّه آدم إلى يومنا هذا، بل إلى قيام الساعة.

وجاء في الجواب: «فلما قبضه اللَّه إليه (إشارة إلى والد الإمام العسكري) ظننتم أن اللَّه تعالى أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه».

إشارة للمشككين: أنتم تتصورون أنه لما قضى العسكري عليه السلام انتهى الدين. «كلَّا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة، ويظهر أمر اللَّه سبحانه وهم كارهون، وإن الماضي (يعني والده) مضى سعيدًا فقيدًا على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النعل بالنعل، وفينا وصيته وعلمه (إشارة لنفسه).

ومنه خلفه ومن يسد مسدّه، لا ينازعنا موضعه إلَّا ظالم آثم، ولا يدّعيه دوننا إلَّا جاحد كافر، ولو أن أمر اللَّه لا يغلب، وسره لا يظهر ولا يعلن، لظهر

(١) المراد من التوقيع هنا خصوص التوقيعات الصادرة عن الإمام المهدي لشيعته لبيان أمر من الأمور أو جوابًا لسؤال يرفع في رقعة إلى الإمام المهدي عن طريق سفرائه، أو أن الإمام المهدي يرسل التوقيع دون سؤال من أحد، وفي الأعم الأغلب تكون موجّهًا إلى سفراء الإمام المهدي أو أحد وكلائه، وهناك بعض التوقيعات صدرت من الإمام في الغيبة الكبرى كما في التوقيعين الصادرين إلى الشيخ المفيد. وقد اختلف علماء الحديث والفقه في حجية التوقيعات المكتوبة، فقد ناقش بعض العلماء في حجيتها، كما ويفهم من كلام البعض الآخر أنهم لا يرون للتوقيعات أهمية أكثر من الحديث الشفاهي.
ومن أقدم الإشكالات الواردة على المكاتبة ما أورده الشيخ الطوسي، فبعد نقله لإحدى المكاتبات علّق عليها بأن المكاتبات الواردة ليست كلها صحيحة، وقد أجيب على هذا الإشكال بأن أصحاب الأئمة الأطهار يعرفون خطهم وكتابتهم وليس من الصعوبة عليهم أن يعرفوا أن هذه الكتابة صادرة منهم أو لا.

لكم من حقنا ما تبر منه عقولكم، ويزيل شكوكم، لكنه ما شاء اللَّه كان، ولكل أجل كتاب.

(ثم يوصيهم الإمام) فاتقوا اللَّه، وسلّموا لنا، وردّوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غُطّي عنكم، ولا تميلوا عن اليمين وتعدلوا إلى الشمال».

وهذا الكلام يوجّهه لشيعته الذين شكّكوا في زمن الغيبة الصغرى إلى يومنا هذا، فالإنسان يحتاج أن يثبت على عقيدته بوعي.

وقد ورد في رواية أن بعض الناس قد يصل به الحال إلى أنه يقول: لا مهدي، عندما تطول الغيبة. لذا يقول الحجة عليه السلام:

«وَاجْعَلُوا قَصْدَكُمْ إِلَيْنَا بِالْمَوَدَّةِ عَلَى السُنَّةِ الْوَاضِحَةِ، فَقَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَاهِدٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، وَلَوْلَا مَا عِنْدَنَا مِنْ مَحَبَّةِ صَلَاحِكُمْ وَرَحْمَتِكُمْ وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْكُمْ لَكُنَّا عَنْ مُخَاطَبَتِكُمْ فِي شُغُلٍ مِمَّا قَدِ امْتُحِنَّا مِنْ مُنَازَعَةِ الظَّالِمِ الْعُتُلِّ الضَّالِّ الْمُتَابِعِ فِي غَيِّهِ الْمُضَادِّ لِرَبِّهِ الْمُدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ».

ويقول عليه السلام: «وَفِي ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِي أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، وَسَيُرْدِي الْجَاهِلَ رِدَاءُ عَمَلِهِ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ».

ثم يدعو الإمام عليه السلام: «عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمَهَالِكِ وَالْأَسْوَاءِ وَالْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ كُلِّهَا بِرَحْمَتِهِ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَكَانَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِيًّا وَحَافِظًا».

ثم يُسلّم عليه السلام: «وَالسَّلَامُ عَلَى جَمِيعِ الْأَوْصِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا».

ظلمات الظلم قبل الظهور

قال ﷺ: «إن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجًا ومرجًا، وتظاهرت الفتن، وتقطَّعت السُّبُل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيرًا، ولا صغير يوقّر كبيرًا، فيبعث اللَّه ﷻ عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة، ويحيي قلوبًا غُلْفًا، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمتُ به في أول الزمان، ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا»[1].

سنشير بشكل سريع إلى الظواهر الاجتماعية التي يرتبط بعضها بالاختلاف الواقع في الأمة، وبعضها يتعلّق بالنظام الاجتماعي وأخلاق الناس، وأخرى بضعف الوازع الديني، وما يتعلّق بالواقع الاقتصادي من فقر وغلاء.

وليس لنا طريق لهذه العلامات إلَّا الروايات، فما ورد عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من أحاديث يؤشّر إلى أنه هناك ظواهر وعلامات ستحصل يتبيَّن من خلالها أن الإمام الحجة عجل الله فرجه قد اقترب ظهوره. وانتشار الظلم هو من العلامات الحتمية حيث «الأخبار التي تحدثت عن علامات ظهوره، فبعضها حتمي لا بد أن يتحقّق على مسرح الحياة، وبعضها غير حتمي، ونعرض إلى الجهة الأولى وهي العلامات الحتمية.

(١) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج٥، ص ٢٢٢.

فقد أجمعت الأخبار على ضرورة تحقُّق بعض العلامات قبل ظهور الإمام عليه السلام، منها انتشار الظلم. فمن العلامات البارزة لخروج الإمام المهدي عليه السلام انتشار الظلم، وشيوع الجور، وانعدام الأمن والاستقرار، حتى تصبح الحياة قاتمة مليئة بالأحداث والخطوب، ويعيش الإنسان على أعصابه من كثرة ما يعانيه من الخوف والإرهاب، وقد خيَّمت على المجتمع الإنساني الحياة الجاهلية بآثامها وشرورها، وتسابق الناس إلى المنكر حتى عاد بينهم معروفًا، أما الإسلام فإنه يعود غريبًا كما بدأ، قد جمدت طاقاته، وأجهزت عليه الدول الكبرى الظالمة التي تُرغم الناس على ما يكرهون، والتي تستغل ثروات المسلمين، وتنهب إمكانياتهم الاقتصادية، وتجعلهم تحت مناطق نفوذها»[1].

هذه الظواهر ستسبق ظهور الإمام عجل الله فرجه. وربما يقول البعض: هناك إرهاصات من هذه الظواهر من خلال ما يرصده الإنسان في واقع المسلمين بشكل خاص والعالم بشكل عام.

لم يقل: بعد أن تُملأ الأرض كفرًا وضلالًا:

يجب التنبُّه إلى أن انتشار الظلم في كل بقاع العالم لا يتنافى مع وجود ظاهرة انتشار الإسلام، حيث قد تعاني البشرية في الفضاء الاجتماعي والإنساني مع وجود تطور فكري بمستوى معيّن، يقول المرجع المرحوم السيد محمد الشيرازي:

«الحديث المبارك يقول: «الإمام المهدي يظهر بعد ما ملئت الأرض ظلمًا وجورًا»، ما قال: بعد أن تُملأ الأرض كفرًا وضلالًا أبدًا؛ ولذا أنا رأيت

(١) حياة الإمام المهدي، باقر شريف القرشي، ص٢٤٧.

حديثًا، والحديث موجود في كتاب يُسمَّى بتباشير المحرورين، في هذا الكتاب يروي حديثًا عن الإمام الصادق، يقول الحديث: إن الإمام المهدي يتلقَّى الحكومة من حكومة إسلامية جعفرية. بهذا اللفظ في كتاب تباشير المحرورين، وهو كتاب مطبوع ما يقارب مائتين صفحة أو ما أشبه، لأحد علمائنا الكبار، واسمه الشيخ محمد اليزدي[١].

تكليفنا اليوم هو تهيئة الجو لظهوره، فكلما بلغت أكثر، وأنفقت أكثر، وأتعبت نفسك أكثر، كان هذا تهيئةً لمجيء الإمام المهدي... إنني شخصيًّا أحتمل -تعليقًا على هذا الكلام- أن الإمام المهدي في وقت يظهر حتى الهند والصين والغرب والشرق كلهم مسلمون، إلَّا أنه يجب أن يكون الإمام المهدي في وقتٍ المستوى الفكري وصل لمنتهاه، وإنما لا يقدر الناس فوق ذلك إلَّا بسبب الإمام المهدي»[٢].

الطعن والطاعون قبل الظهور:

هناك مجموعة من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام تبيّن حدوث اختلاف شديد واختلال في النظام العام يسبق الظهور.

عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «لا يقوم القائم إلَّا على خوف شديد من الناس، وزلزال[٣] وفتنة وبلاء يصيب الناس، وطاعون[٤] قبل ذلك،

(١) الشيخ محمد بن إسماعيل الواعظ اليزدي الحائري، المتوفَّى سنة ١٩١٩/ ١٣٣٧هـ، فاضل، معروف بغزارة علمه، كان من القُرَّاء الذاكرين الذين يُشار إليهم بالبنان.
(٢) تسجيل صوتي.
(٣) الزلزل: الاضطراب، من خطبة لعلي عليه السلام: حيارى في زلزل من الأمر.
(٤) الطاعون ليس بالضرورة مرض الطاعون بل قد يكون وباء آخر، ففي الزمان الماضي كان الطاعون يفتك بالناس، فالإشارة هنا بالطاعون دلالة على الأمراض الوبائية.

وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد في الناس، وتشتُّت في دينهم، وتغيُّر في حالهم، حتى يتمنَّى المُتمنِّي الموت صباحًا ومساءً، من عظم ما يرى من كَلَب الناس وأكل بعضهم بعضًا، فخروجه عليه السلام إذا خرج يكون عند الإياس والقنوط، فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره، والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره»[١].

وقد تكون هناك مصاديق اليوم لهذه الأمور، ولكن اكتمال هذه الظواهر تمهيدًا لخروج الحجة عجل الله فرجه يحتاج وقتًا.

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الفواجع والمظاهر السلبية واختلال الموازين التي ستحصل قبل ظهور الحجة عجل الله فرجه، فعن الضحاك بن مزاحم، عن النزال بن سبرة قال: «خطبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فحمد اللَّه عز وجل وأثنى عليه، وصلَّى على محمد وآله، ثم قال: سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني -ثلاثا -.

فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال: يا أمير المؤمنين، متى يخرج الدجال؟[٢] فقال له علي عليه السلام: اقعد، فقد سمع اللَّه كلامك، وعلم ما أردت. واللَّه، ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضًا كحذو النعل بالنعل، وإن شئت أنبأتك بها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

---

(١) الغيبة للنعماني، ص ٢٣٥.

(٢) الدجال عندنا يهودي يقوم بحركة مضادَّة للإمام المهدي عجل الله فرجه بعد ظهوره وإقامته للدولة العالمية ونزول عيسى عليه السلام. وأتباعه اليهود والنواصب. ويظهر أنه يستفيد من تطوّر العلوم والرخاء الذي يحقّقه الإمام، فيستعمل الدجل والشعوذة والسحر، ويدَّعي الربوبية. مركز الأبحاث العقائدية.

فقال عليه السلام: احفظ، فإن علامة ذلك: إذا أمات الناس الصلاة[١]، وأضاعوا الأمانة، واستحلُّوا الكذب، وأكلوا الرِّبا، وأخذوا الرّشا[٢]، وشيَّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء[٣]، وقطعوا الأرحام، واتَّبعوا الأهواء، واستخفوا بالدماء، وكان الحلم ضعفًا، والظلم فخرًا، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء[٤] خونة، والقُرَّاء فسقة، وظهرت شهادة الزور، واستُعلن الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان»[٥].

وتدل هذه المؤشِّرات على فقدان التوازن الإنساني والاجتماعي، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ورأيت قلوب الناس قد قست، وجمدت

(١) أي تركوا الصلاة، وفعلاً اليوم قسم من الناس لا يصلّون، وانظر على المستوى الإسلامي نسبة الشباب الذين لا يصلّون، ومن يصلّي ربما حاله «وربّ واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة، فمن ينظر إليه يراه قائمًا بين يدي اللَّه عزّ وجلّ، وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته».

(٢) قلَّما تستعمل الرشوة إلاَّ فيما يُتوصل به إلى إبطال حق أو تمشية باطل، وعن المصباح: هي ما يُعطيه الشخص للحاكم أو غيره ليحكم له، أو يحمله على ما يريد.

(٣) ورد النهي في بعض الروايات عن مشاورة النساء والعبيد، وهو محمول على الكراهة.
ويمكن القول بارتفاع الكراهة إذا اتَّصفا بالصفات الإيجابية المتقدمة، بأن كانت المرأة عاقلة متدينة، عارفة بالأمور، حافظة للسر، ولم تكن بخيلة أو جبانة أو حريصة، وكذا العبد.
وقد تقدم أنه روى الحسن بن جهم، فقال: «كنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فذكر أباه عليه السلام فقال: كان عقله لا توازن به العقول، وربما شاور الأَسْوَد من سُودانه، فقيل له: تشاور مثل هذا؟! فقال: إن اللَّه تبارك وتعالى ربما فتح على لسانه، قال: فكانوا ربما أشاروا عليه بالشيء فيعمل به من الضيعة والبستان». الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ج٢، ص٣١٣.

(٤) العرفاء هم رؤساء الأجناد وقُوَّادهم، ولعلهم سُمُّوا بذلك لأن بهم يُتعرَّف أحوال الجيش.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٥٢٥ - ٥٢٦.

أعينهم، وثقُل الذكر عليهم[١]، ورأيت السُّحت قد ظهر يتنافس فيه، ورأيت المصلي إنما يصلي ليراه الناس، ورأيت الفقيه يتفقّه لغير الدين يطلب الدنيا والرئاسة، ورأيت الناس مع من غلب»[٢].

الوازع الديني غائب أم غُيِّب:

من أصعب الأمور على المفكّرين والمحلّلين والناقدين من علماء الاجتماع والسياسة كذلك، قراءة الواقع كما هو، والتنبُّؤ بالمستقبل، وبناء تصوّر يحدّد الحقائق، ويُحذّر من الوقوع في المشكلات التي عادةً ما تقع فيها الشعوب والأمم، إلَّا أن هذه الصعوبة تذللت لدى المعصوم، كونه القائد في أمته والحريص على بنائها، حيث إنه يرى أن الأمة الإسلامية يجب أن تكون قدوة لجميع الأمم والشعوب؛ لذا نرى الوصايا والنصائح والمواعظ من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك خلفائه من أهل بيته المعصومين، حيث قدّموا قراءة واقعية للأمة لحاضرها ومستقبلها، وبيّنوا المخاطر المحدقة من الداخل الإسلامي والخارج، والسبل الكفيلة للتخلّص من تلك المشكلات المختلفة، والتي تعدّ نقاط ضعف للأمة.

ومن تلك النصوص ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم -إشارة إلى آخر الزمان الذي يضعف فيه الوازع الديني عند الناس، وتتلاشى الأعراف الدينية-: «سَيَجِيءُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ، تَكُونُ وُجُوهُهُمْ وُجُوهَ الْآدَمِيِّينَ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبَ الشَّيَاطِينِ، أَمْثَالُ الذِّئَابِ الضَّوَارِي، لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الرَّحْمَةِ،

(١) أي لا دموع ولا بكاء ولا عاطفة. وثقل الذكر عليهم أي يصعب عليه أن يقول: اللَّه أكبر، ويصعب عليه أن يصلي على محمد وآل محمد، وبعض الناس لا يقبل أن يسمع اسم اللَّه وذكره.

(٢) الكافي (ط - دار الحديث)، ج١٥، ص ١١٤.

سَفَّاكُونَ لِلدِّمَاءِ، لَا يَزِعُونَ قَبِيحًا، إِنْ تَابَعْتَهُمْ وَارَبُوكَ، وَإِنْ تَوَارَيْتَ عَنْهُمُ اغْتَابُوكَ، وَإِنْ حَدَّثُوكَ كَذَّبُوكَ، وَإِنْ أَمِنْتَهُمْ خَانُوكَ، صَبُّهُمْ عَارِمٌ، وَشَابُّهُمْ شَاطِرٌ، وَشَيْخُهُمْ لَا يَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ، الِاعْتِزَازُ بِهِمْ ذُلٌّ، وَطَلَبُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ فَقْرٌ، الْحَلِيمُ فِيهِمْ غَاوٍ، وَالْآمِرُ بِالْمَعْرُوفِ فِيهِمْ مُتَّهَمٌ، الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ مُسْتَضْعَفٌ، وَالْفَاسِقُ فِيهِمْ مُشْرِفٌ، السُّنَّةُ فِيهِمْ بِدْعَةٌ، وَالْبِدْعَةُ فِيهِمْ سُنَّةٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ، وَيَدْعُو أَخْيَارَهُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، وَشَهِدَ الْآخَرُ قَضَاءً لِذِمَامٍ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ عَرَفَهُ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَآثَرُوا عَمَلَ الدُّنْيَا عَلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَبِسُوا جُلُودَ الضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذِّئَابِ، وَقُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيَفِ، وَأَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ»[٢].

وفي الرواية عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، جَمِيعًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ حُمْرَانَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام، وَذُكِرَ هؤُلَاءِ عِنْدَهُ، وَسُوءُ حَالِ الشِّيعَةِ عِنْدَهُمْ، فَقَالَ:

«إِنِّي سِرْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وَهُوَ فِي مَوْكِبِهِ، وَهُوَ عَلى فَرَسٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَيْلٌ، وَمِنْ خَلْفِهِ خَيْلٌ، وَأَنَا عَلى حِمَارٍ إِلى جَانِبِهِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْرَحَ بِمَا أَعْطَانَا اللَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ، وَفَتَحَ لَنَا مِنَ الْعِزِّ، وَلَا تُخْبِرَ النَّاسَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِهذَا الْأَمْرِ مِنَّا وَأَهْلَ بَيْتِكَ، فَتُغْرِيَنَا بِكَ وَبِهِمْ».

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، ج٦، ص٢٢٧، حديث ٦٢٥٩.
(٢) الخرائج والجرائح، ج٣، ص ١١٣٤.

قَالَ: «فَقُلْتُ: وَمَنْ رَفَعَ هذَا إِلَيْكَ عَنِّي فَقَدْ كَذَبَ، فَقَالَ [لِي]: أَ تَحْلِفُ عَلى مَا تَقُولُ؟».

قَالَ: «فَقُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ سَحَرَةٌ، يَعْنِي يُحِبُّونَ أَنْ يُفْسِدُوا قَلْبَكَ عَلَيَّ، فَلَا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ سَمْعِكَ؛ فَإِنَّا إِلَيْكَ أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَيْنَا.

فَقَالَ [لِي]: تَذْكُرُ يَوْمَ سَأَلْتُكَ: هَلْ لَنَا مُلْكٌ؟ فَقُلْتَ: نَعَمْ، طَوِيلٌ عَرِيضٌ شَدِيدٌ، فَلَا تَزَالُونَ فِي مُهْلَةٍ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَفُسْحَةٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ، حَتّى تُصِيبُوا مِنَّا دَمًا حَرَامًا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ؟

فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ حَفِظَ الْحَدِيثَ، فَقُلْتُ: لَعَلَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَكْفِيَكَ، فَإِنِّي لَمْ أَخُصَّكَ بِهذَا، وَإِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ رَوَيْتُهُ، ثُمَّ لَعَلَّ غَيْرَكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ [أن] يَتَوَلّى ذلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلى مَنْزِلِي، أَتَانِي بَعْضُ مَوَالِينَا، فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي مَوْكِبِ أَبِي جَعْفَرٍ، وَأَنْتَ عَلى حِمَارٍ وَهُوَ عَلى فَرَسٍ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَيْكَ يُكَلِّمُكَ كَأَنَّكَ تَحْتَهُ؟!

فَقُلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: هذَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ، وَصَاحِبُ هذَا الْأَمْرِ الَّذِي يُقْتَدى بِهِ، وَهذَا الْآخَرُ يَعْمَلُ بِالْجَوْرِ، وَيَقْتُلُ أَوْلَادَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ فِي الْأَرْضِ بِمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَهُوَ فِي مَوْكِبِهِ وَأَنْتَ عَلى حِمَارٍ، فَدَخَلَنِي مِنْ ذلِكَ شَكٌّ، حَتّى خِفْتُ عَلى دِينِي وَنَفْسِي».

قَالَ: «فَقُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ حَوْلِي وَبَيْنَ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَاحْتَقَرْتَهُ، وَاحْتَقَرْتَ مَا هُوَ فِيهِ.

فَقَالَ: الْآنَ سَكَنَ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: إِلى مَتى هؤُلَاءِ يَمْلِكُونَ؟ أَوْ مَتَى الرَّاحَةُ مِنْهُمْ؟

فَقُلْتُ: أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً؟

قَالَ: بَلى، فَقُلْتُ: هَلْ يَنْفَعُكَ عِلْمُكَ أَنَّ هذَا الْأَمْرَ إِذَا جَاءَ كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ الْعَيْنِ، إِنَّكَ لَوْ تَعْلَمُ حَالَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ هِيَ كُنْتَ لَهُمْ أَشَدَّ بُغْضًا، وَلَوْ جَهَدْتَ أَوْ جَهَدَ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْ يُدْخِلُوهُمْ فِي أَشَدِّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ، لَمْ يَقْدِرُوا، فَلَا يَسْتَفِزَّنَّكَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ ﴿**وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾.

أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنِ انْتَظَرَ أَمْرَنَا، وَصَبَرَ عَلى مَا يَرى مِنَ الْأَذى وَالْخَوْفِ هُوَ غَدًا فِي زُمْرَتِنَا، فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَقَّ قَدْ مَاتَ وَذَهَبَ أَهْلُهُ، وَرَأَيْتَ الْجَوْرَ قَدْ شَمِلَ الْبِلَادَ، وَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ خَلُقَ وَأُحْدِثَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، وَوُجِّهَ عَلَى الْأَهْوَاءِ، وَرَأَيْتَ الدِّينَ قَدِ انْكَفَأَ كَمَا يَنْكَفِئُ الْمَاءُ، وَرَأَيْتَ أَهْلَ الْبَاطِلِ قَدِ اسْتَعْلَوْا عَلى أَهْلِ الْحَقِّ، وَرَأَيْتَ الشَّرَّ ظَاهِرًا لَايُنْهى عَنْهُ وَيُعْذَرُ أَصْحَابُهُ، وَرَأَيْتَ الْفِسْقَ قَدْ ظَهَرَ، وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ.

وَرَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ صَامِتًا لَايُقْبَلُ قَوْلُهُ، وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ يَكْذِبُ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ كَذِبُهُ وَفِرْيَتُهُ، وَرَأَيْتَ الصَّغِيرَ يَسْتَحْقِرُ الْكَبِيرَ، وَرَأَيْتَ الْأَرْحَامَ قَدْ تَقَطَّعَتْ، وَرَأَيْتَ مَنْ يَمْتَدِحُ بِالْفِسْقِ يَضْحَكُ مِنْهُ، وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ.

وَرَأَيْتَ الْغُلَامَ يُعْطِي مَا تُعْطِي الْمَرْأَةُ، وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ يَتَزَوَّجْنَ النِّسَاءَ، وَرَأَيْتَ الثَّنَاءَ قَدْ كَثُرَ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُنْفِقُ الْمَالَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا يُنْهى وَلَا يُؤْخَذُ عَلى يَدَيْهِ.

وَرَأَيْتَ النَّاظِرَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِمَّا يَرَى الْمُؤْمِنَ فِيهِ مِنَ الاجْتِهَادِ، وَرَأَيْتَ الْجَارَ يُؤْذِي جَارَهُ وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ، وَرَأَيْتَ الْكَافِرَ فَرِحًا لِمَا يَرى فِي الْمُؤْمِنِ مَرِحًا لِمَا يَرى فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ.

وَرَأَيْتَ الْخُمُورَ تُشْرَبُ عَلَانِيَةً، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا مَنْ لَايَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَأَيْتَ الْآمِرَ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِيلًا، وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ فِيمَا لَايُحِبُّ اللَّهُ قَوِيًّا مَحْمُودًا، وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الْآيَاتِ يُحَقَّرُونَ وَيُحْتَقَرُ مَنْ يُحِبُّهُمْ، وَرَأَيْتَ سَبِيلَ الْخَيْرِ مُنْقَطِعًا، وَسَبِيلَ الشَّرِّ مَسْلُوكًا.

وَرَأَيْتَ بَيْتَ اللَّهِ قَدْ عُطِّلَ وَيُؤْمَرُ بِتَرْكِهِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ مَا لَايَفْعَلُهُ، وَرَأَيْتَ الرِّجَالَ يَتَسَمَّنُونَ لِلرِّجَالِ، وَالنِّسَاءَ لِلنِّسَاءِ.

وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ مَعِيشَتُهُ مِنْ دُبُرِهِ، وَمَعِيشَةُ الْمَرْأَةِ مِنْ فَرْجِهَا، وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ يَتَّخِذْنَ الْمَجَالِسَ كَمَا يَتَّخِذُهَا الرِّجَالُ، وَرَأَيْتَ التَّأْنِيثَ فِي وُلْدِ الْعَبَّاسِ قَدْ ظَهَرَ، وَأَظْهَرُوا الْخِضَابَ، وَامْتَشَطُوا كَمَا تَمْتَشِطُ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا، وَأَعْطَوُا الرِّجَالَ الْأَمْوَالَ عَلَى فُرُوجِهِمْ، وَتُنُوفِسَ فِي الرَّجُلِ، وَتَغَايَرَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ، وَكَانَ صَاحِبُ الْمَالِ أَعَزَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ.

وَكَانَ الرِّبَا ظَاهِرًا لَايُغَيَّرُ، وَكَانَ الزِّنَا تُمْتَدَحُ بِهِ النِّسَاءُ، وَرَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تُصَانِعُ زَوْجَهَا عَلَى نِكَاحِ الرِّجَالِ، وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ النَّاسِ وَخَيْرَ بَيْتٍ مَنْ يُسَاعِدُ النِّسَاءَ عَلَى فِسْقِهِنَّ، وَرَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ مَحْزُونًا مُحْتَقَرًا ذَلِيلًا، وَرَأَيْتَ الْبِدَعَ وَالزِّنَا قَدْ ظَهَرَ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَعْتَدُّونَ شَهَادَةَ الزُّورِ، وَرَأَيْتَ الْحَرَامَ يُحَلَّلُ، وَرَأَيْتَ الْحَلَالَ يُحَرَّمُ.

وَرَأَيْتَ الدِّينَ بِالرَّأْيِ، وَعُطِّلَ الْكِتَابُ وَأَحْكَامُهُ، وَرَأَيْتَ اللَّيْلَ لَايُسْتَخْفَى بِهِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ، وَرَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ إِلَّا بِقَلْبِهِ، وَرَأَيْتَ الْعَظِيمَ مِنَ الْمَالِ يُنْفَقُ فِي سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَأَيْتَ الْوُلَاةَ يُقَرِّبُونَ أَهْلَ الْكُفْرِ، وَيُبَاعِدُونَ أَهْلَ الْخَيْرِ، وَرَأَيْتَ الْوُلَاةَ يَرْتَشُونَ فِي الْحُكْمِ، وَرَأَيْتَ الْوِلَايَةَ قَبَالَةً لِمَنْ زَادَ، وَرَأَيْتَ ذَوَاتِ الْأَرْحَامِ يُنْكَحْنَ وَيُكْتَفَى بِهِنَّ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُقْتَلُ عَلَى التُّهَمَةِ وَعَلَى الظِّنَّةِ، وَيَتَغَايَرُ عَلَى الرَّجُلِ الذَّكَرِ، فَيَبْذُلُ لَهُ

نَفْسَهُ وَمَالَهُ.

وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُعَيَّرُ عَلى إِتْيَانِ النِّسَاءِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ امْرَأَتِهِ مِنَ الْفُجُورِ، يَعْلَمُ ذلِكَ وَيُقِيمُ عَلَيْهِ.

وَرَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَقْهَرُ زَوْجَهَا، وَتَعْمَلُ مَا لَايَشْتَهِي، وَتُنْفِقُ عَلى زَوْجِهَا، وَرَأَيْتَ الرَّجُل يُكْرِي امْرَأَتَهُ وَجَارِيَتَهُ، وَيَرْضى بِالدَّنِيِّ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَرَأَيْتَ الْأَيْمَانَ بِاللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- كَثِيرَةً عَلَى الزُّورِ، وَرَأَيْتَ الْقِمَارَ قَدْ ظَهَرَ، وَرَأَيْتَ الشَّرَابَ يُبَاعُ ظَاهِرًا لَيْسَ لَهُ مَانِعٌ، وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ يَبْذُلْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِاهْلِ الْكُفْرِ، وَرَأَيْتَ الْمَلَاهِيَ قَدْ ظَهَرَتْ يُمَرُّ بِهَا لَايَمْنَعُهَا أَحَدٌ أَحَدًا، وَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ عَلى مَنْعِهَا.

وَرَأَيْتَ الشَّرِيفَ يَسْتَذِلُّهُ الَّذِي يُخَافُ سُلْطَانُهُ، وَرَأَيْتَ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ الْوُلَاةِ مَنْ يَمْتَدِحُ بِشَتْمِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَرَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّنَا يُزَوَّرُ وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ، وَرَأَيْتَ الزُّورَ مِنَ الْقَوْلِ يُتَنَافَسُ فِيهِ.

وَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ ثَقُلَ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُهُ، وَخَفَّ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُ الْبَاطِلِ، وَرَأَيْتَ الْجَارَ يُكْرِمُ الْجَارَ خَوْفًا مِنْ لِسَانِهِ، وَرَأَيْتَ الْحُدُودَ قَدْ عُطِّلَتْ وَعُمِلَ فِيهَا بِالْأَهْوَاءِ، وَرَأَيْتَ الْمَسَاجِدَ قَدْ زُخْرِفَتْ، وَرَأَيْتَ أَصْدَقَ النَّاسِ عِنْدَ النَّاسِ الْمُفْتَرِيَ الْكَذِبَ.

وَرَأَيْتَ الشَّرَّ قَدْ ظَهَرَ، وَالسَّعْيَ بِالنَّمِيمَةِ، وَرَأَيْتَ الْبَغْيَ قَدْ فَشَا، وَرَأَيْتَ الْغِيبَةَ تُسْتَمْلَحُ، وَيُبَشِّرُ بِهَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَرَأَيْتَ طَلَبَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَرَأَيْتَ السُّلْطَانَ يُذِلُّ لِلْكَافِرِ الْمُؤْمِنَ، وَرَأَيْتَ الْخَرَابَ قَدْ أُدِيلَ مِنَ الْعُمْرَانِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ مَعِيشَتُهُ مِنْ بَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَرَأَيْتَ سَفْكَ الدِّمَاءِ يُسْتَخَفُّ بِهَا، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْلُبُ الرِّئَاسَةَ بِغَرَضِ الدُّنْيَا، وَيَشْهَرُ نَفْسَهُ

بِخُبْثِ اللِّسَانِ لِيُتَّقى، وَتُسْنَدَ إِلَيْهِ الْأُمُورُ.

وَرَأَيْتَ الصَّلَاةَ قَدِ اسْتُخِفَّ بِهَا، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ عِنْدَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ لَمْ يُزَكِّهِ مُنْذُ مَلَكَهُ، وَرَأَيْتَ الْمَيِّتَ يُنْشَرُ مِنْ قَبْرِهِ وَيُؤْذى وَتُبَاعُ أَكْفَانُهُ.

وَرَأَيْتَ الْهَرْجَ قَدْ كَثُرَ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُمْسِي نَشْوَانَ وَيُصْبِحُ سَكْرَانَ، لَايَهْتَمُّ بِمَا النَّاسُ فِيهِ، وَرَأَيْتَ الْبَهَائِمَ تُنْكَحُ، وَرَأَيْتَ الْبَهَائِمَ يَفْرِسُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَخْرُجُ إِلى مُصَلَّاهُ وَيَرْجِعُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ثِيَابِهِ، وَرَأَيْتَ قُلُوبَ النَّاسِ قَدْ قَسَتْ وَجَمَدَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَثَقُلَ الذِّكْرُ عَلَيْهِمْ.

وَرَأَيْتَ السُّحْتَ قَدْ ظَهَرَ يُتَنَافَسُ فِيهِ، وَرَأَيْتَ الْمُصَلِّيَ إِنَّمَا يُصَلِّي لِيَرَاهُ النَّاسُ، وَرَأَيْتَ الْفَقِيهَ يَتَفَقَّهُ لِغَيْرِ الدِّينِ يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَالرِّئَاسَةَ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ مَعَ مَنْ غَلَبَ، وَرَأَيْتَ طَالِبَ الْحَلَالِ يُذَمُّ وَيُعَيَّرُ، وَطَالِبَ الْحَرَامِ يُمْدَحُ وَيُعَظَّمُ.

وَرَأَيْتَ الْحَرَمَيْنِ يُعْمَلُ فِيهِمَا بِمَا لَايُحِبُّ اللَّهُ، لَايَمْنَعُهُمْ مَانِعٌ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَمَلِ الْقَبِيحِ أَحَدٌ، وَرَأَيْتَ الْمَعَازِفَ ظَاهِرَةً فِي الْحَرَمَيْنِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُومُ إِلَيْهِ مَنْ يَنْصَحُهُ فِي نَفْسِهِ، فَيَقُولُ: هذَا عَنْكَ مَوْضُوعٌ.

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، وَيَقْتَدُونَ بِأَهْلِ الشُّرُورِ، وَرَأَيْتَ مَسْلَكَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَهُ خَالِيًا لَايَسْلُكُهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتَ الْمَيِّتَ يُهْزَأُ بِهِ فَلَا يَفْزَعُ لَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتَ كُلَّ عَامٍ يَحْدُثُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ وَالْبِدْعَةِ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ، وَرَأَيْتَ الْخَلْقَ وَالْمَجَالِسَ لَايُتَابِعُونَ إِلَّا الْأَغْنِيَاءَ، وَرَأَيْتَ الْمُحْتَاجَ يُعْطى عَلَى الضَّحِكِ بِهِ وَيُرْحَمُ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ، وَرَأَيْتَ الْآيَاتِ فِي السَّمَاءِ لَايَفْزَعُ لَهَا أَحَدٌ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَتَسَافَدُونَ كَمَا يَتَسَافَدُ الْبَهَائِمُ، لَايُنْكِرُ أَحَدٌ مُنْكَرًا تَخَوُّفًا مِنَ النَّاسِ.

وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُنْفِقُ الْكَثِيرَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَمْنَعُ الْيَسِيرَ فِي طَاعَةِ

اللَّهِ، وَرَأَيْتَ الْعُقُوقَ قَدْ ظَهَرَ، وَاسْتُخِفَّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَكَانَا مِنْ أَسْوَءِ النَّاسِ حَالًا عِنْدَ الْوَلَدِ، وَيَفْرَحُ بِأَنْ يَفْتَرِيَ عَلَيْهِمَا، وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ وَقَدْ غَلَبْنَ عَلَى الْمُلْكِ، وَغَلَبْنَ عَلى كُلِّ أَمْرٍ، لَايُؤْتى إِلَّا مَا لَهُنَّ فِيهِ هَوًى.

وَرَأَيْتَ ابْنَ الرَّجُلِ يَفْتَرِي عَلى أَبِيهِ، وَيَدْعُو عَلى وَالِدَيْهِ، وَيَفْرَحُ بِمَوْتِهِمَا، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ إِذَا مَرَّ بِهِ يَوْمٌ وَلَمْ يَكْسِبْ فِيهِ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ مِنْ فُجُورٍ أَوْ بَخْسِ مِكْيَالٍ أَوْ مِيزَانٍ أَوْ غِشْيَانِ حَرَامٍ أَوْ شُرْبِ مُسْكِرٍ كَئِيبًا حَزِينًا، يَحْسَبُ أَنَّ ذلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْهِ وَضِيعَةٌ مِنْ عُمُرِهِ.

وَرَأَيْتَ السُّلْطَانَ يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ، وَرَأَيْتَ أَمْوَالَ ذَوِي الْقُرْبى تُقْسَمُ فِي الزُّورِ، وَيُتَقَامَرُ بِهَا، وَتُشْرَبُ بِهَا الْخُمُورُ، وَرَأَيْتَ الْخَمْرَ يُتَدَاوى بِهَا، وَتُوصَفُ لِلْمَرِيضِ وَيُسْتَشْفى بِهَا، وَرَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اسْتَوَوْا فِي تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَرْكِ التَّدَيُّنِ بِهِ، وَرَأَيْتَ رِيَاحَ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ النِّفَاقِ قَائِمَةً، وَرِيَاحَ أَهْلِ الْحَقِّ لَاتَحَرَّكُ؟

وَرَأَيْتَ الْأَذَانَ بِالْأَجْرِ، وَالصَّلَاةَ بِالْأَجْرِ، وَرَأَيْتَ الْمَسَاجِدَ مُحْتَشِيَةً مِمَّنْ لَايَخَافُ اللَّهَ، مُجْتَمِعُونَ فِيهَا لِلْغِيبَةِ وَأَكْلِ لُحُومِ أَهْلِ الْحَقِّ، وَيَتَوَاصَفُونَ فِيهَا شَرَابَ الْمُسْكِرِ.

وَرَأَيْتَ السَّكْرَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَهُوَ لَايَعْقِلُ، وَلَا يُشَانُ بِالسُّكْرِ، وَإِذَا سَكِرَ أُكْرِمَ وَاتُّقِيَ وَخِيفَ، وَتُرِكَ لَايُعَاقَبُ وَيُعْذَرُ بِسُكْرِهِ.

وَرَأَيْتَ مَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ الْيَتَامى يُحَدَّثُ بِصَلَاحِهِ، وَرَأَيْتَ الْقُضَاةَ يَقْضُونَ بِخِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ، وَرَأَيْتَ الْوُلَاةَ يَأْتَمِنُونَ الْخَوَنَةَ لِلطَّمَعِ، وَرَأَيْتَ الْمِيرَاثَ قَدْ وَضَعَتْهُ الْوُلَاةُ لِأَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ يَأْخُذُونَ مِنْهُمْ، وَيُخَلُّونَهُمْ وَمَا يَشْتَهُونَ.

وَرَأَيْتَ الْمَنَابِرَ يُؤْمَرُ عَلَيْهَا بِالتَّقْوى وَلَا يَعْمَلُ الْقَائِلُ بِمَا يَأْمُرُ، وَرَأَيْتَ الصَّلَاةَ قَدِ اسْتُخِفَّ بِأَوْقَاتِهَا، وَرَأَيْتَ الصَّدَقَةَ بِالشَّفَاعَةِ لَايُرَادُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، وَتُعْطى لِطَلَبِ النَّاسِ.

وَرَأَيْتَ النَّاسَ هَمُّهُمْ بُطُونُهُمْ وَفُرُوجُهُمْ، لَايُبَالُونَ بِمَا أَكَلُوا وَمَا نَكَحُوا، وَرَأَيْتَ الدُّنْيَا مُقْبِلَةً عَلَيْهِمْ، وَرَأَيْتَ أَعْلَامَ الْحَقِّ قَدْ دَرَسَتْ.

فَكُنْ عَلى حَذَرٍ، وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- النَّجَاةَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا يُمْهِلُهُمْ لِإِمْرٍ يُرَادُ بِهِمْ، فَكُنْ مُتَرَقِّبًا، وَاجْتَهِدْ لِيَرَاكَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي خِلَافِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ وَكُنْتَ فِيهِمْ عَجَّلْتَ إِلى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَإِنْ أُخِّرْتَ ابْتُلُوا وَكُنْتَ قَدْ خَرَجْتَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»[1].

قد يتساءل البعض: أين الوازع الديني عند الناس اليوم؟ وأين التديُّن؟

يجيبه آخر: إذا أردنا أن نقيس هذا الأمر بما كان عليه في السابق فهناك فارق كبير، حيث لم يكن عند الماضين ما طرأ على حياتنا اليوم من تكنولوجيا وتقنيات ساعدت على الانفتاح على كل شيء وفي أي وقت، بل كانوا فقراء وفلاحين، والواحد منهم بين شغله وبيته.

نعم، سابقًا كانت الأمور في حدودها، ولكن يفترض -أيضًا- أن وسائل المعرفة الدينية غدت في متناول اليد، وينبغي أن يكون إنسان اليوم أكثر اطّلاعًا ومعرفةً، وكلما ازداد الإنسان وعيًا ومعرفة كان أكثر تديُّنًا.

(١) روضة الكافي (ط - الإسلامية)، ج٨، ص ٣٦ - ٤٢.

ومشكلة الناس اليوم أنهم تركوا المعرفة الدينية، وتوجَّهوا إلى سفاسف الأمور، فتخلَّى الشباب عن التدين والالتزام، وهذه مشكلة حقيقية حيث يرى المراقب ظواهر رفض الدين والقرآن والإسلام.

ودارت الأيام وقرأنا على الأمة السلام:

يقول الشيخ محمد جواد مغنية في تفسير الكاشف: «لماذا لا يهتم الجيل الجديد بالقيم الدينية، كما كانت تهتم بها الأجيال السابقة؟

فأكثر شباب هذا الجيل قد انصرفوا عن العبادات والطقوس الدينية.. بل أثقل شيء على نفوسهم أن يسمعوا موعظة ونصيحة تَمُتُّ إلى الدين بسبب. حتى القيم الإنسانية، كالإخاء والمساواة، والسلام والتعاون، والصدق والعدل، لا صدى لها في نفوسهم.. وإن تحدَّثوا عنها وعن قداستها فإنما يُقدِّسونها بألسنتهم لا بقلوبهم، وبأقوالهم لا بأفعالهم.. اللهم إلَّا في حدود منفعتهم الشخصية.

الجواب: لقد كانت الشعوب الإسلامية العربية منها وغير العربية لا تثق بمبدأ من المبادئ، ولا بقيمة من القيم إلَّا إذا كان مصدرها كتاب اللَّه جل وعز، وسنة رسول اللَّه ﷺ.. فلا اشتراكية، ولا وجودية، ولا ديمقراطية، ولا قومية، لا شيء على الإطلاق إلَّا وحي السماء، منه تستمد أصول العقيدة، وآداب السلوك، وعليه توضع مناهج التعليم، ومنه تُستخرج القوانين والأحكام التي يُعمل بها في دور القضاء، وتُراعى في الدوائر، وسائر التصرُّفات الفردية والاجتماعية.

ومن هنا كانت تعاليم الدين واضحة في أذهان الكثير من الناس،

يعرفون ما يُقِرُّه الشرع، ويأمر به، وما يرفضه وينهى عنه. وكان الذي يعيش الدين معايشةً صحيحةً محلَّ ثقة الجميع، وموضع أمانتهم، ومن انحرف عنها لا يأتمنونه على شيء، ولا يثقون به في شيء.. ومعنى هذا في واقعه أن القيم الاجتماعية كانت هي القيم الدينية بالذات، فإذا ما شذَّ فرد عنها، وخرج عليها كان تمامًا كمن يخرج على النظام السليم، والوضع القويم.

ثم دارت الأيام، وحدث الانقلاب الخطير بنفوذ الغرب، وسيطرته على البلاد الإسلامية، فاتَّجه أول ما اتَّجه إلى شريعة القرآن، ومحا أثرها من دور القضاء، وأبدلها بالقانون الوضعي الفرنسي والإنكليزي، وألغى تعلُّم العقائد والأخلاق الدينية من مناهج التعليم، وأفسح المجال للميسر والفجور، وحانات الخمور، ولكل ما من شأنه أن يشلَّ العقيدة والأخلاق، فاختفت سمات القرآن والسنة النبوية من الحياة الاجتماعية، حتى اللغة العربية أصابها ما أصاب العقيدة والشريعة، فكان هذا الجيل الجديد الذي لا يهتم بعقيدة ولا خُلُق، وهو في الواقع نتاج للأوضاع الفاسدة التي نشأ فيها، وَرُبِّي عليها، فمن الطبيعي أن يكون انعكاسًا لها، ومن الخطأ أن ننظر إلى الجيل مستقلًّا عن مجتمعه وبيئته.. وحقًّا ما قاله الفلاسفة: إن المعلول إظهار لعلته»[1].

ولعل من الغرابة بمكان أن نكون في موقع الدفاع أمام هجوم عقائدي بعد أن كنا من السبّاقين في نشر القيم الإسلامية حتى عند الغربين، وفي هذا الإطار كتب المرجع المرحوم السيد محمد الشيرازي قدس سره كتابًا بعنوان (كيف يمكن نجاة الغرب) يقول فيه: «الغرب ومن في فلكه أناس قابلون للهداية، فإنهم بشر، والبشر بفطرته يحب الخير لنفسه ولغيره، ووجود ظواهر

(١) التفسير الكاشف، ج١، ص ٧ - ٨.

التعصُّب فيهم لا يدلُّ على أنهم مُتعصِّبون.. ودليل عدم تعصُّبهم قبولهم للمسيحية، مع أن المسيح عليه السلام كان شرقيًّا وليس غربيًّا، إنما هم عرفوا بعض ما للمسيح عليه السلام من فضائل ومعاجز، وبعض ما بقي للمسيحية من النقاط المضيئة، فاعتنقوها بعد أن كانوا وثنيين قبل المسيحية... فاللازم اهتمام المسلمين -سواء في بلاد الغرب وما والاها أو في غيرها من سائر البلاد غير الإسلامية- أن يُدخلوهم في الإسلام، واللازم أن يكون الاهتمام قربة إلى اللَّه تعالى لإنقاذ البشرية من ويلاتها»[1].

(١) كيف يمكن نجاة الغرب، ص٧.

توقيت الظهور

يسأل المؤمن عن وقت ظهور المهدي:

متى ظهوره؟

في أي زمانه يظهر؟

متى يحين ظهوره؟

إلى متى يستمر الغياب؟

متى نلتقي به؟ وأين؟ وكيف؟

ألم يحن وقت ظهوره؟

ما بال ولي الأمر لا يظهر وقد امتلأت الأرض من الجور؟

متى أرى ولي الأمر ظاهرًا نافذ الأمر؟

متى تقرّ عيني برؤيته؟ متى أقوم بخدمته؟

ويقول المؤمن مخاطبًا أمام زمانه المهدي:

أين استقرت بك النوى؟

أيّ أرض تقلّك أو ثرى؟

أبرضوى أو غيرها؟

أم ذي طوى؟
هل إليك يا بن أحمد سبيل فتُلقى؟
هل يتَّصل يومنا منك بغده فنحظى؟
متى نَرِدُ مناهلك الرويّة فنروى؟
متى ننتقع من عذب مائك فقد طال الصدى؟
متى نُغاديك ونراوحك فنقرّ عينًا؟
متى ترانا ونراك؟
متى نحفُّ بك وأنت تؤمُّ الملا؟

هذه بعض كلمات الألم والحسرة، ألم الفراق وبعض من جمرة الافتراق، تخرج كلمات الوجع من قلب يتحسّر من أن يرى الناس ولا يرى إمامه بين عينيه، فلا سبيل إلَّا إظهار الحزن وإعلان الحب وصرخة العشق فينادي بصوت حزين:

أين السبيل ابن السبيل؟
أين استقرَّت بك النوى؟
بل أيُّ أرض تُقِلُّك أو ثرى؟

أبرضوى أو غيرها؟ أم ذي طوى؟ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرى، وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيسًا وَلَا نَجْوى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوَى وَلَا يَنالُكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شائِقٍ يَتَمَنَّى مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرا فَحَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدِ عِزٍّ لَا يُسامَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلِ مَجْدٍ لَا يُجارَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ تِلادِ نِعَمٍ لَا تُضاهَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيفِ شَرَفٍ لَا يُساوَى،

إِلى مَتَى أَحارُ فِيكَ يَا مَوْلايَ وَإِلَى مَتَى؟ وَأَيَّ خِطابٍ أَصِفُ فِيكَ وَأَيَّ نَجْوَى؟ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجابَ دُونَكَ وَأُناغَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى، هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكاءَ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُساعِدَ جَزَعَهُ إِذا خَلَا؟ هَلْ قَذِيَتْ عَيْنٌ فَساعَدَتْها عَيْنِي عَلَى الْقَذَى؟ هَلْ إِلَيْكَ يَا بْنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتُلْقى؟ هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمُنا مِنْكَ بِعِدَةٍ فَنَحْظَى؟ مَتَى نَرِدُ مَناهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوَى؟ مَتَى نَنْتَقِعُ مِنْ عَذْبِ مائِكَ فَقَدْ طالَ الصَّدى؟ مَتَى نُغادِيكَ وَنُراوِحُكَ فَنُقِرَّ عَيْنًا؟ مَتى تَرانا وَنَراكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِواءَ النَّصْرِ؟ تُرَى أَتَرانا نَحُفُّ بِكَ وَأَنْتَ تَؤُمُّ الْمَلَأَ وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا، وَأَذَقْتَ أَعْداءَكَ هَوانًا وَعِقابًا، وَأَبَرْتَ الْعُتاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظَّالِمِينَ، وَنَحْنُ نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ؟».

فهذه أحزان المؤمن وطموحاته وآماله وأهدافه في المهدي من تعجيل الظهور وإصراره على ذلك. ولا منافاة بين معتقده أن أمر الظهور بيد اللَّه عزّ وجلّ وأمنياته بتعجيل الظهور، وبين هذا وذاك نرى المؤمن يدعو اللَّه تعالى في كل يوم بكلمات الصبر والأمل والحب والعشق والاستقامة، يقول:

«اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَبِيَّكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَبِيَّكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي. اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي. اللَّهُمَّ فَكَمَا هَدَيْتَنِي بِوَلَايَةِ مَنَ فَرَضْتَ طَاعَتَهُ عَلَيَّ مِنْ وُلَاةِ أَمْرِكَ بَعْدَ رَسُولِكَ ﷺ، حَتَّى وَالَيْتَ وُلَاةَ أَمْرِكَ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، وَعَلِيًّا، وَمُحَمَّدًا، وَجَعْفَرًا، وَمُوسَى، وَعَلِيًّا، وَمُحَمَّدًا، وَعَلِيًّا، وَالْحَسَنَ، وَالْحُجَّةَ الْقَائِمَ الْمَهْدِيَّ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ فَثَبِّتْنِي عَلَى دِينِكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ، وَلَيِّنْ قَلْبِي لِوَلِيِّ أَمْرِكَ، وَعَافِنِي مِمَّا امْتَحَنْتَ بِهِ خَلْقَكَ، وَثَبِّتْنِي عَلَى طَاعَةِ وَلِيِّ أَمْرِكَ الَّذِي سَتَرْتَهُ عَنْ خَلْقِكَ، فَبِإِذْنِكَ غَابَ عَنْ بَرِيَّتِكَ وَأَمْرَكَ يَنْتَظِرُ، وَأَنْتَ الْعَالِمُ غَيْرُ مُعَلَّمٍ بِالْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ أَمْرِ وَلِيِّكَ فِي الْإِذْنِ لَهُ بِإِظْهَارِ أَمْرِهِ، وَكَشْفِ سِتْرِهِ، فَصَبِّرْنِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَلَا أَكْشِفَ عَمَّا سَتَرْتَهُ، وَلَا أَبْحَثَ عَمَّا كَتَمْتَهُ، وَلَا أُنَازِعَكَ فِي تَدْبِيرِكَ، وَلَا أَقُولَ: لِمَ وَكَيْفَ، وَمَا بَالُ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَا يَظْهَرُ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَوْرِ، وَأُفَوِّضُ أُمُورِي كُلَّهَا إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُرِيَنِي وَلِيَّ أَمْرِكَ ظَاهِرًا نَافِذًا لِأَمْرِكَ مَعَ عِلْمِي بِأَنَّ لَكَ السُّلْطَانَ وَالْقُدْرَةَ وَالْبُرْهَانَ وَالْحُجَّةَ وَالْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ، فَافْعَلْ ذَلِكَ بِي وَبِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى وَلِيِّكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ظَاهِرَ الْمَقَالَةِ، وَاضِحَ الدَّلَالَةِ، هَادِيًا مِنَ الضَّلَالَةِ، شَافِيًا مِنَ الْجَهَالَةِ، أَبْرِزْ يَا رَبِّ مَشَاهِدَهُ، وَثَبِّتْ قَوَاعِدَهُ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَقَرُّ عَيْنُهُ بِرُؤْيَتِهِ، وَأَقِمْنَا بِخِدْمَتِهِ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ.

اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ وَبَرَأْتَ وَذَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ، وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ، بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ، وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَوَصِيَّ رَسُولِكَ. اللَّهُمَّ وَمُدَّ فِي عُمُرِهِ، وَزِدْ فِي أَجَلِهِ، وَأَعِنْهُ عَلَى مَا أَوْلَيْتَهُ وَاسْتَرْعَيْتَهُ، وَزِدْ فِي كَرَامَتِكَ لَهُ، فَإِنَّهُ الْهَادِي وَالْمُهْتَدِي، وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ، الطَّاهِرُ التَّقِيُّ، النَّقِيُّ الزَّكِيُّ، الرَّضِيُّ الْمَرْضِيُّ، الصَّابِرُ الْمُجْتَهِدُ الشَّكُورُ.

اللَّهُمَّ وَلَا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ لِطُولِ الْأَمَدِ فِي غَيْبَتِهِ وَانْقِطَاعِ خَبَرِهِ عَنَّا، وَلَا

تُنْسِنَا ذِكْرَهُ وَانْتِظَارَهُ، وَالْإِيمَانَ وَقُوَّةَ الْيَقِينِ فِي ظُهُورِهِ، وَالدُّعَاءَ لَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يُقَنِّطَنَا طُولُ غَيْبَتِهِ مِنْ ظُهُورِهِ وَقِيَامِهِ، وَيَكُونَ يَقِينُنَا فِي ذَلِكَ كَيَقِينِنَا فِي قِيَامِ رَسُولِكَ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ وَحْيِكَ وَتَنْزِيلِكَ، وَقَوِّ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ حَتَّى تَسْلُكَ بِنَا عَلَى يَدِهِ مِنْهَاجَ الْهُدَى، وَالْحُجَّةَ الْعُظْمَى، وَالطَّرِيقَةَ الْوُسْطَى، وَقَوِّنَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَثَبِّتْنَا عَلَى مُتَابَعَتِهِ، وَاجْعَلْنَا فِي حِزْبِهِ وَأَعْوَانِهِ وَأَنْصَارِهِ، وَالرَّاضِينَ بِفِعْلِهِ، وَلَا تَسْلُبْنَا ذَلِكَ فِي حَيَاتِنَا وَلَا عِنْدَ وَفَاتِنَا حَتَّى تَتَوَفَّانَا وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرَ شَاكِّينَ وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا مُرْتَابِينَ وَلَا مُكَذِّبِينَ.

اللَّهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَهُ، وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ، وَانْصُرْ نَاصِرِيهِ، وَاخْذُلْ خَاذِلِيهِ، وَدَمِّرْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ وَكَذَّبَ بِهِ، وَأَظْهِرْ بِهِ الْحَقَّ، وَأَمِتْ بِهِ الْبَاطِلَ، وَاسْتَنْقِذْ بِهِ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الذُّلِّ، وَانْعَشْ بِهِ الْبِلَادَ، وَاقْتُلْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ، وَاقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلَالَةِ، وَذَلِّلْ بِهِ الْجَبَّارِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَأَبِرْ بِهِ الْمُنَافِقِينَ وَالنَّاكِثِينَ وَجَمِيعَ الْمُخَالِفِينَ وَالْمُلْحِدِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا، وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا، حَتَّى لَا تَدَعَ مِنْهُمْ دَيَّارًا، وَلَا تُبْقِيَ لَهُمْ آثَارًا، وَتُطَهِّرَ مِنْهُمْ بِلَادَكَ، وَاشْفِ مِنْهُمْ صُدُورَ عِبَادِكَ، وَجَدِّدْ بِهِ مَا امْتَحَى مِنْ دِينِكَ، وَأَصْلِحْ بِهِ مَا بُدِّلَ مِنْ حُكْمِكَ، وَغَيِّرْ مِنْ سُنَّتِكَ، حَتَّى يَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضًّا جَدِيدًا صَحِيحًا لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا بِدْعَةَ مَعَهُ، حَتَّى تُطْفِئَ بِعَدْلِهِ نِيرَانَ الْكَافِرِينَ، فَإِنَّهُ عَبْدُكَ الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ، وَارْتَضَيْتَهُ لِنُصْرَةِ نَبِيِّكَ، وَاصْطَفَيْتَهُ بِعِلْمِكَ، وَعَصَمْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَبَرَّأْتَهُ مِنَ الْعُيُوبِ، وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى الْغُيُوبِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ وَطَهَّرْتَهُ مِنَ الرِّجْسِ، وَنَقَّيْتَهُ مِنَ الدَّنَسِ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى شِيعَتِهِمُ الْمُنْتَجَبِينَ، وَبَلِّغْهُمْ مِنْ آمَالِهِمْ أَفْضَلَ مَا يَأْمُلُونَ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ مِنَّا خَالِصًا مِنْ كُلِّ شَكٍّ

وَشُبْهَةٍ وَرِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ، حَتَّى لَا نُرِيدَ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا نَطْلُبَ بِهِ إِلَّا وَجْهَكَ»[1].

ولا يُخفي المؤمن الأهداف والغايات والدواعي من إصراره على تعجيل ظهور المهدي عليه السلام، حيث بين تلك الأهداف المقدَّسة التي يرى أنه لا يمكن تحقيقها إلَّا على يَدَي المهدي، فيقول مخاطبًا ربّه عزّ وجلّ بقوله:

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذَنَ لِوَلِيِّكَ فِي إِظْهَارِ عَدْلِكَ فِي عِبَادِكَ، وَقَتْلِ أَعْدَائِكَ فِي بِلَادِكَ، حَتَّى لَا تَدَعَ لِلْجَوْرِ يَا رَبِّ دِعَامَةً إِلَّا قَصَمْتَهَا، وَلَا بِنْيَةً إِلَّا أَفْنَيْتَهَا، وَلَا قُوَّةً إِلَّا أَوْهَنْتَهَا، وَلَا رُكْنًا إِلَّا هَدَدْتَهُ، وَلَا حَدًّا إِلَّا فَلَلْتَهُ، وَلَا سِلَاحًا إِلَّا أَكْلَلْتَهُ، وَلَا رَايَةً إِلا نَكَّسْتَهَا، وَلَا شُجَاعًا إِلَّا قَتَلْتَهُ، وَلَا جَيْشًا إِلَّا خَذَلْتَهُ. وَارْمِهِمْ يَا رَبِّ بِحَجَرِكَ الدَّامِغِ، وَاضْرِبْهُمْ بِسَيْفِكَ الْقَاطِعِ، وَبِبَأْسِكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، وَعَذِّبْ أَعْدَاءَكَ وَأَعْدَاءَ دِينِكَ وَأَعْدَاءَ رَسُولِكَ بِيَدِ وَلِيِّكَ وَأَيْدِي عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ اكْفِ وَلِيَّكَ وَحُجَّتَكَ فِي أَرْضِكَ هَوْلَ عَدُوِّهِ، وَكِدْ مَنْ كَادَهُ، وَامْكُرْ بِمَنْ مَكَرَ بِهِ، وَاجْعَلْ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَى مَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا، وَاقْطَعْ عَنْهُ مَادَّتَهُمْ، وَأَرْعِبْ لَهُ قُلُوبَهُمْ، وَزَلْزِلْ لَهُ أَقْدَامَهُمْ، وَخُذْهُمْ جَهْرَةً وَبَغْتَةً، وَشَدِّدْ عَلَيْهِمْ عِقَابَكَ، وَأَخْزِهِمْ فِي عِبَادِكَ، وَالْعَنْهُمْ فِي بِلَادِكَ، وَأَسْكِنْهُمْ أَسْفَلَ نَارِكَ، وَأَحِطْ بِهِمْ أَشَدَّ عَذَابِكَ، وَأَصْلِهِمْ نَارًا، وَاحْشُ قُبُورَ مَوْتَاهُمْ نَارًا، وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نَارِكَ، فَإِنَّهُمْ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ، وَأَذَلُّوا عِبَادَكَ.

اللَّهُمَّ وَأَحْيِ بِوَلِيِّكَ الْقُرْآنَ، وَأَرِنَا نُورَهُ سَرْمَدًا لَا ظُلْمَةَ فِيهِ، وَأَحْيِ بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيْتَةَ، وَاشْفِ بِهِ الصُّدُورَ الْوَغِرَةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ عَلَى الْحَقِّ، وَأَقِمْ بِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ، حَتَّى لَا يَبْقَى حَقٌّ إِلَّا

(١) دعاء زمن الغيبة.

ظَهَرَ، وَلَا عَدْلٌ إِلَّا زَهَرَ، وَاجْعَلْنَا يَا رَبِّ مِنْ أَعْوَانِهِ وَمُقَوِّي سُلْطَانِهِ، وَالْمُؤْتَمِرِينَ لِأَمْرِهِ، وَالرَّاضِينَ بِفِعْلِهِ، وَالْمُسَلِّمِينَ لِأَحْكَامِهِ، وَمِمَّنْ لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ إِلَى التَّقِيَّةِ مِنْ خَلْقِكَ، أَنْتَ يَا رَبِّ الَّذِي تَكْشِفُ السُّوءَ، وَتُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاكَ، وَتُنَجِّي مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، فَاكْشِفْ يَا رَبِّ الضُّرَّ عَنْ وَلِيِّكَ، وَاجْعَلْهُ خَلِيفَةً فِي أَرْضِكَ كَمَا ضَمِنْتَ لَهُ»[1].

لا أعتقد أنه يوجد أصرح من هذه الكلمات في أهداف المؤمن في ضرورة تعجيل الظهور، وها هو قد أعلن انتخابه وترشيحه للرئيس الذي يجب أن يحكم العالم، لأنه يعلم أنه لا يوجد في البشرية من سوف يحقّق آمال المستضعفين في الأرض إلّا المهدي المنتظر.

فبعد أن تبيّن لنا حقيقة ما يخفيه المؤمن وحقيقة ما يظهره من غايات وأهداف في تعجيل ظهور المهدي، فلا يبقى حينئذٍ من شك في معتقد المؤمن أنه يرى أن توقيت الظهور وتاريخه بيد اللَّه عزّ وجلّ، وأن أمر المهدي وظهوره بيد اللَّه وحده، وأن المؤمن يسلّم أن توقيت الظهور وزمانه يعدّ من المحرّمات الشرعية التي جاءت النصوص الشريفة على منعه، كما روى الإمام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن النبي قيل له: «يا رسول اللَّه، متى يخرج القائم من ذريتك؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: مثله مثل الساعة ﴿**لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**﴾[2]»[3].

وعن الفضيل قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام: هل لهذا الأمر وقت؟

---

(١) دعاء زمن الغيبة.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص١١٨، حديث ٤.

فقال: كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون»[١].

وعن أبي عبداللّه عليه السلام قال: «كذب الموقّتون، ما وقّتنا فيما مضى، ولا نوقّت ما يُستقبل»[٢].

وعن عبدالرحمن بن كثير قال: «كنت عند أبي عبداللّه عليه السلام إذ دخل عليه مهزم الأسدي فقال: أخبرني -جعلت فداك- متى هذا الأمر الذي تنتظرونه؟ فقد طال، فقال: يا مهزم، كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون، وإلينا يصيرون»[٣].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: «من وقّت لك من الناس شيئًا فلا تهابنَّ أن تُكذّبه، فلسنا نوقّت لأحد وقتًا»[٤].

وعلّق العلامة الشهيد الصدر على روايات منع التوقيت بقوله: «وهذه الأخبار بعدد قابل للإثبات التاريخي، وواضحة الدلالة على نفي التوقيت.

إلّا أنه من حسن الحظ! أن التوقيت المنفي ليس هو ذلك، بل المراد به -بوضوح- تحديد الوقت بتاريخ معيّن؛ كما لو قيل -مثلًا-: إن الظهور أو اليوم الموعود، يكون في سنة ألفين ميلادية، أو في سنة ألفين هجرية.

والقرينة على ذلك، ما ورد من الأخبار التي تنفي توقيتًا معيّنًا:

كالذي أخرجه النعماني باسناده عن عمار الصيرفي قال: «سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: قد كان لهذا الأمر وقت، وكان في سنة أربعين ومائة،

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥١، حديث ٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥١، حديث ٦.
(٣) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥١، حديث ٧.
(٤) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٥١، حديث ٨.

فحدثتم به وأذعتموه، فأخّره اللّه ﷻ».

وعن أبي حمزة الثمالي قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت، إن اللّه كان قد وقَّت هذا الأمر في سنة السبعين. فلما قُتل الحسين عليه السلام اشتدَّ غضب اللّه فأخَّره إلى أربعين ومائة. فلما حدَّثناكم بذلك أذعتم وكشفتم قناع الستر، فلم يجعل اللّه لهذا الأمر بعد ذلك عندنا وقتًا، يمحو اللّه ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب».

وفي هذه الأخبار الأخيرة بعض المفاهيم وبعض المناقشات، لا مجال للدخول فيها.

ولكنها لا تضر بما نريده الآن من أنها دالَّة على أن المراد من التوقيت تحديد الوقت بتاريخ معيَّن، فإن الروايات الأخص تكون قرينة على الأعم.

وهذا النحو من التوقيت فيه عدد من نقاط الضعف:

النقطة الأولى: إنه قول جُزاف بدون أي دليل. كيف وقد أجمع المسلمون على أن وقت اليوم الموعود موكول إلى علم اللّه ﷻ، مع الغموض التام بالنسبة إلى الناس.

بل ظاهر الرواية الأخيرة أنه خفي حتى على المعصومين أنفسهم. ومن هنا يكون ذكر أي تاريخ معيَّن جزافًا محضًا وكذبًا صريحًا.

النقطة الثانية: إن تاريخ الظهور لو كان محدّدًا معروفًا، لكان من أشد العوامل على فشل الثورة العالمية وفناء الدولة العادلة. فإنه يكفي أن يحتمل الأعداء ظهوره في ذلك التاريخ، ولو باعتبار اعتقاد المسلمين ذلك، فيجتمعوا على قتله في أول أمره وقبل اتّساع ملكه واستتباب أمره.

ولذا اقتضى التخطيط الإلهي، من أجل إنجاح اليوم الموعود، أن يكون الظهور فجائيًّا، مثاله مثال الساعة لا يجليها لوقتها إلَّا اللَّه، كما نطقت بذلك الأخبار، وسنرى ما لعنصر المفاجأة من أثر فعَّال في نصره.

النقطة الثالثة: إن الأمة الإسلامية حين لا يكون التخطيط الإلهي قد أنتج نتيجته فيها، ولم تُصبح بعدُ على مستوى مسؤولية اليوم الموعود؛ فإنها تكون مقصّرة بالنسبة إلى كل حدوده ومقدماته... وتكون هذه الحدود والمقدّمات فوق مستواها العقلي والثقافي والديني. ومن هنا لم يتورّع الناس عن إفشاء التوقيت الذي كان فيما سبق، ولو أعطوا وقتًا جديدًا لأفشوه -أيضًا- لا محالة... ومن هنا أُلغي التوقيت، كما سمعنا من هذه الأخبار.

وهذا -أيضًا- أحد الأسباب في تحريم تسمية الإمام المهدي عليه السلام خلال غيبته الصغرى، كما سمعنا في تاريخها، فإنهم إن عرفوا الاسم أذاعوه، وإن علموا بالمكان دلُّوا عليه.

وهذا القصور العام في الأمة هو المشار إليه في بعض الأخبار، كقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «يا بني، عقولكم تضعف عن هذا، وأحلامكم تضيق عن حمله، ولكن إن تعيشوا تدركوه».

فإن المراد بالعقول ما نُسمِّيه بالمستوى الفكري والثقافي، والمراد بالأحلام ما نُسمِّيه بالإخلاص وقوة الإرادة وكون الأمة على مستوى المسئولية ... وكلاهما ضعيفان بمنطوق الرواية، كما دلَّ عليه البرهان أيضًا.

وليس المراد من هذه الرواية وأمثالها ما يفهمه بعض الناس، من امتناع التعرُّف على مصلحة الغيبة، وخفاء مصلحة وجود الإمام خلالها ... بعد كل الذي سبق أن عرضناه في كتب هذه الموسوعة مستفادًا من القرآن الكريم

والسنة الشريفة نفسها.

النقطة الرابعة: إن وقت الظهور وإن كان محدّدًا في علم اللّه الأزلي، ولكنه بالنسبة إلى علله وشرائطه ينبغي أَلَّا يُفترض له وقت محدَّد.

فإن تحديد التاريخ يمكن أن يكون على مستويين:

المستوى الأول: علم اللّه الأزلي بالأشياء منذ القدم، المتعلّق بكل الممكنات أو المخلوقات بأسبابها ومسبّباتها.

المستوى الثاني: وجود المعلول بالنسبة إلى وجود علّته، فإن المعلول يحدث متى حدثت علّته، بلا دخل للزمان في ذلك أصلًا.

مثاله: إننا لو نسبنا تاريخ إكمال بناء البيت بالنسبة إلى القوى المادية والبشرية العاملة فيه، كان تاريخه منوطًا بتحقّق هذه المكونّات، حتى ما إذا وضع البنَّاء آخر حجر في كيان الدار، تكون هذه الدار قد انتهت، بغض النظر عن طول زمن البنّاء وقصره... فإنه قابل للاختلاف حسب الظروف والطوارئ والقابليات والإمكانيات.

وحيث يبرهن فلسفيًّا بأن علم اللّه تعالى الأزلي المتعلّق بالأشياء ليس علّة لها، وإنما يتعلّق بها ويكشف عنها على ما هي عليه في الواقع؛ إذًا، ففي الإمكان قصر النظر على واقع الشيء بغض النظر عن تعلّق ذلك العلم به، ومعه يكون المستوى الثاني للتوقيت صحيحًا، ويكون وجود الشيء منوطًا بوجود علّته واجتماع شرائطه ومكوّناته، من دون أن يكون الزمن ملحوظًا في تحديد حدوثه على الإطلاق... بل قد يكون قابلًا للزيادة والنقص، كما قلنا.

ومن هذا القبيل، يوم الظهور. فإننا لو غضضنا النظر عن علم اللّه الأزلي

لم يبقَ لدينا أيُّ وقت محدَّد له؛ وإنما هو منوط بحصول شرائطه وعلله. فمثلًا نقول: متى اجتمع العدد الكافي للغزو العالمي بالعدل الكامل من المخلصين المُحصَين، كان يوم الظهور ناجزًا، سواء كان زمان وجودهم والفترة التي تقتضي تحقّقهم طويلة جدًّا أو قصيرة.

وهذا دليل آخر على أن التوقيت بمعنى تحديد التاريخ المعيَّن جزاف محض.

وهذا هو مرادنا من التوقيت الذي برهنَّا عليه. وهو توقيت إجمالي يخلو من التحديد بالزمان تمامًا. فلا يكون قولًا جزافًا ولا واجب التكذيب. كما لا يكون تحديده الإجمالي خطرًا على الإمام المهدي وموجبًا لفشل مهمّته بعد الظهور.

هذا تمام الحديث في توقيت الظهور باعتبار شرائطه»[1].

عن الفضيل بن يسار قال: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عز وجل: ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ**﴾[2]، فَقَالَ: يَا فُضَيْلُ، اعْرِفْ إِمَامَكَ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ إِمَامَكَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ، وَمَنْ عَرَف إِمَامَهُ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِدًا فِي عَسْكَرِهِ، لَا، بَلْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِدًا تَحْتَ لِوَائِه»[3].

عن إسماعيل بن محمد الخزاعي قال: «سأل أبو بصير أبا عبداللّه عليه السلام وأنا أسمع، فقال: أتراني أُدرك القائم عليه السلام؟ فقال: يا أبا بصير، لست تعرف

(١) موسوعة الإمام المهدي، ج٣، ص٥٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية ٧١.
(٣) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٥٢، ص ١٤١ - ١٤٢.

إمامك؟ فقال: بلى واللَّه، وأنت هو، فتناول يده وقال: واللَّه ما تبالي يا أبا بصير ألَّا تكون محتبيًا بسيفك في ظل رواق القائم عليه السلام»[١].

وعن الفضيل بن يسار قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أم تأخّر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»[٢].

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٧٩، حديث ٥٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٧٩، حديث ٥٦.

كيف نبني الارتباط مع المهدي

الرابطة هي العلاقة أو الوصلة بين الشيئين.

ويطلق لفظ الرابطة عند المحدثين على الجماعة يجتمعون على أمر يشتركون فيه.

ويمكن القول: إن الارتباط بين اثنين تعبير عن مدى قوّة العلاقة بين المرتبطين.

وينقسم الارتباط إلى عدة أنواع:

١- الارتباط البسيط.
٢- الارتباط الجزئي.
٣- الارتباط المسؤول.
٤- الارتباط المطَّرد.
٥- الارتباط القوي.

فكل هذه الأنواع من الارتباطات تنطبق على علاقتنا وارتباطنا مع المهدي، والمكلّفون الموالون للمهدي مختلفون في نوع الارتباط، وذلك بحسب قواهم الروحية والمعنوية، وإحاطتهم المعرفية بالإمام عليه السلام، ومدى

استيعابهم وعلمهم بالعقيدة الحقَّة.

أما كيف يمكننا تحقيق أعلى مراتب الارتباط وأقوى منازل ودرجات العلاقة مع المهدي، فهذا يعتمد على الإنسان نفسه، ومدى إرادته وإمكاناته المعنوية تجاه تحقيق الارتباط المقدّس، فالارتباط والعلاقة تُبنى عادة بمقدمات وتنتهي بنتائج، تبدأ بالارتباط اللفظي الظاهر، وتتدرَّج نحو الارتباط الحركي الفعلي، وتنتهي بتحمُّل مسؤوليات وتكاليف، وفي النهاية، إن كل مراتب ومقدّمات الارتباط هدفها إحداث رابطة وعلاقة بين المؤمن وإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولنبدأ بذكر بعض الطرق الأخلاقية التي يقوم بها المكلّف المؤمن تجاه المهدي تعبيرًا عن احترامه وحبّه وصدق من يتولَّاه.

أولًا: القيام عند ذكره عجل الله تعالى فرجه الشريف:

فقد ورد: عند سماع الحجة نقف، فمن أين جاء هذا التكليف؟

إن الإنسان تعظيمًا للمعصوم وصاحب العصر والزمان يقف إجلالًا وتعظيمًا له، وينحني، ويضع يده اليمنى على رؤوسنا، وسيرة أبناء الطائفة ملتزمة بهذا العمل. ولهذا قصة.

نقل بعض العلماء أنّه سأل عن هذا الموضوع العالم المتبحّر الجليل السيد عبد اللَّه سبط المحدّث الجزائري، وقد أجاب في بعض تصانيفه أنّه رأى خبرًا مضمونه أنّه ذُكر يومًا اسمه المبارك عليه السلام في مجلس الإمام الصادق عليه السلام، فقام عليه السلام تعظيمًا واحترامًا له.

وقال السيد حسن الصدر[١] في تكملة أمل الآمل ما حاصله:

«إن أحد علماء الإمامية، وهو عبد الرضا بن محمد، وهو من أولاد المتوكّل، ألَّف كتابًا في وفاة الإمام الرضا عليه السلام سمَّاه (تأجيج نيران الأحزان في وفاة سلطان خراسان)، وممَّا تفرَّد به هذا الكتاب ما وراه من أن دعبل الخزاعي عندما أنشد الإمام الرضا قصيدته التائية ووصل إلى هذا البيت:

خـــروج إمـــامٍ لا محالة قائم يقوم على اســم اللَّه بالبركات

نهض الإمام الرضا عليه السلام قائمًا وأحنى رأسه المبارك ووضع يده اليمنى على رأسه وقال: اللهم عجِّل فرجه ومخرجه، وانصرنا به نصرًا عزيزًا»[٢].

وقد أحسن ما قاله صاحب كتاب (تكملة أمل الآمل) حين ذكر عبارة «وممَّا تفرَّد به الكتاب»، حيث لا يوجد في المصادر ما ذكره، بل الرواية عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى عليه السلام قصيدتي التي أولها:

مــدارس آيــات خلت من تلاوة ومـنـزل وحـي مقفر العرصات

(١) تكملة أمل الآمل، تأليف المرجع الديني الفقيه المحدّث آية اللَّه السيد حسن الصدر المتوفى سنة ١٣٥٤، ويعتبر من أهم وأوسع المستدركات التي نعرفها حتى الآن على كتاب «أمل الآمل».

رتَّب كتابه «تكملة أمل الآمل» في قسمين كالأصل: الأول في علماء جبل عامل، والثاني في العلماء غير العامليين. وتراجم التكملة بعضها تفصيل لبعض تراجم الأصل أو تصحيح وتعليق عليها، وبعضها -وهي الأكثر- تراجم مستقلّة فاتت مؤلف الأصل، أو لأعلام عاشوا بعد عصر الحر العاملي.

أما كتاب أمل الآمل فمن قواميس التراجم التي حظيت عند العلماء بحظٍّ وافر، واشتهرت من يوم التأليف اشتهارًا واسعًا.

(٢) النجم الثاقب، ج٢، ص٤٧٤.

فلما انتهيت إلى قولي:

خـروج إمـام لا محالة خـارج يقوم على اسـم اللَّه والبركات
يـمـيـز فـيـنـا كـل حـق وبـاطـل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديدًا، ثم رفع رأسه إليَّ فقال لي: يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟

فقلت: لا يا مولاي، إلَّا أني سمعت بخروج إمام منكم يُطهِّر الأرض من الفساد، ويملؤها عدلًا كما ملئت جورًا.

فقال: يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل اللَّه عزوجل ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا»[1].

ويقول مؤلف كتاب النجم الثاقب: «هذه العادة متعارفة عند أهل السنة عند ذكر اسم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم المبارك».

وقال سيد أحمد المفتي الشافعي المكي المعاصر في سيرته: «جرت العادة أنّه إذا سمع الناس ذكر وصفه صلى الله عليه وآله وسلم يقومون تعظيمًا له، وهذا القيام مستحسن؛ لأن بهذا القيام تعظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكثير من علماء السنة يعملون ذلك.

وقال في السيرة: حكى بعضٌ أنّ الإمام السبكي جمع عنده كثير من

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٧٢.

علماء عصره، فعندما قرأ المنشد في مدحه عجل الله تعالى فرجه الشريف:

قليلٌ لِمَدْحِ الْمُصْطَفَى الْخَطُّ بِالذَّهَبْ على وَرِقٍ مِن كَفِّ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبْ
وأَنْ تَنْهَضَ الأَشْرَافُ عِنْدَ سَمَاعِهِ قِيَامًا صُفُوفًا أَوْ جُثِيًّا عَلَى الرُّكَبْ

قام في الحال الإمام السبكي وجميع من كان في المجلس، فصار وجدًا عظيمًا في المجلس»[1].

ثانيًا: تقديم العقيقة لسلامة القائد المهدي:

العقيقة مستحبة للإنسان إذا جاءه مولود ذكر أو أنثى، بكبش أو أكثر، وهذا حمايةً وحفظًا للمولود.

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن العقيقة فقال: «شَاةٌ أَوْ بَقَرَةٌ أَوْ بَدَنَةٌ، ثُمَّ يُسَمَّى، وَيُحْلَقُ رَأْسُ الْمَوْلُودِ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُتَصَدَّقُ بِوَزْنِ شَعْرِهِ ذَهَبًا أَوْ فِضَّة»[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كُلُّ امْرِئٍ مُرْتَهَنٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَقِيقَتِه»[3].

وقد تصدَّق العسكري عن ابنه الحجة بعشرة آلاف رطل خبز، وعشرة آلاف رطل لحم، وعقَّ عنه بثلاثمائة شاة، بعثها حية من يومه إلى بني هاشم وشيعة أهل البيت عليهم السلام.

فعن أبي جعفر العمري قال: «لما وُلد السيد عليه السلام قال أبو محمد عليه السلام: ابعثوا إلى أبي عمرو، فبُعث إليه، فصار إليه، فقال له: اشترِ عشرة آلاف رطل

(١) النجم الثاقب، ج٢، ص٤٧٤.
(٢) وسائل الشيعة، ج٢١، ص ٤٢٣.
(٣) وسائل الشيعة، ج٢١، ص ٤١٢.

خبز[١]، وعشرة آلاف رطل لحم، وَفَرِّقْهُ»[٢].

وقال الحسين بن حمدان الحضيني في كتاب الهداية عن صاحب نفقة أبي محمد عليه السلام، أنه قال: «وجه مولاي أبو محمد عليه السلام بأربعة أكبش، وكتب إلي: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، عُقَّ هذا عن ابني محمد المهدي، وَكُلْ -هنأك اللَّه- وأطعم من وجدتَ من شيعتنا»[٣].

ثم بعث للخاصة يخبرهم بولادته، وأنه الوصي من بعده.

إكثار العقائق عن الإمام المهدي عليه السلام:

عندما نتكلّم عن موضوع الغيبة فمن أهم الإجراءات المتعلقة بهذا الموضوع هو الإكثار من العقائق عن الحجة عجل الله فرجه، لارتباطه بموضوع الغيبة، ولأنه يؤكّد أن هذا الغائب صلوات اللَّه وسلامه عليه مولود موجود.

وأول إجراء اتَّخذه الإمام العسكري سلام اللَّه عليه فيما تفيد الروايات: «أنه أكثر من العقائق عن الإمام المهدي عليه السلام، وهذه من خواصه حيث لم يُعَقَّ عن مولود على الإطلاق كما عُقَّ عن الإمام صاحب الأمر عليه السلام، حتى ورد في رواياتنا: أنه عق عنه ثلاثمائة عقيقة، بل أمر الإمام العسكري عليه السلام عثمان بن سعيد أن يشتري كذا ألف رطل -الرطل قرابة ثلث كيلو غرام- من اللحم وممَّا شاكل، ويوزّعه على الفقراء. والشيء الملفت للنظر أن الإمام نوَّع وعدَّد الأماكن، مثلًا كتب إلى خواصِّه في قم أن يعقُّوا وأن يقولوا للناس: إن هذه العقيقة بمناسبة ولادة المولود الجديد للإمام العسكري عليه السلام، وإنه

(١) الرطل ٣٣٣,٣ غرام.
(٢) جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي، ج٢٦، ص ٧٥٢.
(٣) مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٥٤.

محمد، وهكذا -مثلًا- كتب إلى خواصِّه في بغداد وفي سامراء.

هذه عناية من الإمام سلام اللَّه عليه، كثرة العقائق وإخبار الناس بمناسبة هذه العقائق ومن ذبحت عنه هذه العقيقة مثلًا، هذا كلّه إجراء أول أراد منه الإمام سلام اللَّه عليه عملية إعلامية بأن هذا الإمام الثاني عشر المنتظر صلوات اللَّه وسلامه عليه قد ولد، وقد تشرَّفت البشرية والعالم بإشراق نور وجهه المقدَّس»[1].

ثالثًا: قراءة دعاء الغريق:

عن عبداللَّه بن سنان قال: قال أبو عبداللَّه عليه السلام: «ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى، ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلَّا من دعا بدعاء الغريق. قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: تقول يا أللَّه، يا رحمن يا رحيم، يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك. فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار، ثبِّت قلبي على دينك، فقال عليه السلام: ان اللَّه عزوجل مقلب القلوب والأبصار، ولكن: قل كما أقول: يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك»[2].

إن تسمية هذه الكلمات الشريفة في هذه الرواية بدعاء الغريق لها دلالاتها، فكما لا يشكّ أحد في صدق دعاء إنسان تتقاذفه الأمواج ويحاصره الموت من كل مكان، كذلك المؤمن قد يتعرَّض لمحاولات اغتيال عقائدي فتحاصره الشكوك وتحيط به الشبهات، فإن تلك الكلمات هي صرخة استغاثة باللَّه لتثبيت إيمانه.

إن القول: «ادع بدعاء الغريق» رمز لحالة الصدق في الدعاء، فمثلًا فيما

(١) الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، فاضل المالكي، ص٣٣.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٣٥٢.

ناجى به اللَّه عيسى بن مريم: «يَا عِيسَى، ادْعُنِي دُعَاءَ الْغَرِيقِ الْحَزِينِ الَّذِي لَيْسَ لَه مُغِيثٌ»[١].

يقول العلَّامة المجلسي: «أي كدعاء من أشرف على الغرق، فإن الإخلاص والخضوع فيه أخلص من سائر الأدعية؛ لانقطاع الرجاء عن غيره سبحانه»[٢].

وعن عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيه، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِه عَنِ ابْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ لِابْنِه: يَا بُنَيَّ، مَنْ أَصَابَه مِنْكُمْ مُصِيبَةٌ أَوْ نَزَلَتْ بِه نَازِلَةٌ، فَلْيَتَوَضَّأْ ولْيُسْبِغِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ فِي آخِرِهِنَّ: يَا مَوْضِعَ كُلِّ شَكْوَى، ويَا سَامِعَ كُلِّ نَجْوَى، وشَاهِدَ كُلِّ مَلأٍ، وعَالِمَ كُلِّ خَفِيَّةٍ، ويَا دَافِعَ مَا يَشَاءُ مِنْ بَلِيَّةٍ، ويَا خَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ، ويَا نَجِيَّ مُوسَى، ويَا مُصْطَفِيَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، أَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنِ اشْتَدَّتْ فَاقَتُه، وقَلَّتْ حِيلَتُه، وضَعُفَتْ قُوَّتُه، دُعَاءَ الْغَرِيقِ الْغَرِيبِ الْمُضْطَرِّ، الَّذِي لَا يَجِدُ لِكَشْفِ مَا هُوَ فِيه إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. فَإِنَّه لَا يَدْعُو بِه أَحَدٌ إِلَّا كَشَفَ اللَّه عَنْه إِنْ شَاءَ اللَّه»[٣].

فلا شيء يمنع استجابة دعاء المؤمن إذا دعاه بلسان وروحية الغريق، إلَّا إذا غرق الإنسان في عالم الرياء والطمع.

عن عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيه، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: «:قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَخْبُثُ فِيه

(١) الكافي، ج٨، ص١٣٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٩٠.
(٣) الكافي، ج٢، ص٥٦١.

سَرَائِرُهُمْ وتَحْسُنُ فِيه عَلَانِيَتُهُمْ طَمَعًا فِي الدُّنْيَا، لَا يُرِيدُونَ بِه مَا عِنْدَ رَبِّهِمْ، يَكُونُ دِينُهُمْ رِيَاءً، لَا يُخَالِطُهُمْ خَوْفٌ، يَعُمُّهُمُ اللَّه بِعِقَابٍ، فَيَدْعُونَه دُعَاءَ الْغَرِيقِ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ»[١].

إن دعاء الغريق الوارد في رواية «ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم..» يستحب أن يلتزم به المؤمن في زمن الغيبة حتى يبقى على ولاية أهل البيت عليهم السلام؛ لأن هناك إناسًا سقطوا في المسير، فـ«من التكاليف في ظلمات أيام الغيبة التضرُّع والمسألة من اللَّه تبارك وتعالى لحفظ الإيمان والدين من تطرُّق شبهات الشياطين»[٢].

رابعًا: الحج نيابة عن المهدي:

ومن الأمور التي تقوي العلاقة بالحجة عجل الله فرجه أن يحج المؤمن نيابةً عن الإمام الحجة عجل الله فرجه، فهي تقوي العلاقة بالإمام عليه السلام، وقد كان «الحج بنيابته صلوات اللَّه عليه، وبعث النائب ليحج عنه، وهذا كان أمرًا متداولًا ومعتادًا في الشيعة في قديم الأزمان. ويدل على حسنه ورجحانه -مضافًا إلى أنه صلة وبرٌّ ومودّة من المؤمن إلى إمام زمانه عليه السلام- عدة روايات مروية في كتب أصحابنا رضي اللَّه تعالى عنهم، منها ما ورد في استحباب الحج نيابة عن المؤمنين مطلقا، وفضل ذلك.

كرواية ابن مسكان المروية في الكافي عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قلت له عليه السلام: الرجل يحجُّ عن آخر، ما له من الأجر والثواب؟ قال عليه السلام:

(١) الكافي (ط - دار الحديث)، ج٣، ص ٧٢٤.
(٢) النجم الثاقب، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج٢، ص٤٧٥.

للذي يحج عن رجل أجر وثواب عشر حججٍ»[١].

و«الروايات الدالة على فضل إشراك المؤمنين مطلقًا في الحج المندوب، فإنها تدل بفحاويها على استحباب الحج التام عن كل مؤمن، بطريق أولى، فيظهر منها استحباب الحج عن إمام المؤمنين، بنحو أولى فأولى، كرواية محمد بن الحسن المروية في الكافي وغيره عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: لو أشركت ألفًا في حجتك، لكان لكل واحد حجة، من غير أن تنقص حجتك شيئًا»[٢].

خامسًا: الإعلان عن الحزن والألم:

وممَّا يقوّي علاقتنا الوجدانية بالحجة عجل الله فرجه أن نستشعر الحزن والهمّ والغمّ لغيبة الإمام عجل الله فرجه فعلًا، فهل نشعر بالحزن، ونتأثّر كثيرًا، ونبكي ونناجي الإمام: إلى متى يا صاحب العصر والزمان، لقد طال الانتظار؟

يشير الإمام الرضا عليه السلام -وهو جد للإمام الحجة عجل الله فرجه- إلى حالة ستأتي على المؤمنين، يحزنون لغيبة إمامهم، قال: «بأبي وأمي، سميّ جدي صلى الله عليه وآله، شبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السلام، عليه جيوب النور تتوقَّد بشعاع ضياء القدس، كم من حرَّى مؤمنة، وكم من مؤمن متأسِّف حيران حزين عند فقدان الماء، المعين»[٣] يعني به الحجة عجل الله فرجه.

وفي هذا الصدد نقرأ دعاء الندبة في يوم الجمعة والعيدين وعيد الغدير، ولو قرئ كل يوم فلا بأس بذلك؛ لأن في هذا الدعاء مقاطع يستشعر المؤمن

(١) مكيال المكارم، ج٢، ص١٩٤.
(٢) مكيال المكارم، ج٢، ص١٩٥.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص ٧.

فيها الحزن والألم. وهو دعاء وارد منه عليه السلام: «عزيز علي أن أرى الخلق ولا ترى ولا أسمع لك حسيسا ولا نجوى عزيز علي أن تحيط بك دوني البلوى ولا ينالك مني ضجيج ولا شكوى بنفسي أنت من مغيب لم يخلو منا بنفسي أنت من نازح ما نزح عنا بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى من مؤمن ومؤمنة ذكر فحنى عزيز علي أن أبيكك ويخذلك الورى

عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَأَنْتَ لَا تُرَى، وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيسًا وَلَا نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَن تُحِيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوَى، وَلَا يَنَالَكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوَى. بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شَائِقٍ يَتَمَنَّى، مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرَا فَحَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدِ عِزٍّ لَا يُسَامَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلِ مَجْدٍ لَا يُجَازَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ تِلَادِ نِعَمٍ لَا تُضَاهَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيفِ شَرَفٍ لَا يُسَاوَى. إِلَى مَتَى أُحَارُ فِيكَ يَا مَوْلَايَ، وَإِلَى مَتَى، وَأَيَّ خِطَابٍ أَصِفُ فِيك وَأَيَّ نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجَابَ دُونَكَ وَأُنَاغَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى»[1].

وقد ذكر الحر العاملي في مستحبات العيدين استشعار الحزن في العيدين لاغتصاب آل محمّد حقّهم.

قال الباقر عليه السلام: «ما من عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلّا وهو يجدّد اللّه لآل محمّد عليه وعليهم السّلام فيه حزنًا، قال: قلت: وَلِمَ؟ قال: إنّهم يرون حقّهم في أيدي غيرهم»[2].

وللعلم، تناول الفقهاء هذه الرواية نقدًا وإبرامًا في مسألة اشتراط إقامة

(١) المزار الكبير، لابن المشهدي، ص ٥٨٢.
(٢) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، ج٣، ص٢٦٩.

الجمعة بوجود الإمام أو من ينصبه، وفي تقرير بحث البروجردي للشيخ الاشتهاردي ورد: «من أدلَّة الاشتراط خبر عبد اللَّه بن ذبيان الَّذي رواه الكليني والشيخ في الكافي والتهذيب مسندًا، وكذا الصدوق في العلل، ورواه في الفقيه مرسلًا عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا عبد اللَّه، ما من يوم عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلَّا وهو يجدّد (اللَّه) لآل محمّد عليهم السلام فيه حزنًا قال: قلت: وَلِمَ؟ قال: إنهم يرون حقّهم في أيدي غيرهم.

تقريب الاستدلال: أنّ وجه تجديد الحزن لآل محمّد عليهم السلام يوم العيد عدم بروز حقّهم في متن الواقع، وأنّه قد غصب حقّهم، والمفروض أنّ الجمعة -أيضًا- كما يُومئ إليه كلام علي عليه السلام في خطبة يوم الجمعة: ألا أنّ هذا اليوم، يوم جعله اللَّه لكم عيدًا، وهو سيّد أيّامكم، وأفضل أعيادكم»[1].

سادسًا: الإحاطة المعرفية بالمهدي:

من التكاليف المهمة في هذه المرحلة ترسيخ المعرفة بإمام العصر عجل الله فرجه، فلا بد أن يكون الإنسان مطّلعًا ضليعًا في معرفة من هو إمامه، وظروف غيبته، وحتمية ظهوره، وأنه حي موجود، وأنه يراقب أعمالنا، وأنه سيظهر.

والغاية من الحديث عن الإمام المهدي هي ترسيخ هذه المعرفة مرتبطةً بوجوده عليه السلام وغيبته وحياته، وبدوره وظهوره بعد الغيبة، وبتكليفنا في غيبته.

هذه العناوين لا بد لكل واحد مِنَّا من الاطّلاع عليها بمعرفة راسخة وليست سطحية تقود إلى التشكيك، والتشكيك يقود إلى أسئلة غير منهجية.

(١) تقرير بحث السيد البروجردي، ج٢، ص٢٣٤.

يقول السيد ابن طاووس:

«سألني بعض من يذكر أنه معتقد لإمامته فقال: قد عرضت لي شبهة في غيبته، فقلت: ما هي؟ فقال: أما كان يمكن أن يلقى أحدًا من شيعته ويزيل الخلاف عنهم في عقائد ويتعلق بدين جده محمد صلى الله عليه وآله وشريعته.

واشترط عليَّ أَلَّا أجيبه بالأجوبة المسطورة في الكتب، وذكر أنه ما زال الشبهة منه ما وقف عليه ولا ما سمعه من الآعذار المذكورة>

فقلت: أيهما أقدر على إزالة الخلاف بين العباد؟ وأيما أعظم وأبلغ في الرحمة والعدل والإرفاد« أليس اللَّه جل جلاله؟

فقال: بلى.

فقلت له: فما منع اللَّه جل جلاله أن يزيل الخلاف بين الأمم أجمعين، وهو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وهو أقدر على تدبير ذلك بطرق لا يحيط بها علم الآدميين، أفليس أن ذلك لعذر يقتضيه عدله وفضله على اليقين؟

فقال: بلى.

فقلت له: فعذر نائبه عليه السلام هو عذره على التفصيل؛ لأنه ما فعل فعلًا إلَّا ما يوافق رضاه على التمام.

فوافق وزالت الشبهة، وعرف صدق ما أورده اللَّه جل جلاله على لساني من الكلام»[1].

فمن أهم التكاليف في زمن الغيبة ترسيخ العقيدة المرتبطة بالإمام الحجة عجل الله فرجه، وذلك يتم عن طريق قراءة روايات أهل البيت عليهم السلام الصادرة

(١) كشف المحجة لثمرة المهجة، ابن طاووس، ص١٤٩.

من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، الذي تحدَّث عن نفسه، وقد ذكرنا بعضها.

ومتى حصلتُ على معرفة بالقضية المهدوية فإنها تقودني لمعرفة ما هو تكليفي. أما إذا لم أكن عارفًا بالحجة عجل الله فرجه الشريف، موقنًا بوجوده وحياته وغيبته ثم بظهوره لا تكون عندي الرغبة في أن أتحمّل مسؤولياتي تجاه الإمام زمن الغيبة، وحين ذاك ترى أيَّ اتجاه يسير فيه الإنسان، ونحو أيَّة هاوية يتَّجه.

مَنْ يعْرف الإمام الآخر وهو يجهل الأول:

إن معرفة الأئمة قائمة على قاعدة أساسية، وهي لا يُعرف الإمام اللاحق ويجهل الإمام السابق، فكيف تعرف الحجة عجل الله فرجه الشريف وأنت تجهل الإمام العسكري عليه السلام.

عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليه السلام أَنَّه قَالَ: «لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَعْرِفَ اللَّه ورَسُولَه والأَئِمَّةَ كُلَّهُمْ وإِمَامَ زَمَانِه، ويَرُدَّ إِلَيْه ويُسَلِّمَ لَه. ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَعْرِفُ الآخِرَ وهُوَ يَجْهَلُ الأَوَّلَ»[1].

يقول العلَّامة المجلسي: «وقوله: ويَرُدَّ إِلَيْه ويُسَلِّمَ لَه» بيان لجهة الاحتياج إلى معرفة إمام زمانه. وقوله: «كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول» إشارة إلى أن سبب اعتبار معرفة الأئمة كلهم هو توقف معرفة صاحب الزمان على معرفة الأئمة السابقين كلهم؛ لأن إمامة كل لاحق إنما تُعرف بنص السابق عليه، أو أن طريق المعرفة واحدة، فلو علم إمامة إمام زمانه بالمعجزة فقد تواترت المعجزات عن السابقين، وأما معرفة إمام الزمان ومدخليتها في

(١) الكافي (ط - دار الحديث)، ج١، ص ٤٤٢.

الإيمان، فلما تواتر عن النبي ﷺ: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[١].

أعمالنا بمحضر الحجة فاحذروا:

من النتائج المفيدة من معرفتنا بالإمام الحجة العلم بأن الإمام يطّلع على أعمالنا وأفعالنا، وهذه المعرفة تستوجب الامتناع عن ارتكاب المحرمات وفعل القبائح.

ألسنا نقرأ في القرآن ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[٢].

إن من المؤسف أن يجهل الإنسان مَنْ جعل اللَّه لهم مقام رؤية أعمال العباد والشهادة عليها، وهم أولوا الأمر الذين أمر اللَّه بطاعتهم في آية الطاعة، أي أصحاب الأمر المتنزّل عليهم في ليلة القدر، فإنّ إسناد الرؤية التي للَّه والرسول والمؤمنين صريح في كون الرؤية عبارة عن العلم الحضوري تبعًا علم الباري وفي طوله[٣].

وقد رُوي «أن أعمال العباد تُعرض على رسول اللَّه ﷺ وعلى الأئمة عليهم السلام كل يوم، أبرارها وفجارها فاحذروا، وذلك قول اللَّه عز وجل: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[٤].

وإنما قال: ﴿**فَسَيَرَى اللَّهُ**﴾ على وجه الاستقبال وهو عالم بالأشياء قبل

(١) مرآة العقول، المجلسي، ج٢، ص٣٠١.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٥.
(٣) أسس النظام السياسي عند الإمامية، محمد السند، ص١٥٤.
(٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج١، ص١٩١.

وجودها؛ لان المراد بذلك أنه سيعلمها موجودةً بعد أن علمها معدومةً، وكونه عالمًا بأنها ستوجد من كونه عالمًا بوجودها إذا وجدت، لا يجدّد حال له بذلك»[1].

والذي ينظر إلى عملي وعملك هو صاحب الأمر عج ولهذا ورد في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام أنه ينبغي للإنسان دائما الدعاء أن يعرفه الله الإمام الحجة عج، فمتى ما عرفت إمامك ازداد إيمانك بالإيمان.

اللهم عرفني حجتك:

وهو دعاء مذكور في الكافي ومفاتيح الجنان ويستحب للإنسان دائمًا أن يدعو بهذا الدعاء، يسأل اللَّه عزَّ وجلَّ أن يُعرِّفه الإمام الحجة عجل الله فرجه حتى تترسّخ تلك المعرفة.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ مُوسَى، عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ لِلْغُلَامِ غَيْبَةً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ.

قَالَ: قُلْتُ: ولِمَ؟

قَالَ: يَخَافُ، وأَوْمَأَ بِيَدِه إِلَى بَطْنِه.

ثُمَّ قَالَ: يَا زُرَارَةُ، وهُوَ الْمُنْتَظَرُ، وهُوَ الَّذِي يُشَكُّ فِي وِلَادَتِه، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَاتَ أَبُوه بِلَا خَلَفٍ، ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: حَمْلٌ، ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّه وُلِدَ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيه بِسَنَتَيْنِ. وهُوَ الْمُنْتَظَرُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يَمْتَحِنَ الشِّيعَةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَابُ الْمُبْطِلُونَ يَا زُرَارَةُ.

(١) تفسير التبيان، الطوسي، ج٥، ص٢٩٥.

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ أَيَّ شَيْءٍ أَعْمَلُ؟

قَالَ: يَا زُرَارَةُ، إِذَا أَدْرَكْتَ هَذَا الزَّمَانَ فَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي»[١].

و«مفاد هذا الدعاء هو أن منظومة المعارف إنما تصحّ وتكون صائبة مع صوابية وحقّانية معرفة الإنسان بربّه، وأن الخلل الناشئ في معرفة الأنبياء والرسل منبعه الخلل في معرفة اللَّه تعالى الصحيحة والتامَّة، كما أن الخلل في معرفة الحجج والأوصياء والأئمّة منشؤه الخلل في معرفة الرسول، وبالتالي يكون ناشئًا من الخلل والنقصان في المعرفة المتعلّقة باللَّه تعالى، كما تشير إلى هذه الحقيقة مجموعة من الآيات القرآنية، منها:

قوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾[٢]، فإنكار الرسل وعدم الإيمان بهم ناشئ من جهلهم بقدر الباري وقدرته، وعظيم حكمته وتدبيره، ومن خلل المعرفة في أفعال اللَّه عزّ وجلّ.

ومن ثمّ، هذا يؤكّد أن الذي ينفي الوسائط والوسائل والرسل والحجج، منشأ نفيه نقصان معرفته باللَّه تعالى»[٣].

حيث إن «معرفة الرَّبّ إنما تتحقّق بمعرفته على وجه يليق به، وهي معرفته بصفات ذاته وأفعاله، ومن جملتها إرسال النبي، فلو لم يُعرّف الرَّبّ

(١) الكافي، الكليني، ج١، ص٣٢٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٩١.
(٣) الإمامة الإلهية، محمدالسند، ج٤، ص٤٧.

نفسه للعبد لم يعرف العبد نبيه كما لم يعرف اللَّه، وقس عليه ما يتلوه»[١].

و«أصول العقائد الإسلامية ومنتهى المقاصد الدينية هي التوحيد والنبوة والإمامة المشار إلى جملتها بالأسماء الثلاثة، فإن الأصل الأول وإن كان هو التوحيد إلَّا أن الإقرار به لا يتم ولا يُقبل ولا ينفع إلَّا بالإقرار بالنبوة، كما أن الإقرار بالنبوة لا يتم إلَّا بالإقرار بالولاية، فهو الكاشف الأخير عن الأول، كما يستفاد ذلك من الأخبار الكثيرة التي تعرّضنا لها في غير المقام، بل كلٌّ من التاليين لا يتم ولا يتحقّق إلَّا بسابقه، كما في دعاء الحجة عجل الله فرجه الإشارة إليه: اللهم عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك. اللهم عرّفني رسولك، فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك. اللهم عرّفني حجتك، فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني»[٢].

«لم نسمع بالحجة» أمر خطير:

مشكلة عند البعض أنه لا يملك معرفة بالإمام عجل الله فرجه، ويشكّك في هذه القضية المهمة. نقول له: اذهب وابحث واقرأ، فإذا كان هناك مَنْ لم يكن يركب سفينة النجاة ولكنه بالانفتاح النفسي والثقافي والمطالعة نجا وركب السفينة، فكيف بِمَنْ فتح عينيه على الدنيا في أحضان أسرة تلهج ألسنتها بذكر قادة سفينة النجاة.

يقول فيصل سعود صالح الدويسان[٣] في مقابلة تلفزيونية: «الشرارة

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني، ج٦، ص٢٤٥.
(٢) تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي، ج٣، ص٢٨٣.
(٣) نائب سابق في مجلس الأمة الكويتي.

الأولى انطلقت للتشيع ١٩٧٩م عندما دخل جيهمان الحرم المكي وأعلن أنه يقدّم المهدي محمد بن عبداللَّه القحطاني. سألت من هو المهدي المنتظر، قيل: رجل يخرج آخر الزمان ويصلي خلفه النبي عيسى، قلت: رجل بهذه العظمة ولم نسمع به، أمر خطير!

منذ ذلك اليوم أبحث عنه في كتب السنة والجماعة، وقرأت هو رجل جليل القدر، عظيم المكانة، له إنجازات، وصلاح حال الأمة على يديه، قرأت وقرأت حتى نضبت مصادر السنة في هذا الموضوع.

وذهبت لمصادر الشيعة ووجدت بحثًا طويلًا عريضًا، ووجدت أن الشيعة والسنة يشتركان في وجود هذا الرجل وعلامات ظهوره، حتى بدأت القراءات، وأول مرة أسمع أئمة غير الأئمة الذين عرفناهم، وجدتهم نِعْمَ الأئمة، ولكن لم أصل إلى قناعة كاملة، ولكن من خلال القراءات الكثيرة وجدت ما نحمله على الشيعة هو مردود عليه حتى في كتبنا أهل السنة.

بعد ذلك بقيت خطوة بسيطة، بعد ذلك أيدني اللَّه برؤى عظيمة القدر ووجدت بركتها، رأيت رسول اللَّه ﷺ أولًا، وبعد ذلك المهدي المنتظر، ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتكرّرت الرؤى بشكل متكرّر، وهذا سنة ١٩٩٣م اتّخذت قرار اتّباع أهل البيت مباشرة كما أعرفهم الآن، وهي فرقة الشيعة الإمامية».

قدِّمْ حوائجه على حوائجك:

من التكاليف التي أكدت عليها الروايات الشريفة الارتباط الوجداني بالإمام عجل الله فرجه. وفي هذا الموضوع ورد -عن أهل البيت عليهم السلام- ما يقوّي هذه

العلاقة بين المؤمن والإمام عجل الله فرجه من خلال مجموعة من التوجيهات الواردة في الروايات والأدعية التي تُعمِّق العلاقة بالإمام الحجة عجل الله فرجه.

وقبل ذكر ما ينبغي علينا عمله، وما ورد في الروايات من تكاليف تعمّق العلاقة مع الحجة عجل الله فرجه، أنقل بعض ما أوصى به السيد الأجل علي بن طاووس رضي الله عنه، وأمر ولده في كتاب (كشف المحجة) في كيفية آدابه ووظائفه تجاه مولانا صاحب الزمان عليه السلام، حيث قال:

«فكن في موالاته والوفاء له وتعلّق الخاطر به على قدر مراد اللَّه ومراد رسوله صلى الله عليه وآله، ومراد الأئمة عليهم السلام منك، وقدِّم حوائجه على حوائجك عند صلوات الحاجات، والصدقة عنه قبل الصدقة عنك وعمَّن يعزُّ عليك، والدعاء له قبل الدعاء لك، وقدِّمه في كل خير تكون فاعله، فإنه يكون مقتضيًا لإقباله عليك، وإحسانه إليك... إلى آخر ما قال أعلى الله تعالى شأنه مقامه وزاد إكرامه»[1].

سابعًا: دفع الصدقة نيابة عن المهدي عجل الله فرجه:

الصدقة عن الإمام الحجة عجل الله فرجه تقوِّي العلاقة مع الإمام عجل الله فرجه، وأنت حينما تدفع صدقة بعنوان حفظ الإمام الحجة وتعجيل فرجه هي بالتالي تشكّل علاقة بينك وبين الإمام عجل الله فرجه، فعلى الإنسان بين فترة وأخرى أن يتصدَّق وَلْيَنْوِهَا عن الحجة عجل الله فرجه، أو لِيُشْرِكَ الإمام الحجة في صدقته.

وقال السيد ابن طاووس في كتاب (أمان الأخطار) في ضمن دعاء التصدّق حين السفر، ذكره هكذا «اللهمّ إنّ هذه لك ومنك، وهي صدقة عن

(١) مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ج٢، ص١٨٨.

مولانا م ح م د عجّل اللّه فرجه وصلّى عليه بين أسفاره وحركاته وسكناته في ساعات ليله ونهاره، وصدقة عمّا يعنيه أمره وما لا يعنيه، وما يضمنه وما يخلفه المروي في الوسائل والبحار وغيرهما، قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام أحج وأصلي وأتصدق عن الأحياء والأموات من قرابتي وأصحابي؟ قال عليه السلام نعم تصدق عنه، وصل عنه، ولك أجر آخر، بصلتك إياه»[1].

أقول (الكلام لمؤلف مكيال المكارم): «لفظ السؤال وإن كان خصوص القرابة والأصحاب، لكن لا ريب في أن ذكرهما بالخصوص، من جهة أن الغالب من حال الإنسان، أنه لا يحجّ ولا يتصدّق ولا يصلي ولا يزور ولا يفعل فعلًا حسنًا إلَّا عمَّن كان له خصوصية وارتباط بينه وبين هذا النائب، الذي يفعل ذلك الفعل الحسن كما نرى بالعيان، من حال أفراد الإنسان، ولهذا ذكرهما في السؤال، فتبيّن أن ذكرهما من باب المثال.

والمراد هو السؤال عن جواز النيابة في الطاعات والخيرات عن الأحياء والأموات من المؤمنين والمؤمنات، فأجاب الإمام عليه السلام عن سؤاله بنحو أبلغ وأتم، حيث إنه عليه السلام بيَّن للسائل جواز ذلك، بقوله: «نعم»، ثم أراد بيان حسنه واستحبابه، فأمر بذلك بعد أن بيَّن له جوازه، بقوله: «تصدَّق عنه، وصلِّ عنه»، ثم أراد حضّه وترغيبه إلى هذا العمل، ببيان فضله وثوابه، فقال عليه السلام: «ولك أجر آخر». ثم أراد بيان وجه استحقاقه الأجر والثواب فنبَّه عليه، بقوله: «بصلتك إياه»، فجمع له في هذا الكلام الحكم بالجواز، بالمعنى الأعم، والاستحباب، والترغيب إليه، بذكر الأجر والثواب، وأنه بسبب كونه صلة للقرابة والأصحاب. فانظر وتدبّر أيها العاقل المُتفطِّن، أنه إذا كان الشخص يستحق الأجر لصلته أحدًا من إخوانه المؤمنين بالتصدُّق عنه، فكيف لا

(١) مكيال المكارم، ج٢، ص١٨٨.

يستحق أعظم من ذلك بصلته صاحب الأمر عليه السلام بالتصدُّق عنه، بلى يستحق، ويفوز بأفضل ثواب المتصدِّقين لصدور هذه العبادة نيابةً عن أفضل العالمين، ولا ريب أنه كلَّما كان الارتباط والخصوصية بينه وبين إمامه سلام اللَّه عليه أكمل وأتمّ، كان ثوابه في التصدُّق عنه أوفى وأتم. نسأل اللَّه تعالى أن يمنَّ علينا وعلى سائر المؤمنين بكمال مودَّته وخدمته، إنه قريب مجيب. ويشهد لما ذكرنا من كون التصدق عن الإمام عليه السلام أفضل من الصدقة عن غيره، مضافًا إلى حكم العقل بذلك، ومضافًا إلى كونه من أقسام الصلة للإمام»[1].

ويقول صاحب كتاب النجم الثاقب: «ولا يخفى أنّه كان رسول اللَّه والأئمة الطاهرون صلوات اللَّه عليهم يتصدّقون صباحًا ومساءً ونصف الليل وأوّل السفر وغير ذلك من الحالات والأوقات، للسلامة وحفظ وجودهم المقدّس من الشرّ الأرضي والسماوي، والجن والانس، ولكسب المنافع الدنيوية والأخروية، وكانوا يهتمّون بذلك كما استوفينا تلك الأخبار في (الكلمة الطيّبة)؛ مع علمهم بالمنايا والبلايا والآجال وسائر الحوادث، ويتصدّقون بها منها.

ولا فرق في ذلك بين أن يتصدّق بنفسه لدفع البلاء، أو يكون المتصدّق أحد الرعايا لدفع تلك البليّة عن وجوده المقدّس؛ إلّا في شيء واحد وهو أن الأولى أجمعت فيها جميع الشروط التي تجعل الصدقة مؤثّرة، وعدم توافر أكثر تلك الشروط في كثير من صدقات غيرهم، ولا يكون هذا مانعًا من رجحان هذا الفعل وأداء التكليف، فلا يتوهّم أن الإمام الحجة عليه السلام مستغنيًا وغير محتاج، بل إنّه مُبَرَّأ وَمُنَزَّه من صدقة الرعايا؛ لأنه تكليف من شؤون

(١) المصدر السابق.

العبودية، وأداء لحقّ الجلالة، وأداء لحق تربيته عليه السلام، فكلّما كان مقام ولي النعم أعلى، ومرتبة الرعيّة أدنى فسوف تزداد أهميّة هذا التكليف وباقي آداب العبودية، كما هو غير خفي على صاحب المعرفة»[١].

ثامنًا: زيارته في كل يوم:

ممَّا يؤكّد عليه في زمن الغيبة المواظبة على زيارة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فإذا لم تقدر على الذهاب لسامراء فليكن حيث كنت. يقول صاحب الجواهر: «يستحب مؤكَّدًا زيارة الإمام المهدي الحجة صاحب الزمان أبي القاسم محمد بن الحسن عجَّل اللَّه فرجه وسهَّل اللَّه مخرجه.... ويستحب زيارته في كل مكان وكل زمان، والدعاء بتعجيل الفرج في زيارته، وتتأكَّد زيارته في السرداب المعروف بسر من رأى»[٢].

فيوم الجمعة هو يوم توقُّع خروجه، وهناك أعمال لمثل هذا اليوم، منها دعاء العهد، نقرؤه كل يوم صباحًا في المسجد، ومنها دعاء الندبة، وهو مرتبط بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومنها زيارة الإمام في مثل هذا اليوم، حيث يستحب زيارته في يوم الجمعة.

وعن السّيّد ابن طاووس - في زِيارَةِ الإمامِ المَهدِيِّ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ -: «اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وأهلِ بَيتِهِ، وأرِنا سَيِّدَنا وصاحِبَنا وإمامَنا ومَولانا صاحِبَ الزَّمانِ، ومَلجَأَ أهلِ عَصرِنا، ومَنجَى أهلِ دَهرِنا، ظاهِرَ المَقالَةِ، واضِحَ الدَّلالَةِ، هادِيًا مِنَ الضَّلالَةِ، مُنقِذًا مِنَ الجَهالَةِ»[٣].

---

(١) النجم الثاقب، ميرزا حسين النوري، ج٢، ص٤٧١.
(٢) جواهر الكلام، الجواهري، ج٢٠، ص١٠٠.
(٣) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٩٩، ص ٨٧.

اللّهمّ إنّي أعتذر إليك من جهلي.

اللّهمّ إنّي أستجير بك من جهلي.

اللّهمّ اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به منّي.

اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وعجّل فرج قائمهم، واملأ به الأرض نورًا بعد ظلمتها، وعلمًا بعد جهلها، وارزقنا عقلًا كاملًا، وعزمًا ثاقبًا، ولبًّا راجحًا، وقلبًا ذكيًّا، وعلمًا كثيرًا، وأدبًا بارعًا، واجعل ذلك كلَّه لنا، ولا تجعله علينا. اللّهمّ صلّ على محمّد وآله، وتقبّل منّا، يا مبدّل السيّئات بالحسنات، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

النشيد الملائكي «اللهم كن لوليك»:

ومن الأعمال التي ينبغي المداومة عليها الدعاء له بالحفظ، وتعجيل الفرج وبالعافية، ودعاء «اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن» من أشهرها: «اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه، في هذه الساعة وفي كل ساعة، وليًّا وحافظًا، وقائدًا وناصرًا، ودليلًا وعينًا، حتى تسكنه أرضك طوعًا، وتمتعه فيها طويلًا».

ومن الطبيعي أن الأئمة صلوات اللّه عليهم يذكرون هذا الدعاء ليُعلِّموا شيعتهم. ومن تعبيرهم بـ«الحجة» فقط يُعلم مدى حالة الكتمان والتكتُّم، حتى أن الوارد في الدعاء المتقدم «اللهم كن لوليك فلان ابن فلان» كتمانًا للاسم المبارك»[1].

(١) الإمام المهدي، بين التواتر وحساب الإحتمال، محمد باقر الايرواني، ص٣٠.

أما لماذا نؤكِّد على هذا الدعاء ونقرؤه في كل المناسبات، والخطباء يقرؤونه بعد مجالسهم؟ فلأن هذا من باب الارتباط بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد كان السيد محمد هادي الحسيني الميلاني[١] المتوفَّى ١٣٩٥هـ يؤكّد على المشرفين على إدارة المدارس التي أسّسها بضرورة وقوف الطلاب دقائق صباح كل يوم قبل بدء الدروس لغرض الدعاء للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فكان النشيد الملائكي يرتفع من حناجر الطلاب:

«اللهم كن لوليّك الحجة بن الحسن المهدي صلواتك عليه وعلى آبائه، في هذه الساعة وفي كل ساعة، وليًّا وحافظًا، وقائدًا وناصرًا، ودليلًا وعينًا، حتّى تسكنه أرضك طوعًا، وتُمتِّعه فيها طويلًا، اللهم اجعلنا من أنصاره وأعوانه وشيعته ومحبّيه، ومن المنتظرين له».

وقد ألقى خطابًا توجيهيًّا في وفد المبلِّغين الذين كانوا على أُهبة السفر إلى مختلف نقاط إيران لدعوة الناس إلى اللَّه وطاعته خلال شهر رمضان، فكان فيما قال: لا بدّ أن تُخصِّصوا خمس دقائق من كل يوم للنجوى والحديث مع إمام زمانكم، فإنه الحجة البالغة، والناظر لأعمالكم[٢].

وهناك أدعية في مفاتيح الجنان بعد دعاء العهد، منها دعاء «اللهم ادفع عن وليك»، وهو دعاء طويل، يستحب الدُّعاء به بعد دعاء العهد، لحفظ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغيبة.

(١) من المراجع البارزين بعد وافة البُروجردي في ١٩٦١هـ.
(٢) محاضرات في فقه الإمامية، السيد محمد هادي الميلاني، ص٤٣.

تاسعًا: إحياء أمره وأمر أهل بيته عليهم السلام:

إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الحجة عجل الله فرجه، فإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام مرتبط بأن نعمل بما جاء من توجيهاتهم عليهم السلام، فهي تُمثِّل الإسلام النقي الصحيح، فأنا وأنت مكلَّفان في غيبة الحجة عجل الله فرجه أن نعمل بما ورد عن آبائه منذ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم إلى زمنه عجل الله فرجه من توجيهات في مختلف فروع الدين، وأحكام عقائد وأخلاق ومواعظ، ونلتزم بذلك حتى نُرضي صاحب العصر والزمان، وَنُقِرَّ عينه بالتزامنا بما ورد عن آبائه.

وفي الرواية عنهم عليهم السلام: «وَإِنْ أَصْبَحْتُمْ يَوْمًا لَا تَرَوْنَ مِنْهُمْ -أي الأئمة- أَحَدًا فَاسْتَغِيثُوا بِاللَّهِ وَعَجِّلُوا، وَانْظُرُوا السُّنَّةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا وَاتَّبِعُوهَا، وَأَحِبُّوا مَنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ، وَأَبْغِضُوا مَنْ كُنْتُمْ تُبْغِضُونَ، فَمَا أَسْرَعَ مَا يَأْتِيكُمُ الْفَرَجُ»[1].

يقول السيد ابن طاووس: «قلت لبعض من يدعي الحرص على ظهوره والوفاء له والتأسُّف عليه: ما تقول لو أنفذ إليك المهدي عليه السلام وقال لك: إني قد عرفت من جهة آبائي عليهم السلام عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله بطريق محقّق اعتمدت عليه أني متى ظهرت الآن فإن ساعة ما تقع عينك عليَّ تموت في الحال، ومتى تأخّرت عن الظهور عشت عشرين سنة ممتَّعًا مسرورًا بالأهل والولد والمال، أفليس كنت تختار تأخّر ظهوره لأجل حياتك الفانية؟

ومنها أنني قلت لبعض من يدَّعي مغاليًا في موالاته عليه السلام: لو أنفذ إليك وقال لك: إن سلطان بلادك يعطيك بعد هذا اليوم كل يوم ألف دينار، ثم أعطاك السلطان مستمرًا على التكرار كل يوم جملة هذا المقدار، وقال عليه السلام:

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٣٢٨.

هو لك حلال زمن الغيبة. ثم أنفذ إليك عليه السلام وقال: أنا قد أذن لي في الظهور، وهذا العطاء ما كان بإذني ولا تستحقه إلَّا مع غيبتي فأيما أحب إليك أظهر وأقطع بهذا العطاء، وأحاسبك على كل ما فضل عن مؤنتك، وأجعل هذا الإدرار لبعض من بينك وبينه عداوة دنيوية ممن منزلته في الظاهر دون منزلتك، فأيما كان أحب إليك أن تطول غيبته وتأخذ العطاء كل يوم ألف دينار، أو يتعجل ظهوره ويحاسبك عليها ويقطعها ويردها إلى عدوك؟»[1].

(١) كشف المحجة لثمرة المهجة، ص١٤٩.

وسائل الارتباط بالمهدي

الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف كبقية الأئمة وردت عنه روايات وأدعية وحكم، وهناك تراث للإمام الحجة منها كتاب أحاديث الإمام الحجة أكثر من مجلد، والصحيفة المهدوية فيها ما ورد من أدعية للإمام المهدي، كدعاء الندبة، وهو من أشرف الأدعية المعروفة والمشهورة بين عامة الشيعة فضلًا عن خواصّههم، وهو ممَّا يُقرأ في زمن الغيبة، رواة السيد ابن طاووس، وتسميته بالندبة من باب الندب والنياحة لفراق الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكذلك فيه زيارات الناحية وغيرها، ودعاء الافتتاح، وهو من أدعية شهر رمضان المبارك، ويحتوي على مضامين أخلاقية وروحية تهمُّ الداعي، كما يمكن استخلاص بعض المضامين العقائدية منه، وبعد تلقي علماء الشيعة على مرِّ العصور لهذا الدعاء بالقبول والتبجيل بناء على أن قاعدة التسامح في أدلة السنن الشاملة لهذا الدعاء، بحيث يأتي به الإنسان ويُثاب ويُؤجر عليه، وشهرة الدعاء شهرة كبيرة كافية للعمل به، لم يبقَ للوقوف مجال كي يُعرض المؤمن عن العمل بهذا الدعاء أو تضعيفه؛ إذ إن عمل الأصحاب -على قول كثير من المحقّقين- جابر للضعف.

وقد جمع الشهيد الشيخ فضل اللَّه النوري من أدعية الإمام المهدي عليه السلام

(الصحيفة القائمية)، وجمع الشيخ إبراهيم بن محسن الكاشاني من أدعية المهدي -أيضًا- صحيفة سمَّاها (الصحيفة الهادية والتحفة المهدوية)[١].

وحول مقام الأئمة يتحدَّث الإمام الحجة يقول: «الذي يجب عليكم، ولكم أن تقولوا: إنا قدوة اللَّه وأئمة، وخلفاء اللَّه في أرضه، وأمناؤه على خلقه، وحججه في بلاده، نعرف الحلال والحرام، ونعرف تأويل الكتاب وفصل الخطاب».

هذه الرواية في تفسير العياشي[٢] ومعجم أحاديث المهدي[٣].

ونختم بهذا المقطع من دعاء الإمام الحجة عليه السلام للمؤمنين، وهو من أشهر أدعيته، وهي كثيرة:

«إلهي بحق من ناجاك وبحق من دعاك في البر والبحر، تفضَّل على

---

(١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب، ج٣، ص١٥٣.

(٢) تفسير العياشي من أقدم التفاسير الشيعية التي تعتمد على الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن. والعياشي من كبار محدّثي الشيعة، ومعاصر للكليني في عصر الغيبة الصغرى. ويبدو أن للكتاب بقايا فُقدت، إلَّا أن المتواجد عندنا هو من سورة الحمد حتى سورة الكهف. نقل الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ما يقارب ٣٠ رواية من تفسير العياشي، ونقل الشيخ الطبرسي ٧٠ حديثًا. ويقول العلَّامة المجلسي أنني شاهدت نسختين قديمتين لهذا التفسير.

(٣) كتاب ضمَّ في جزأيه هذين الحديثين المرويين عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة من غير أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، في شأن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وذلك باستقصاء مصادر الحديث من أول مصدر ورد فيه إلى عصرنا، وفروق متونه، وكلمات العلماء حوله، وشرح أهم غريبه، مع تقديم الروايات الواردة في مصادر الجمهور على ما ورد في مصادر الخاصة ليكون أدعى في الاحتجاج.

كما سيضم جزآه التاليان الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، مع ترتيب الروايات المفسّرة للآيات منها حسب ترتيب سور القرآن الكريم، مع فهارس علمية فنية. مجلة تراثنا، ج٢٢، ص٢٣٠.

فقراء المؤمنين والمؤمنات بالغناء والثروة، وعلى مرضى المؤمنين والمؤمنات بالشفاء والصحة، وعلى أحياء المؤمنين باللطف والكرامة، وعلى أموات المؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والرحمة، وعلى غرباء المؤمنين والمؤمنات بالرَّدِّ لأوطانهم غانمين بمحمد وآله أجمعين».

وهناك مجموعة من الوسائل والطرق لتقوية العلاقة بالمهدي، وكلها تؤدّي إلى الوصول الحقيقي إلى الإمام عليه السلام، وأما غيرها فلا.

الوسيلة الأولى: الدعاء.

الوسيلة الثانية: الزيارة.

الوسيلة الثالثة: الصلوات.

الوسيلة الرابعة: الرسائل والمخاطبات المكتوبة.

الوسيلة الأولى: الأدعية:

دعاء الندبة:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرى بِهِ قَضاؤُكَ فِي أَوْلِيائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ، إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا زَوالَ لَهُ وَلَا اضْمِحْلالَ، بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِها وَزِبْرِجِها، فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفاءَ بِهِ، فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّناءَ الْجَلِيَّ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلائِكَتَكَ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرِيعَةَ إِلَيْكَ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوانِكَ.

فَبَعْضٌ أَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ إِلَى أَنْ أَخْرَجْتَهُ مِنْها، وَبَعْضٌ حَمَلْتَهُ فِي فُلْكِكَ، وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ، وَبَعْضٌ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلًا، وَسَأَلَكَ لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ فَأَجَبْتَهُ، وَجَعَلْتَ ذلِكَ عَلِيًّا، وَبَعْضٌ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكْلِيمًا، وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِدْءًا وَوَزِيرًا، وَبَعْضٌ أَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَآتَيْتَهُ الْبَيِّناتِ، وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَكُلٌّ شَرَعْتَ لَهُ شَرِيعَةً، وَنَهَجْتَ لَهُ مِنْهاجًا، وَتَخَيَّرْتَ لَهُ أَوْصِياءَ مُسْتَحْفِظًا بَعْدَ مُسْتَحْفِظٍ، مِنْ مُدَّةٍ إِلَى مُدَّةٍ، إِقامَةً لِدِينِكَ، وَحُجَّةً عَلَى عِبادِكَ، وَلِئَلَّا يَزُولَ الْحَقُّ عَنْ مَقَرِّهِ، وَيَغْلِبَ الْباطِلُ عَلَى أَهْلِهِ وَلَا يَقُولَ أَحَدٌ: لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا مُنْذِرًا، وَأَقَمْتَ لَنا عَلَمًا هادِيًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى.

إِلَى أَنِ انْتَهَيْتَ بِالْأَمْرِ إِلى حَبِيبِكَ وَنَجِيبِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَكانَ كَمَا انْتَجَبْتَهُ سَيِّدَ مَنْ خَلَقْتَهُ، وَصَفْوَةَ مَنِ اصْطَفَيْتَهُ، وَأَفْضَلَ مَنِ اجْتَبَيْتَهُ، وَأَكْرَمَ مَنِ اعْتَمَدْتَهُ، قَدَّمْتَهُ عَلَى أَنْبِيائِكَ، وَبَعَثْتَهُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ عِبادِكَ، وَأَوْطَأْتَهُ مَشارِقَكَ وَمَغارِبَكَ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْبُراقَ، وَعَرَجْتَ بِرُوحِهِ إِلَى سَمائِكَ، وَأَوْدَعْتَهُ عِلْمَ مَا كانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى انْقِضاءِ خَلْقِكَ، ثُمَّ نَصَرْتَهُ بِالرُّعْبِ، وَحَفَفْتَهُ بِجَبْرَئِيلَ وَمِيكائِيلَ وَالْمُسَوِّمِينَ مِنْ مَلائِكَتِكَ، وَوَعَدْتَهُ أَنْ تُظْهِرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَذلِكَ بَعْدَ أَنْ بَوَّأْتَهُ مُبَوَّأَ صِدْقٍ مِنْ أَهْلِهِ، وَجَعَلْتَ لَهُ وَلَهُمْ ﴿**أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكًا وَهُدىً لِلْعالَمِينَ فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِنًا**﴾[1]، وَقُلْتَ: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2]، ثُمَّ جَعَلْتَ أَجْرَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتابِكَ، فَقُلْتَ: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا**

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٦ - ٩٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[١]، وَقُلْتَ: **﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾**[٢]، وَقُلْتَ: **﴿ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾**[٣]، فَكانُوا هُمُ السَّبِيلَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى رِضْوانِكَ.

فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقامَ وَلِيَّهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِما وَآلِهِما هادِيًا، إِذْ كانَ هُوَ الْمُنْذِرَ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ، فَقالَ وَالْمَلَأُ أَمامَهُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ والاهُ، وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَقالَ: مَنْ كُنْتُ أَنَا نَبِيَّهُ فَعَلِيٌّ أَمِيرُهُ، وَقالَ: أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ واحِدَةٍ وَسائِرُ النَّاسِ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ هَارُونَ مِنْ مُوسى، فَقال لَهُ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى إِلّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ سَيِّدَةَ نِساءِ الْعالَمِينَ، وَأَحَلَّ لَهُ مِنْ مَسْجِدِهِ مَا حَلَّ لَهُ وَسَدَّ الْأَبْوابَ إِلّا بابَهُ، ثُمَّ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ، فَقالَ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أَرادَ الْمَدِينَةَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِها مِنْ بابِها، ثُمَّ قالَ: أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوارِثِي، لَحْمُكَ مِنْ لَحْمِي، وَدَمُكَ مِنْ دَمِي، وَسِلْمُكَ سِلْمِي، وَحَرْبُكَ حَرْبِي، وَالْإِيمانُ مُخالِطٌ لَحْمَكَ وَدَمَكَ كَمَا خالَطَ لَحْمِي وَدَمِي، وَأَنْتَ غَدًا عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي، وَأَنْتَ تَقْضِي دَيْنِي، وَتُنْجِزُ عِداتِي، وَشِيعَتُكَ عَلَى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ مُبْيَضَّةً وُجُوهُهُمْ حَوْلِي فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ جِيرانِي، وَلَوْلا أَنْتَ يَا عَلِيُّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي.

وَكانَ بَعْدَهُ هُدىً مِنَ الضَّلالِ، وَنُورًا مِنَ الْعَمى، وَحَبْلَ اللَّهِ الْمَتِينَ، وَصِراطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، لَا يُسْبَقُ بِقَرابَةٍ فِي رَحِمٍ، وَلَا بِسابِقَةٍ فِي دِينٍ، وَلَا يُلْحَقُ فِي مَنْقَبَةٍ مِنْ مَناقِبِهِ، يَحْذُو حَذْوَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِما وَآلِهِما، وَيُقاتِلُ

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.
(٢) سورة سبأ، الآية ٤٧.
(٣) سورة الفرقان، الآية ٥٧.

عَلَى التَّأْوِيلِ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، قَدْ وَتَرَ فِيهِ صَنادِيدَ الْعَرَبِ، وَقَتَلَ أَبْطالَهُمْ، وَناوَشَ ذُؤْبانَهُمْ، فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقادًا بَدْرِيَّةً وَخَيْبَرِيَّةً وَحُنَيْنِيَّةً وَغَيْرَهُنَّ، فَأَضَبَّتْ عَلَى عَداوَتِهِ، وَأَكَبَّتْ عَلَى مُنابَذَتِهِ، حَتَّى قَتَلَ النَّاكِثِينَ وَالْقاسِطِينَ وَالْمارِقِينَ.

وَلَمَّا قَضى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشْقَى الْآخِرِينَ يَتْبَعُ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ لَمْ يُمْتَثَلْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْهادِينَ بَعْدَ الْهادِينَ، وَالْأُمَّةُ مُصِرَّةٌ عَلَى مَقْتِهِ، مُجْتَمِعَةٌ عَلَى قَطِيعَةِ رَحِمِهِ، وَإِقْصاءِ وُلْدِهِ، إِلّا الْقَلِيلَ مِمَّنْ وَفى لِرِعايَةِ الْحَقِّ فِيهِمْ، فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وَسُبِيَ مَنْ سُبِيَ، وَأُقْصِيَ مَنْ أُقْصِيَ، وَجَرَى الْقَضاءُ لَهُمْ بِمَا يُرْجى لَهُ حُسْنُ الْمَثُوبَةِ، إِذْ كانَتِ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَسُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا، وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

فَعَلَى الْأَطائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِما وَآلِهِما فَلْيَبْكِ الْباكُونَ، وَإِيَّاهُمْ فَلْيَنْدُبِ النَّادِبُونَ، وَلِمِثْلِهِمْ فَلْتَذْرِفِ الدُّمُوعُ، وَلْيَصْرُخِ الصَّارِخُونَ، وَيَضِجَّ الضَّاجُّونَ، وَيَعِجَّ الْعاجُّونَ، أَيْنَ الْحَسَنُ؟ أَيْنَ الْحُسَيْنُ؟ أَيْنَ أَبْناءُ الْحُسَيْنِ؟ صالِحٌ بَعْدَ صالِحٍ، وَصادِقٌ بَعْدَ صادِقٍ، أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ؟ أَيْنَ الْخِيَرَةُ بَعْدَ الْخِيَرَةِ؟ أَيْنَ الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ؟ أَيْنَ الْأَقْمارُ الْمُنِيرَةُ؟ أَيْنَ الْأَنْجُمُ الزَّاهِرَةُ؟ أَيْنَ أَعْلامُ الدِّينِ وَقَواعِدُ الْعِلْمِ؟ أَيْنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الْهادِيَةِ؟ أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دابِرِ الظَّلَمَةِ؟ أَيْنَ الْمُنْتَظَرُ لِإِقامَةِ الْأَمْتِ وَالْعِوَجِ؟ أَيْنَ الْمُرْتَجى لِإِزالَةِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوانِ؟ أَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْدِيدِ الْفَرائِضِ وَالسُّنَنِ؟ أَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لِإِعادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ؟ أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِإِحْياءِ الْكِتابِ وَحُدُودِهِ؟ أَيْنَ مُحْيِي مَعالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ؟ أَيْنَ قاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدِينَ؟ أَيْنَ هادِمُ أَبْنِيَةِ الشِّرْكِ وَالنِّفاقِ؟ أَيْنَ مُبِيدُ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ؟

أَيْنَ حاصِدُ فُرُوعِ الْغَيِّ وَالشِّقاقِ أَيْنَ طامِسُ آثارِ الزَّيْغِ وَالْأَهْواءِ؟ أَيْنَ قاطِعُ حَبائِلِ الْكِذْبِ وَالافْتِراءِ؟ أَيْنَ مُبِيدُ الْعُتاةِ وَالْمَرَدَةِ؟ أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ الْعِنادِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْإِلْحادِ؟ أَيْنَ مُعِزُّ الْأَوْلِياءِ وَمُذِلُّ الْأَعْداءِ؟ أَيْنَ جامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوى؟ أَيْنَ بابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتى؟ أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِياءُ؟ أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّماءِ؟ أَيْنَ صاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَناشِرُ رايَةِ الْهُدى؟ أَيْنَ مُؤَلِّفُ شَمْلِ الصَّلاحِ وَالرِّضا؟ أَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ الْأَنْبِياءِ وَأَبْناءِ الْأَنْبِياءِ؟ أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلاءَ؟ أَيْنَ الْمَنْصُورُ عَلَى مَنِ اعْتَدى عَلَيْهِ وَافْتَرى؟ أَيْنَ الْمُضْطَرُّ الَّذِي يُجابُ إِذا دَعا؟ أَيْنَ صَدْرُ الْخَلائِقِ ذُو الْبِرِّ وَالتَّقْوى؟ أَيْنَ ابْنُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفى، وَابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضى، وَابْنُ خَدِيجَةَ الْغَرَّاءِ، وَابْنُ فاطِمَةَ الْكُبْرَى؟

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي لَكَ الْوِقاءُ وَالْحِمى، يَابْنَ السَّادَةِ الْمُقَرَّبِينَ، يَابْنَ النُّجَباءِ الْأَكْرَمِينَ، يَابْنَ الْهُداةِ الْمَهْدِيِّينَ، يَابْنَ الْخِيَرَةِ الْمُهَذَّبِينَ، يَابْنَ الْغَطارِفَةِ الْأَنْجَبِينَ، يَابْنَ الْأَطائِبِ الْمُطَهَّرِينَ، يَابْنَ الْخَضارِمَةِ الْمُنْتَجَبِينَ، يَابْنَ الْقَماقِمَةِ الْأَكْرَمِينَ، يَابْنَ الْبُدُورِ الْمُنِيرَةِ، يَابْنَ السُّرُجِ الْمُضِيئَةِ، يَابْنَ الشُّهُبِ الثَّاقِبَةِ، يَابْنَ الْأَنْجُمِ الزَّاهِرَةِ، يَابْنَ السُّبُلِ الْواضِحَةِ، يَابْنَ الْأَعْلامِ اللَّائِحَةِ، يَابْنَ الْعُلُومِ الْكامِلَةِ، يَابْنَ السُّنَنِ الْمَشْهُورَةِ، يَابْنَ الْمَعالِمِ الْمَأْثُورَةِ، يَابْنَ الْمُعْجِزاتِ الْمَوْجُودَةِ، يَابْنَ الدَّلائِلِ الْمَشْهُودَةِ، يَابْنَ الصِّراطِ الْمُسْتَقِيمِ، يَابْنَ النَّبَاَ الْعَظِيمِ، يَابْنَ مَنْ هُوَ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَى اللَّهِ عَلِيٌّ حَكِيمٌ، يَابْنَ الْآياتِ وَالْبَيِّناتِ، يَابْنَ الدَّلائِلِ الظَّاهِراتِ، يَابْنَ الْبَراهِينِ الْواضِحاتِ الْباهِراتِ، يَابْنَ الْحُجَجِ الْبالِغاتِ، يَابْنَ النِّعَمِ السَّابِغاتِ، يَا ابْنَ طه وَالْمُحْكَماتِ، يَابْنَ يس وَالذَّارِياتِ، يَابْنَ الطُّورِ وَالْعادِياتِ، يَابْنَ مَنْ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى دُنُوًّا وَاقْتِرابًا مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلى.

لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوى؟ بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّكَ أَوْ ثَرى؟ أَبِرَضْوى أَوْ غَيْرِها أَمْ ذِي طُوى؟ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرى، وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيسًا وَلَا نَجْوى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوَى وَلَا يَنالُكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شائِقٍ يَتَمَنَّى مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرا فَحَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدِ عِزٍّ لَا يُسامى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلِ مَجْدٍ لَا يُجارَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ تِلادِ نِعَمٍ لَا تُضاهى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيفِ شَرَفٍ لَا يُساوَى، إِلى مَتَى أَحارُ فِيكَ يَا مَوْلايَ وَإِلَى مَتَى؟ وَأَيَّ خِطابٍ أَصِفُ فِيكَ وَأَيَّ نَجْوَى؟ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجابَ دُونَكَ وَأُناغَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى، هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكاءَ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُساعِدَ جَزَعَهُ إِذا خَلا؟ هَلْ قَذِيَتْ عَيْنٌ فَساعَدَتْها عَيْنِي عَلَى الْقَذَى؟ هَلْ إِلَيْكَ يَابْنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَنَلْقى؟ هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمُنا مِنْكَ بِعِدَةٍ فَنَحْظى؟ مَتَى نَرِدُ مَناهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوَى؟ مَتَى نَنْتَقِعُ مِنْ عَذْبِ مائِكَ فَقَدْ طالَ الصَّدى؟ مَتى نُغادِيكَ وَنُراوِحُكَ فَنُقِرَّ عَيْنًا؟ مَتى تَرانا وَنَراكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِواءَ النَّصْرِ تُرَى أَتَرانا نَحُفُّ بِكَ وَأَنْتَ تَؤُمُّ الْمَلَأَ وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا، وَأَذَقْتَ أَعْداءَكَ هَوانًا وَعِقابًا، وَأَبَرْتَ الْعُتاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظَّالِمِينَ، وَنَحْنُ نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ؟

اللَّهُمَّ أَنْتَ كَشَّافُ الْكُرُبِ وَالْبَلْوَى، وَإِلَيْكَ أَسْتَعْدِي فَعِنْدَكَ الْعَدْوَى، وَأَنْتَ رَبُّ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيا، فَأَغِثْ يَا غِياثَ الْمُسْتَغِيثِينَ عُبَيْدَكَ الْمُبْتَلى، وَأَرِهِ سَيِّدَهُ يَا شَدِيدَ الْقُوَى، وَأَزِلْ عَنْهُ بِهِ الْأَسَى وَالْجَوَى، وَبَرِّدْ غَلِيلَهُ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَمَنْ إِلَيْهِ الرُّجْعى وَالْمُنْتَهى.

اللَّهُمَّ وَنَحْنُ عَبِيدُكَ التَّائِقُونَ إِلى وَلِيِّكَ الْمُذَكِّرِ بِكَ وَبِنَبِيِّكَ، خَلَقْتَهُ لَنا

عِصْمَةً وَمَلاذًا، وَأَقَمْتَهُ لَنا قِوامًا وَمَعاذًا، وَجَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَّا إِمامًا، فَبَلِّغْهُ مِنَّا تَحِيَّةً وَسَلامًا، وَزِدْنا بِذلِكَ يَا رَبِّ إِكْرامًا، وَاجْعَلْ مُسْتَقَرَّهُ لَنا مُسْتَقَرًّا وَمُقامًا، وَأَتْمِمْ نِعْمَتَكَ بِتَقْدِيمِكَ إِيَّاهُ أَمامَنا حَتَّى تُورِدَنا جِنانَكَ وَمُرافَقَةَ الشُّهَداءِ مِنْ خُلَصائِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ جَدِّهِ وَرَسُولِكَ السَّيِّدِ الْأَكْبَرِ وَعَلَى أَبِيهِ السَّيِّدِ الْأَصْغَرِ وَجَدَّتِهِ الصِّدِّيقَةِ الْكُبْرى فاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآلِهِ وَعَلَى مَنِ اصْطَفَيْتَ مِنْ آبائِهِ الْبَرَرَةِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلَ وَأَكْمَلَ وَأَتَمَّ وَأَدْوَمَ وَأَكْثَرَ وَأَوْفَرَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْفِيائِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاةً لَا غايَةَ لِعَدَدِها، وَلَا نِهايَةَ لِمَدَدِها، وَلَا نَفادَ لِأَمَدِها، اللَّهُمَّ وَأَقِمْ بِهِ الْحَقَّ، وَأَدْحِضْ بِهِ الْباطِلَ، وَأَدِلْ بِهِ أَوْلِياءَكَ، وَأَذْلِلْ بِهِ أَعْداءَكَ، وَصِلِ اللَّهُمَّ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ وُصْلَةً تُؤَدِّي إِلى مُرافَقَةِ سَلَفِهِ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَأْخُذُ بِحُجْزَتِهِمْ، وَيَمْكُثُ فِي ظِلِّهِمْ، وَأَعِنَّا عَلَى تَأْدِيَةِ حُقُوقِهِ إِلَيْهِ، وَالإِجْتِهادِ فِي طاعَتِهِ، وَاجْتِنابِ مَعْصِيَتِهِ، وَامْنُنْ عَلَيْنا بِرِضاهُ، وَهَبْ لَنا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَدُعاءَهُ وَخَيْرَهُ مَا نَنالُ بِهِ سَعَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَفَوْزًا عِنْدَكَ، وَاجْعَلْ صَلاتَنا بِهِ مَقْبُولَةً، وَذُنُوبَنا بِهِ مَغْفُورَةً، وَدُعاءَنا بِهِ مُسْتَجابًا، وَاجْعَلْ أَرْزاقَنا بِهِ مَبْسُوطَةً، وَهُمُومَنا بِهِ مَكْفِيَّةً، وَحَوائِجَنا بِهِ مَقْضِيَّةً، وَأَقْبِلْ إِلَيْنا بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَاقْبَلْ تَقَرُّبَنا إِلَيْكَ، وَانْظُرْ إِلَيْنا نَظْرَةً رَحِيمَةً نَسْتَكْمِلُ بِهَا الْكَرامَةَ عِنْدَكَ ثُمَّ لَا تَصْرِفْها عَنَّا بِجُودِكَ، وَاسْقِنا مِنْ حَوْضِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكَأْسِهِ وَبِيَدِهِ رَيًّا رَوِيًّا هَنِيئًا سائِغًا لَا ظَمَأَ بَعْدَهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

دعاء زمن الغيبة:

«اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ.

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي. اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي مِيْتَةً جاهِلِيَّةً، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي. اللَّهُمَّ فَكَما هَدَيْتَنِي لِوِلايَةِ مَنْ فَرَضْتَ عَلَيَّ طاعَتَهُ مِنْ وِلايَةِ وُلاةِ أَمْرِكَ بَعْدَ رَسُولِكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَتَّى والَيْتُ وُلاةَ أَمْرِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيًّا وَمُحَمَّدًا وَجَعْفَرًا وَمُوسَى وَعَلِيًّا وَمُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُجَّةَ الْقائِمَ الْمَهْدِيَّ صَلَواتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ فَثَبِّتْنِي عَلَى دِينِكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطاعَتِكَ، وَلَيِّنْ قَلْبِي لِوَلِيِّ أَمْرِكَ، وَعافِنِي مِمَّا امْتَحَنْتَ بِهِ خَلْقَكَ، وَثَبِّتْنِي عَلَى طاعَةِ وَلِيِّ أَمْرِكَ الَّذِي سَتَرْتَهُ عَنْ خَلْقِكَ، وَبِإِذْنِكَ غابَ عَنْ بَرِيَّتِكَ، وَأَمْرَكَ يَنْتَظِرُ، وَأَنْتَ الْعالِمُ غَيْرُ الْمُعَلَّمِ بِالْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ صَلاحُ أَمْرِ وَلِيِّكَ فِي الْإِذْنِ لَهُ بِإِظْهارِ أَمْرِهِ، وَكَشْفِ سِتْرِهِ، فَصَبِّرْنِي عَلَى ذلِكَ حَتَّى لَا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَلَا كَشْفَ مَا سَتَرْتَ، وَلَا الْبَحْثَ عَمَّا كَتَمْتَ، وَلَا أُنازِعَكَ فِي تَدْبِيرِكَ، وَلَا أَقُولَ: لِمَ وَكَيْفَ وَما بالُ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَا يَظْهَرُ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَوْرِ؟ وَأُفَوِّضُ أُمُورِي كُلَّها إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُرِيَنِي وَلِيَّ أَمْرِكَ ظاهِرًا نافِذَ الْأَمْرِ، مَعَ عِلْمِي بِأَنَّ لَكَ السُّلْطانَ وَالْقُدْرَةَ وَالْبُرْهانَ وَالْحُجَّةَ وَالْمَشِيَّةَ وَالْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ، فَافْعَلْ ذلِكَ بِي وَبِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ ظاهِرَ الْمَقالَةِ، واضِحَ الدَّلالَةِ، هادِيًا مِنَ الضَّلالَةِ، شافِيًا مِنَ الْجَهالَةِ، أَبْرِزْ يَا رَبِّ مُشاهَدَتَهُ، وَثَبِّتْ قَواعِدَهُ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ تَقَرُّ عَيْنُهُ بِرُؤْيَتِهِ، وَأَقِمْنا بِخِدْمَتِهِ، وَتَوَفَّنا عَلَى مِلَّتِهِ، وَاحْشُرْنا فِي زُمْرَتِهِ.

اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ وَذَرَأْتَ وَبَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ، وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ

بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ، وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ، وَوَصِيَّ رَسُولِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلامُ، اللَّهُمَّ وَمُدَّ فِي عُمْرِهِ، وَزِدْ فِي أَجَلِهِ، وَأَعِنْهُ عَلَى مَاوَلَّيْتَهُ وَاسْتَرْعَيْتَهُ، وَزِدْ فِي كَرامَتِكَ لَهُ فَإِنَّهُ الْهادِي الْمَهْدِيُّ، وَالْقائِمُ الْمُهْتَدِي وَالطَّاهِرُ التَّقِيُّ، الزَّكِيُّ النَّقِيُّ، الرَّضِيّ الْمَرْضِيُّ، الصَّابِرُ الشَّكُورُ الْمُجْتَهِدُ.

اللَّهُمَّ وَلَا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ لِطُولِ الْأَمَدِ فِي غَيْبَتِهِ وَانْقِطاعِ خَبَرِهِ عَنَّا، وَلَا تُنْسِنا ذِكْرَهُ وَانْتِظارَهُ، وَالْإِيمانَ بِهِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ فِي ظُهُورِهِ، وَالدُّعاءَلَهُ وَالصَّلاةَ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يُقَنِّطَنا طُولُ غَيْبَتِهِ مِنْ قِيامِهِ، وَيَكُونَ يَقِينُنا فِي ذلِكَ كَيَقِينِنا فِي قِيامِ رَسُولِكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَا جاءَ بِهِ مِنْ وَحْيِكَ وَتَنْزِيلِكَ، فَقَوِّ قُلُوبَنا عَلَى الْإِيمانِ بِهِ، حَتَّى تَسْلُكَ بِنا عَلَى يَدَيْهِ مِنْهاجَ الْهُدَى، وَالْمَحَجَّةَ الْعُظْمَى، وَالطَّرِيقَةَ الْوُسْطَى، وَقَوِّنا عَلَى طاعَتِهِ، وَثَبِّتْنا عَلَى مُتابَعَتِهِ، وَاجْعَلْنا فِي حِزْبِهِ وَأَعْوانِهِ وَأَنْصارِهِ وَالرَّاضِينَ بِفِعْلِهِ، وَلَا تَسْلُبْنا ذلِكَ فِي حَيَاتِنا وَلَا عِنْدَ وَفاتِنا، حَتَّى تَتَوَفَّانا وَنَحْنُ عَلَى ذلِكَ، لَا شاكِّينَ وَلَا ناكِثِينَ وَلَا مُرْتابِينَ وَلَا مُكَذِّبِينَ.

اللَّهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَهُ وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ، وَانْصُرْ ناصِرِيهِ، وَاخْذُلْ خاذِلِيهِ، وَدَمْدِمْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ وَكَذَّبَ بِهِ، وَأَظْهِرْ بِهِ الْحَقَّ، وَأَمِتْ بِهِ الْجَوْرَ، وَاسْتَنْقِذْ بِهِ عِبادَكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الذُّلِّ، وَانْعَشْ بِهِ الْبِلادَ، وَاقْتُلْ بِهِ جَبابِرَةَ الْكُفْرِ، وَاقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلالَةِ، وَذَلِّلْ بِهِ الْجَبَّارِينَ وَالْكافِرِينَ، وَأَبِرْ بِهِ الْمُنافِقِينَ وَالنَّاكِثِينَ وَجَمِيعَ الْمخالِفِينَ وَالْمُلْحِدِينَ فِي مَشارِقِ الْأَرْضِ وَمَغارِبِها، وَبَرِّها وَبَحْرِها، وَسَهْلِها وَجَبَلِها، حَتَّى لَا تَدَعَ مِنْهُمْ دَيَّارًا، وَلَا تُبْقِيَ لَهُمْ آثارًا، طَهِّرْ مِنْهُمْ بِلادَكَ، وَاشْفِ مِنْهُمْ صُدُورَ عِبادِكَ، وَجَدِّدْ بِهِ مَا امْتَحى مِنْ دِينِكَ، وَأَصْلِحْ بِهِ مَا بُدِّلَ مِنْ حُكْمِكَ وَغُيِّرَ مِنْ سُنَّتِكَ، حَتَّى يَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضًّا جَدِيدًا صَحِيحًا لَا عِوَجَ فِيهِ، وَلَا بِدْعَةَ مَعَهُ، حَتَّى تُطْفِئَ بِعَدْلِهِ نِيرانَ الْكافِرِينَ، فَإِنَّهُ عَبْدُكَ الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ، وَارْتَضَيْتَهُ لِنَصْرِ دِينِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُ

بِعِلْمِكَ، وَعَصَمْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَبَرَّأْتَهُ مِنَ الْعُيُوبِ، وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى الْغُيُوبِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ، وَطَهَّرْتَهُ مِنَ الرِّجْسِ، وَنَقَّيْتَهُ مِنَ الدَّنَسِ. اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى شِيعَتِهِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَبَلِّغْهُمْ مِنْ آمالِهِمْ مَا يَأْمُلُونَ، وَاجْعَلْ ذلِكَ مِنَّا خالِصًا مِنْ كُلِّ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ وَرِياءٍ وَسُمْعَةٍ، حَتَّى لَا نُرِيدَ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا نَطْلُبَ بِهِ إِلّا وَجْهَكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا، وَغَيْبَةَ إِمامِنا، وَشِدَّةَ الزَّمانِ عَلَيْنا، وَوُقُوعَ الْفِتَنِ بِنا، وَتَظاهُرَ الْأَعْداءِ عَلَيْنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَقِلَّةَ عَدَدِنا. اللَّهُمَّ فَافْرُجْ ذلِكَ عَنَّا بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَنَصْرٍ مِنْكَ تُعِزُّهُ، وَإِمامِ عَدْلٍ تُظْهِرُهُ، إِلهَ الْحَقِّ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذَنَ لِوَلِيِّكَ فِي إِظْهارِ عَدْلِكَ فِي عِبادِكَ، وَقَتْلِ أَعْدائِكَ فِي بِلادِكَ، حَتَّى لَا تَدَعَ لِلْجَوْرِ يَا رَبِّ دِعامَةً إِلّا قَصَمْتَها، وَلَا بَقِيَّةً إِلّا أَفْنَيْتَها، وَلَا قُوَّةً إِلّا أَوْهَنْتَها، وَلَا رُكْنًا إِلّا هَدَمْتَهُ، وَلَا حَدًّا إِلّا فَلَلْتَهُ، وَلَا سِلاحًا إِلّا أَكْلَلْتَهُ، وَلَا رايَةً إِلّا نَكَّسْتَها، وَلَا شُجاعًا إِلّا قَتَلْتَهُ، وَلَا جَيْشًا إِلّا خَذَلْتَهُ، وَارْمِهِمْ يَا رَبِّ بِحَجَرِكَ الدَّامِغِ، وَاضْرِبْهُمْ بِسَيْفِكَ الْقاطِعِ وَبَأْسِكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، وَعَذِّبْ أَعْداءَكَ وَأَعْداءَ وَلِيِّكَ وَأَعْداءَ رَسُولِكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِيَدِ وَلِيِّكَ وَأَيْدِي عِبادِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ اكْفِ وَلِيَّكَ وَحُجَّتَكَ فِي أَرْضِكَ هَوْلَ عَدُوِّهِ، وَكَيْدَ مَنْ أَرادَهُ، وَامْكُرْ بِمَنْ مَكَرَ بِهِ، وَاجْعَلْ دائِرَةَ السَّوْءِ عَلَى مَنْ أَرادَ بِهِ سُوءًا، وَاقْطَعْ عَنْهُ مادَّتَهُمْ، وَأَرْعِبْ لَهُ قُلُوبَهُمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدامَهُمْ، وَخُذْهُمْ جَهْرَةً وَبَغْتَةً، وَشَدِّدْ عَلَيْهِمْ عَذابَكَ، وَأَخْزِهِمْ فِي عِبادِكَ، وَالْعَنْهُمْ فِي بِلادِكَ، وَأَسْكِنْهُمْ أَسْفَلَ نارِكَ، وَأَحِطْ بِهِمْ أَشَدَّ عَذابِكَ، وَأَصْلِهِمْ نارًا، وَاحْشُ قُبُورَ مَوْتاهُمْ نارًا، وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نارِكَ، فَإِنَّهُمْ أَضاعُوا الصَّلاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ، وَأَضَلُّوا عِبادَكَ،

وَأَخْرَبُوا بِلادَكَ. اللَّهُمَّ وَأَحْيِ بِوَلِيِّكَ الْقُرْآنَ، وَأَرِنا نُورَهُ سَرْمَدًا لَا لَيْلَ فِيهِ، وَأَحْيِ بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ، وَاشْفِ بِهِ الصُّدُورَ الْوَغِرَةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الْأَهْواءَ الْمُخْتَلِفَةَ عَلَى الْحَقِّ، وَأَقِمْ بِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ وَالْأَحْكامَ الْمُهْمَلَةَ، حَتَّى لَا يَبْقى حَقٌّ إِلّا ظَهَرَ، وَلَا عَدْلٌ إِلّا زَهَرَ، وَاجْعَلْنا يَا رَبِّ مِنْ أَعْوانِهِ، وَمُقَوِّيَةِ سُلْطانِهِ، وَالْمُؤْتَمِرِينَ لِأَمْرِهِ، وَالرَّاضِينَ بِفِعْلِهِ، وَالْمُسَلِّمِينَ لِأَحْكامِهِ، وَمِمَّنْ لَا حاجَةَ بِهِ إِلَى التَّقِيَّةِ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَنْتَ يَا رَبِّ الَّذِي تَكْشِفُ الضُّرَّ، وَتُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاكَ، وَتُنْجِي مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، فَاكْشِفْ الضُّرَّ عَنْ وَلِيِّكَ، وَاجْعَلْهُ خَلِيفَةً فِي أَرْضِكَ كَما ضَمِنْتَ لَهُ.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِنْ خُصَماءِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنْ أَعْداءِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، وَلَا تَجَعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْحَنَقِ وَالْغَيْظِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ذلِكَ فَأَعِذْنِي، وَأَسْتَجِيرُ بِكَ فَأَجِرْنِي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي بِهِمْ فائِزًا عِنْدَكَ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، آمِينَ رَبَّ الْعالَمِينَ».

دعاء العهد:

«اللَّهُمَّ رَبَّ النُّورِ الْعَظِيمِ، وَرَبَّ الْكُرْسِيِّ الرَّفِيعِ، وَرَبَّ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، وَمُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَرَبَّ الظِّلِّ وَالْحَرُورِ، وَمُنْزِلَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَرَبَّ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِياءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَبِنُورِ وَجْهِكَ الْمُنِيرِ وَمُلْكِكَ الْقَدِيمِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ السَّماواتُ وَالْأَرَضُونَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي يَصْلَحُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، يَا حَيًّا قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ، وَيَا حَيًّا بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ، وَيَا حَيًّا حِينَ لَا حَيَّ، يَا مُحْيِيَ الْمَوْتى، وَمُمِيتَ الْأَحْياءِ، يَا حَيُّ لَا إِلهَ إِلّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلانَا الْإِمامَ الْهادِيَ الْمَهْدِيَّ الْقائِمَ بِأَمْرِكَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ الطَّاهِرِينَ عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ فِي مَشارِقِ الْأَرْضِ وَمَغارِبِها، سَهْلِها وَجَبَلِها، وَبَرِّها وَبَحْرِها، وَعَنِّي وَعَنْ وَالِدَيَّ مِنَ الصَّلَواتِ زِنَةَ عَرْشِ اللَّهِ، وَمِدادَ كَلِماتِهِ، وَمَا أَحْصاهُ عِلْمُهُ، وَأَحاطَ بِهِ كِتابُهُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هذَا وَمَا عِشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْدًا وَعَقْدًا وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي لَا أَحُولُ عَنْه وَلَا أَزُولُ أَبَدًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصارِهِ وَأَعْوانِهِ، وَالذَّابِّينَ عَنْهُ، والْمُسارِعِينَ إِلَيْهِ فِي قَضاءِ حَوائِجِهِ، وَالْمُمْتَثِلِينَ لِأَوامِرِهِ، وَالْمُحامِينَ عَنْهُ، وَالسَّابِقِينَ إِلى إِرادَتِهِ، وَالْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

اللَّهُمَّ إِنْ حالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبادِكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَزِرًا كَفَنِي، شاهِرًا سَيْفِي، مُجَرِّدًا قَناتِي، مُلَبِّيًا دَعْوَةَ الدَّاعِي فِي الْحاضِرِ وَالْبادِي.

اللَّهُمَّ أَرِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ، وَالْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ، وَاكْحُلْ ناظِرِي بِنَظْرَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ، وَعَجِّلْ فَرَجَهُ، وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ، وَأَوْسِعْ مَنْهَجَهُ، وَاسْلُكْ بِي مَحَجَّتَهُ، وَأَنْفِذْ أَمْرَهُ، وَاشْدُدْ أَزْرَهُ. وَاعْمُرِ اللَّهُمَّ بِهِ بِلادَكَ، وَأَحْيِ بِهِ عِبادَكَ، فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾، فَأَظْهِرِ اللَّهُمَّ لَنا وَلِيَّكَ وَابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكَ الْمُسَمَّى بِاسْمِ رَسُولِكَ، حَتَّى لَا يَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْباطِلِ إِلّا مَزَّقَهُ، وَيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُحَقِّقَهُ. وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مَفْزَعًا لِمَظْلُومِ عِبادِكَ، وَناصِرًا لِمَنْ لَا يَجِدُ لَهُ ناصِرًا غَيْرَكَ، وَمُجَدِّدًا لِمَا عُطِّلَ مِنْ أَحْكامِ كِتابِكَ، وَمُشَيِّدًا لِمَا وَرَدَ مِنْ أَعْلامِ دِينِكَ وَسُنَنِ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وآله، وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مِمَّنْ حَصَّنْتَهُ مِنْ بَأْسِ الْمُعْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ وَسُرَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله بِرُؤْيَتِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى دَعْوَتِهِ، وَارْحَمِ

اسْتِكانَتَنا بَعْدَهُ.

اللَّهُمَّ اكْشِفْ هذِهِ الْغُمَّةَ عَنْ هذِهِ الْأُمَّةِ بِحُضُورِهِ، وَعَجِّلْ لَنا ظُهُورَهُ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَراهُ قَرِيبًا، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ثمّ تضرب على فخذك الأيمن بيدك ثلاث مرّات وتقول كلّ مرّة: الْعَجَلَ الْعَجَلَ يَامَوْلايَ يَا صاحِبَ الزَّمانِ».

الوسيلة الثانية: الزيارة:

زيارته عجل الله فرجه في السرداب الطاهر:

عن الشيخ الجليل أحمد بن أبي طالب الطّبرسي في كتاب الاحتجاج، أنّه خرج من النَّاحية المقدّسة إلى محمّد الحميري بعد الجواب عن المسائل التي سألها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، لَا لِأَمْرِهِ تَعْقِلُونَ، وَلَا مِنْ أَوْلِيائِهِ تَقْبَلُونَ، حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ، السَّلامُ عَلَيْنا وَعَلَى عِبادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. إذا أردتم التَّوجُّه بنا إلى اللَّه تعالى وإلينا فقولوا كما قال اللَّه تعالى:

«سَلامٌ عَلَى آلِ يس، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا داعِيَ اللَّهِ وَرَبَّانِيَّ آياتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بابَ اللَّهِ وَدَيَّانَ دِينِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ وَناصِرَ حَقِّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَدَلِيلَ إِرادَتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا تالِيَ كِتابِ اللَّهِ وَتَرْجُمانِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ فِي آناءِ لَيْلِكَ وَأَطْرافِ نَهارِكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مِيثاقَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ، وَالْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ، والْغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْواسِعَةُ وَعْدًا غَيْرَ مَكْذُوبٍ،

السَّلامُ عَلَيكَ حِينَ تَقُومُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْعُدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقْنُتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِين تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصْبِحُ وَتُمْسِي، السَّلامُ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ إِذا يَغْشى وَالنَّهارِ إِذا تَجَلَّى، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمامُ الْمَأْمُونُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُقَدَّمُ الْمَأْمُولُ، السَّلامُ عَلَيْكَ بِجَوامِعِ السَّلامِ، أُشْهِدُكَ يَا مَوْلايَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَا حَبِيبَ إِلّا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَأُشْهِدُكَ يَا مَوْلايَ أَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّتُهُ، وَالْحَسَنَ حُجَّتُهُ، وَالْحُسَيْنَ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حُجَّتُهُ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَمُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ مُوسى حُجَّتُهُ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللَّهِ، أَنْتُمُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيها يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْرًا، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ ناكِرًا وَنَكِيرًا حَقٌّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ النَّشْرَ حَقٌّ، وَالْبَعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّ الصِّراطَ حَقٌّ، وَالْمِرْصادَ حَقٌّ، وَالْمِيزانَ حَقٌّ، وَالْحَشْرَ حَقٌّ، وَالْحِسابَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ بِهِما حَقٌّ. يَا مَوْلايَ شَقِيَ مَنْ خالَفَكُمْ، وَسَعِدَ مَنْ أَطاعَكُمْ، فَاشْهَدْ عَلَى مَا أَشْهَدْتُكَ عَلَيْهِ وَأَنَا وَلِيٌّ لَكَ بَرِيءٌ مِنْ عَدُوِّكَ، فَالْحَقُّ مَا رَضِيتُمُوهُ، وَالْباطِلُ مَا أَسْخَطْتُمُوهُ، وَالْمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَالْمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ، فَنَفْسِي مُؤْمِنَةٌ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِرَسُولِهِ وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِكُمْ يَامَوْلايَ أَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَنُصْرَتِي مُعَدَّةٌ لَكُمْ، وَمَوَدَّتِي خالِصَةٌ لَكُمْ، آمِينَ آمِينَ».

الدّعاء عقيب هذا القول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ رَحْمَتِكَ، وَكَلِمَةِ نُورِكَ، وَأَنْ تَمْلَأَ قَلْبِي نُورَ الْيَقِينِ، وَصَدْرِي نُورَ الْإِيمانِ، وَفِكْرِي نُورَ النِّيَّاتِ، وَعَزْمِي نُورَ الْعِلْمِ، وَقُوَّتِي نُورَ الْعَمَلِ، وَلِسانِي نُورَ الصِّدْقِ، وَدِينِي نُورَ الْبَصائِرِ مِنْ عِنْدِكَ، وَبَصَرِي نُورَ الضِّياءِ، وَسَمْعِي نُورَ الْحِكْمَةِ، وَمَوَدَّتِي نُورَ الْمُوالاةِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ عليهم السلام حَتَّى أَلْقَاكَ وَقَدْ وَفَيْتُ بِعَهْدِكَ وَمِيثاقِكَ فَتُغَشِّيَنِي رَحْمَتُكَ يَا وَلِيُّ يَا حَمِيدُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ حُجَّتِكَ فِي أَرْضِكَ، وَخَلِيفَتِكَ فِي بِلادِكَ، وَالدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ، وَالْقائِمِ بِقِسْطِكَ، وَالثَّائِرِ بِأَمْرِكَ، وَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَوَارِ الْكافِرِينَ، وَمُجَلِّي الظُّلْمَةِ، وَمُنِيرِ الْحَقِّ، وَالنَّاطِقِ بِالْحِكْمَةِ وَالصِّدْقِ، وَكَلِمَتِكَ التَّامَّةِ فِي أَرْضِكَ، الْمُرْتَقِبِ الْخائِفِ، وَالْوَلِيِّ النَّاصِحِ، سَفِينَةِ النَّجَاةِ، وَعَلَمِ الْهُدَى، وَنُورِ أَبْصارِ الْوَرَى، وَخَيْرِ مَنْ تَقَمَّصَ وَارْتَدى، وَمُجَلِّي الْعَمَى، الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ وَابْنِ أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ فَرَضْتَ طَاعَتَهُمْ، وَأَوْجَبْتَ حَقَّهُمْ، وَأَذْهَبْتَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهِيرًا.

اللَّهُمَّ انْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ لِدِينِكَ، وَانْصُرْ بِهِ أَوْلِياءَكَ وَأَوْلِيَاءَهُ وَشِيعَتَهُ وَأَنْصارَهُ وَاجْعَلْنا مِنْهُمْ.

اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ شَرِّ كُلِّ باغٍ وَطاغٍ، وَمِنْ شَرِّ جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ، وَاحْرُسْهُ وَامْنَعْهُ مِنْ أَنْ يُوصَلَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ، وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَآلَ رَسُولِكَ، وَأَظْهِرْ بِهِ الْعَدْلَ، وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ،

وَانْصُرْ ناصِريهِ، وَاخْذُلْ خاذِليهِ، وَاقْصِمْ قاصِمِيهِ، وَاقْصِمْ بِهِ جَبابِرَةَ الْكُفْرِ، وَاقْتُلْ بِهِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَجَمِيعَ الْمُلْحِدِينَ حَيْثُ كانُوا مِنْ مَشارِقِ الْأَرْضِ وَمَغارِبِها، بَرِّها وَبَحْرِها، وَامْلَأْ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا، وَأَظْهِرْ بِهِ دِينَ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وآله وسلم، وَاجْعَلْنِي اللَّهُمَّ مِنْ أَنْصارِهِ وَأَعْوانِهِ وَأَتْباعِهِ وَشِيعَتِهِ، وَأَرِنِي فِي آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام مَا يَأْمُلُونَ، وَفِي عَدُوِّهِمْ مَا يَحْذَرُونَ، إِلهَ الْحَقِّ آمِينَ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

زيارة أخرى:

زيارة أخرى منقولة عن الكتب المعتبرة: قف على باب حَرَمِهِ الشريف وقل:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ وَخَلِيفَةَ آبائِهِ الْمَهْدِيِّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ الْأَوْصِياءِ الْماضِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حافِظَ أَسْرارِ رَبِّ الْعالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ مِنَ الصَّفْوَةِ الْمُنْتَجَبِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ الْأَنْوارِ الزَّاهِرَةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ الْأَعْلامِ الْباهِرَةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مَعْدِنَ الْعُلُومِ النَّبَوِيَّةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتى إِلّا مِنْهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا سَبِيلَ اللَّهِ الَّذِي مَنْ سَلَكَ غَيْرَهُ هَلَكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ناظِرَ شَجَرَةِ طُوبى وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهى، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُطْفَى، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْفى، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّماءِ، السَّلامُ عَلَيْكَ سَلامَ مَنْ عَرَفَكَ بِما عَرَّفَكَ بِهِ اللَّهُ وَنَعَتَكَ بِبَعْضِ نُعُوتِكَ الَّتِي أَنْتَ أَهْلُها وَفَوْقَها، أَشْهَدُ أَنَّكَ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ مَضى وَمَنْ بَقِيَ، وَأَنَّ حِزْبَكَ هُمُ الْغالِبُونَ، وَأَوْلِياءَكَ هُمُ الْفائِزُونَ، وَأَعْداءَكَ هُمُ الْخاسِرُونَ، وَأَنَّكَ خازِنُ كُلِّ عِلْمٍ، وَفاتِقُ كُلِّ رَتْقٍ، وَمُحَقِّقُ كُلِّ حَقٍّ، وَمُبْطِلُ

كُلِّ باطِلٍ، رَضِيتُكَ يَا مَوْلايَ إِمامًا وَهادِيًا وَوَلِيًّا وَمُرْشِدًا لَا أَبْتَغِي بِكَ بَدَلًا، وَلَا أَتَّخِذُ مِنْ دُونِكَ وَلِيًّا، أَشْهَدُ أَنَّكَ الْحَقُّ الثَّابِتُ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ، وَأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ فِيكَ حَقٌّ، لَا أَرْتابُ لِطُولِ الْغَيْبَةِ وَبُعْدِ الْأَمَدِ، وَلَا أَتَحَيَّرُ مَعَ مَنْ جَهِلَكَ وَجَهِلَ بِكَ، مُنْتَظِرٌ مُتَوَقِّعٌ لِأَيَّامِكَ، وَأَنْتَ الشَّافِعُ الَّذِي لَا تُنَازَعُ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَا تُدافَعُ، ذَخَرَكَ اللَّهُ لِنُصْرَةِ الدِّينِ، وَإِعْزَازِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالانْتِقامِ مِنَ الْجاحِدِينَ الْمارِقِينَ، أَشْهَدُ أَنَّ بِوِلايَتِكَ تُقْبَلُ الْأَعْمالُ، وَتُزَكَّى الْأَفْعالُ، وَتُضاعَفُ الْحَسَناتُ، وَتُمْحَى السَّيِّئاتُ، فَمَنْ جاءَ بِوِلايَتِكَ، وَاعْتَرَفَ بِإِمامَتِكَ، قُبِلَتْ أَعْمالُهُ،وَصُدِّقَتْ أَقْوالُهُ، وَتَضاعَفَتْ حَسَناتُهُ، وَمُحِيَتْ سَيِّئاتُهُ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْ وِلايَتِكَ، وَجَهِلَ مَعْرِفَتَكَ، وَاسْتَبْدَلَ بِكَ غَيْرَكَ كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ وَلَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا، وَلَمْ يُقِمْ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْنًا، أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُ مَلائِكَتَهُ وَأُشْهِدُكَ يَا مَوْلايَ بِهَذَا، ظاهِرُهُ كَباطِنِهِ، وَسِرُّهُ كَعَلانِيَتِهِ، وَأَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَى ذلِكَ، وَهُوَ عَهْدِي إِلَيْكَ وَمِيثاقِي لَدَيْكَ إِذْ أَنْتَ نِظامُ الدِّينِ، وَيَعْسُوبُ الْمُتَّقِينَ، وَعِزُّ الْمُوَحِّدِينَ، وَبِذلِكَ أَمَرَنِي رَبُّ الْعالَمِينَ، فَلَوْ تَطاوَلَتِ الدُّهُورُ، وَتَمادَتِ الْأَعْمارُ، لَمْ أَزْدَدْ فِيكَ إِلّا يَقِينًا، وَلَكَ إِلّا حُبًّا، وَعَلَيْكَ إِلّا مُتَّكَلًا وَمُعْتَمَدًا، وَلِظُهُورِكَ إِلّا مُتَوَقَّعًا وَمُنْتَظَرًا وَلِجِهادِي بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَرَقَّبًا، فَأَبْذُلُ نَفْسِي وَمالِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَجَمِيعَ مَا خَوَّلَنِي رَبِّي بَيْنَ يَدَيْكَ وَالتَّصَرُّفَ بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، مَوْلايَ فَإِنْ أَدْرَكْتُ أَيَّامَكَ الزَّاهِرَةَ، وَأَعْلامَكَ الْباهِرَةَ، فَها أَنَاذَا عَبْدُكَ الْمُتَصَرِّفُ بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ أَرْجُو بِهِ الشَّهادَةَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْفَوْزَ لَدَيْكَ، مَوْلايَ فَإِنْ أَدْرَكَنِي الْمَوْتُ قَبْلَ ظُهُورِكَ فَإِنِّي أَتَوَسَّلُ بِكَ وَبِآبائِكَ الطَّاهِرِينَ إِلَى اللَّهِ تَعالى، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ لِي كَرَّةً فِي ظُهُورِكَ، وَرَجْعَةً فِي أَيَّامِكَ، لِأَبْلُغَ مِنْ طاعَتِكَ مُرادِي، وَأَشْفِيَ مِنْ أَعْدائِكَ فُؤادِي، مَوْلايَ وَقَفْتُ فِي زِيارَتِكَ مَوْقِفَ الْخاطِئِينَ النَّادِمِينَ، الْخائِفِينَ مِنْ

عِقابِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَقَدِ اتَّكَلْتُ عَلَى شَفاعَتِكَ، وَرَجَوْتُ بِمُوالاتِكَ وَشَفاعَتِكَ مَحْوَ ذُنُوبِي، وَسَتْرَ عُيُوبِي، وَمَغْفِرَةَ زَلَلِي، فَكُنْ لِوَلِيِّكَ يَا مَوْلايَ عِنْدَتَحْقِيقِ أَمَلِهِ، وَاسْأَلِ اللَّهَ غُفْرانَ زَلَلِهِ، فَقَدْ تَعَلَّقَ بِحَبْلِكَ، وَتَمَسَّكَ بِوِلايَتِكَ، وَتَبَرَّأَ مِنْ أَعْدائِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْجِزْ لِوَلِيِّكَ مَا وَعَدْتَهُ. اللَّهُمَّ أَظْهِرْ كَلِمَتَهُ، وَأَعْلِ دَعْوَتَهُ، وَانْصُرْهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكَ يَا رَبَّ الْعالَمِينَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَظْهِرْ كَلِمَتَكَ التَّامَّةَ، وَمُغَيَّبَكَ فِي أَرْضِكَ، الْخائِفَ الْمُتَرَقِّبَ.

اللَّهُمَّ انْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، اللَّهُمَّ وَأَعِزَّ بِهِ الدِّينَ بَعْدَ الْخُمُولِ، وَأَطْلِعْ بِهِ الْحَقَّ بَعْدَ الْأُفُولِ، وَأَجْلِ بِهِ الظُّلْمَةَ، وَاكْشِفْ بِهِ الْغُمَّةَ. اللَّهُمَّ وَآمِنْ بِهِ الْبِلادَ، وَاهْدِبِهِ الْعِبادَ، اللَّهُمَّ امْلَأْ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَما مُلِئَتْ ظُلْمًاوَجَوْرًا إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ، ائْذَنْ لِوَلِيِّكَ فِي الدُّخُولِ إِلَى حَرَمِكَ، صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَعَلَيآبائِكَ الطَّاهِرِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ».

الوسيلة الثالثة: الصلوات:

١- صلاة الحجة:

ركعتان يقرأ المصلّي في الأُولى سورة الفاتحة فإذا بلغ الآية ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ كرّرها مئة مرّة، ثمّ أتمّ الفاتحة، ويفعل مثل ذلك في الركعة الثانية، ويسبّح سبعًا في كلّ ركوع وسجود، فإذا أتمّ الصلاة هلّل وسبّح تسبيح الزهراء صلوات اللّه وسلامه عليها، فإذا فرغ من التسبيح سجد وصلّى

على النبيّ وآله مئة مرّة. وهذه الكلمة مرويّة بنصّها عنه عجل الله فرجه الشريف قال: «فَمَنْ صَلَّاها فَكَأَنَّمَا صَلَّى فِي الْبَيْتِ الْعَتِيقِ»، أي الكعبة.

ورُوي أيضًا في كتاب النجم الثاقب عن كتاب كنوز النجاح للشيخ الطبرسي أنّه خرج من الناحية المقدّسة للحجّة عليه السلام: أنّ من كان له إلى اللّه حاجة فليغتسل ليلة الجمعة بعد منتصف الليل فيذهب إلى مصلّاه فيصلّي ركعتين، يقرأ في الأُولى سورة الحمد، فإذا بلغ منها الآية ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ كرّرها مئة مرة، ثمّ أتمّ الحمد، ثمّ قرأ التوحيد مرّة واحدة، ثمّ ركع وسجد السجدتين فكرّر التسبيح «سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ» في الركوع سبع مرّات، وكرّر التسبيح «سُبْحانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ» في كلّ من السجدتين سبعًا، ثمّ أتى بالركعة الثانية نظيرة للأُولى، فإذا فرغ من الصلاة دعا بهذا الدعاء، فإنّ اللّه تعالى يقضي له حاجته البتّة مهما كانت إلّا إذا كانت في قطيعة رحم. وهذا هو الدعاء:

«اللَّهُمَّ إِنْ أَطَعْتُكَ فَالْمَحْمَدَةُ لَكَ، وَإِنْ عَصَيْتُكَ فَالْحُجَّةُ لَكَ، مِنْكَ الرَّوْحُ وَمِنْكَ الْفَرَجُ، سُبْحانَ مَنْ أَنْعَمَ وَشَكَرَ، سُبْحانَ مَنْ قَدَّرَ وَغَفَرَ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ عَصَيْتُكَ فَإِنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْياءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الْإِيمانُ بِكَ، لَمْ أَتَّخِذْ لَكَ وَلَدًا وَلَمْ أَدْعُ لَكَ شَرِيكًا مَنًّا مِنْكَ بِهِ عَلَيَّ لَا مَنًّا مِنِّي بِهِ عَلَيْكَ، وَقَدْ عَصَيْتُكَ يَا إِلهِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمُكابَرَةِ، وَلَا الْخُرُوجِ عَنْ عُبُودِيَّتِكَ، وَلَا الْجُحُودِلِرُبُوبِيَّتِكَ، وَلكِنْ أَطَعْتُ هَوايَ وَأَزَلَّنِي الشَّيْطانُ، فَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَالْبَيانُ فَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَبِذُنُوبِي غَيْرُ ظالِمٍ لِي، وَإِنْ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي فَإِنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ، ثمّ بقدر ما يفي به النفس: يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ».

ثمّ يقول بعد ذلك: «يَا آمِنًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ خائِفٌ حَذِرٌ،

أَسْأَلُكَ بِأَمْنِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَخَوْفِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُعطِيَنِي أَمانًا لِنَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي وَسائِرِ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ حَتَّى لَا أَخافَ وَلَا أَحْذَرَ مِنْ شَيْءٍ أَبَدًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، يَا كافِيَ إِبْرَاهِيمَ نُمْرُودَ، وَيَا كافِيَ مُوسى فِرْعَوْنَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَكْفِيَنِي شَرَّ فُلانِ ابْنِ فُلان» وليذكر اسم من يضرّه واسم أبيه، وليسأل اللَّه تعالى دفع ضرره وكفاية شرّه، فإنَّ اللَّه تعالى يكفيه ذلك البتّة إن شاء اللَّه تعالى.

ثمّ يسجد ويسأل حاجته ويتضرّع إلى اللَّه جلّ جلاله فإنّه ما من مؤمن ولا مؤمنة صلّى هذه الصلاة ودعا بهذا الدعاء مخلصًا إلَّا وانفتح له أبواب السماء لقضاء حوائجه، واستجيب دعاؤه لوقته من ليلته مهما كانت حاجته، وهذا من فضل اللَّه علينا وعلى الناس. انتهى[1].

٢- صلاة الحجة مع الدعاء:

صلاة الحجّة القائم عجَّل اللَّهُ تعالى فَرَجَهُ الشريف ودعاؤه: ركعتان، تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب إلى ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، ثمّ تكرّر هذه الآية مئة مرّة، ثمّ تتمّ قراءة الفاتحة وتقرأ بعدها الإخلاص: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ مرّة واحدة، وتدعو عقيبهما فتقول:

«اللَّهُمَّ عَظُمَ الْبَلَاءُ، وَبَرِحَ الْخَفَاءُ، وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ، وَضَاقَتِ الْأَرْضُ بِمَا وَسَعَتِ السَّماءُ، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ الْمُشْتَكَى، وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِمْ، وَعَجِّلِ اللَّهُمَّ فَرَجَهُمْ بِقَائِمِهِمْ، وَأَظْهِرْ إِعْزَازَهُ. يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، اكْفِيانِي

(١) النجم الثاقب: ٢١٥، الحكاية الأولى من الباب السابع.

فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَامُحَمَّدُ، انْصُرَانِي فَإِنَّكُما نَاصِرَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَامُحَمَّدُ، احْفظَانِي فَإِنَّكُما حَافِظَايَ، يَا مَوْلايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ،يَا مَوْلايَ يَا صَاحِبَ الزَّمانِ يَا مَوْلَايَ يَا صاحِبَ الزَّمَانِ، الْغَوْثَ الْغَوْثَ الْغَوْثَ، أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي، الْأَمَانَ الْأَمَانَ الْأَمَانَ».

٣- صلاة الاستغاثة بالحجة:

قال السيّد علي خان في الكلم الطيّب: هذه استغاثة بالحجّة صاحب العصر صلوات اللّه عليه، صلِّ أينما كنت ركعتين بالحمد وما شئت من السور، ثمّ قف مستقبلًا القبلة تحت السّماء وقل:

«سَلامُ اللَّهِ الْكامِلُ التَّامُّ الشَّامِلُ الْعامُّ، وَصَلَواتُهُ الدَّائِمَةُ وَبَرَكاتُهُ الْقائِمَةُ التَّامَّةُ عَلى حُجَّةِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ فِي أَرْضِهِ وَبِلادِهِ، وَخَلِيفَتِهِ عَلى خَلْقِهِ وَعِبادِهِ، وَسُلالَةِ النُّبُوَّةِ وَبَقِيَّةِ الْعِتْرَةِ وَالصَّفْوَةِ، صاحِبِ الزَّمانِ، وَمُظْهِرِ الْإيمانِ، وَمُلَقِّنِ أَحْكامِ الْقُرْآنِ، وَمُطَهِّرِ الْأَرْضِ، وَناشِرِ الْعَدْلِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ، وَالْحُجَّةِ الْقائِمِ الْمَهْدِيِّ، الْإِمامِ الْمُنْتَظَرِ الْمَرْضِيِّ، وَابْنِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ، الْوَصِيِّ ابْنِ الْأَوْصِياءِ الْمَرْضِيِّينَ، الْهادِي الْمَعْصُومِ ابْنِ الْأَئِمَّةِ الْهُداةِ الْمَعْصُومِينَ.

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُعِزَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْكافِرِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ الظَّالِمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلايَ يَا صاحِبَ الزَّمانِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ سَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْأَئِمَّةِ الْحُجَجِ الْمَعْصُومِينَ وَالْإِمامِ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلايَ سَلامَ مُخْلِصٍ لَكَ فِي الْوِلايَةِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمامُ الْمَهْدِيُّ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَأَنْتَ الَّذِي تَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، فَعَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَكَ،

وَسَهَّلَ مَخْرَجَكَ، وَقَرَّبَ زَمانَكَ، وَكَثَّرَ أَنْصارَكَ وَأَعْوانَكَ، وَأَنْجَزَ لَكَ ما وَعَدَكَ فَهُوَ أَصْدَقُ الْقائِلِينَ ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ**﴾[1].

يَا مَوْلايَ يَا صاحِبَ الزَّمانِ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، حاجَتِي كَذا وَكَذا (واذكر حاجتك عوض كلمة كذا وكذا)، فَاشْفَعْ لِي فِي نَجاحِها، فَقَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِحاجَتِي لِعِلْمِي أَنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ شَفاعَةً مَقْبُولَةً وَمَقامًا مَحْمُودًا، فَبِحَقِّ مَنِ اخْتَصَّكُمْ بِأَمْرِهِ، وَارْتَضاكُمْ لِسِرِّهِ، وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، سَلِ اللَّهَ تَعالى فِي نُجْحِ طَلِبَتِي وَإِجابَةِ دَعْوَتِي وَكَشْفِ كُرْبَتِي».

وسل ما تريد فإنّه يُقضى إن شاء اللّه.

أقول: الأحسن أن يقرأ بعد الحمد في الركعة الأُولى من هذه الصلاة سورة: ﴿**إِنَّا فَتَحْنا**﴾، وفي الثانية: ﴿**إِذا جَاءَ نَصرُ اللَّهِ والفَتْحُ**﴾[2].

الوسيلة الرابعة: الرسائل والمخاطبات المكتوبة:

هناك طريقتان لإيصال العريضة أو الرسالة للمهدي عجل الله فرجه:

الأولى: عبرضريح أحدالائمة عليهم السلام.

الثانية : يلقيها في نهر أو بئر عميق أو حفرة عميقة.

وأما مضامين العريضة أو الرسالة فهذا يعتمد على المكلَّف وحاجاته، إلَّا أنه من الضروري أن يكون محتوى الرسالة كلامًا فيه من الآداب والاحترام.

---

(١) سورة القصص، الآية ٥.

(٢) ورواه الكفعمي في البلد الأمين: ١٥٨؛ والبحار ١٠٢ / ٢٤٦ عن قبس المصباح؛ والمزار للمشهدي: ٦٧١ وعنه البحار ١٠١ / ٣٧٣.

ويفضل أن تكتب بهذه الكلمات: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَتَبْتُ يَا مَوْلَايَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكَ- مُسْتَعِينًا، وَشَكَوْتُ مَا نَزَلَ بِي مُسْتَجِيرًا بِاللَّهِ ﷻ ثُمَّ بِكَ، مِنْ أَمْرٍ قَدْ دَهَمَنِي، وَأَشْغَلَ قَلْبِي وَأَطَالَ فِكْرِي، وَسَلَبَنِي بَعْضَ لُبِّي، وَغَيَّرَ خَطِيرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي، أَسْلَمَنِي عِنْدَ تَخَيُّلِ وُرُودِهِ الْخَلِيلُ، وَتَبَرَّأَ مِنِّي عِنْدَ تَرَائِي إِقْبَالِهِ إِلَيَّ الْحَمِيمُ، وَعَجَزَتْ عَنْ دِفَاعِهِ حِيلَتِي، وَجَانَبَنِي فِي تَحَمُّلِهِ صَبْرِي وَقُوَّتِي، فَلَجَأْتُ إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْكَ فِي دِفَاعِهِ عَنِّي، عِلْمًا بِمَكَانِكَ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلِيِّ التَّدْبِيرِ وَمَالِكِ الْأُمُورِ، وَاثِقًا بِكَ فِي الْمُسَارَعَةِ فِي الشَّفَاعَةِ إِلَيْهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي أَمْرِي، مُتَيَقِّنًا لِإِجَابَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاكَ بِإِعْطَائِي سُؤْلِي، وَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ جَدِيرٌ بِتَحْقِيقِ ظَنِّي وَتَصْدِيقِ أَمَلِي فِيكَ فِي كَذَا وَكَذَا (وَيَكْتُبُ حَاجَتَهُ) فِيمَا لَا طَاقَةَ لِي بِتَحَمُّلِهِ، وَلَا صَبْرَ لِي عَلَيْهِ، وَإِنْ كُنْتُ مُسْتَحِقًّا لَهُ وَلِأَضْعَافِهِ بِقَبِيحِ أَفْعَالِي وَتَفْرِيطِي فِي الْوَاجِبَاتِ الَّتِي لِلَّهِ ﷻ، فَأَغِثْنِي يَا مَوْلَايَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكَ عِنْدَ اللَّهَفِ، وَقَدِّمِ الْمَسْأَلَةَ لِلَّهِ ﷻ فِي أَمْرِي قَبْلَ حُلُولِ التَّلَفِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، فَبِكَ بُسِطَتِ النِّعْمَةُ عَلَيَّ. وَأَسْأَلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِي نَصْرًا عَزِيزًا وَفَتْحًا قَرِيبًا فِيهِ بُلُوغُ الْآمَالِ، وَخَيْرُ الْمَبَادِي وَخَوَاتِيمُ الْأَعْمَالِ، وَالْأَمْنُ مِنَ الْمَخَاوِفِ كُلِّهَا فِي كُلِّ حَالٍ، إِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِمَا يَشَاءُ فَعَّالٌ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فِي الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ»[1].

(١) زاد المعاد، للعلامة المجلسي، ص ٥٧٨ - ٥٧٩.

رمزية الجمعة بالمهدي

إنّ ليَوم الجُمعة نسبةً وانتماءً إلى إمام العصر عجل الله فرجه من نواحي عديدة، ففيه كانت ولادته السَّعيدة، وفيه يفيض السُّرور بظهُورهِ، وترقُّب الفَرَج وانتظاره فيه أشدّ ممّا سواه من الأيّام.

إن خروج الحجة سيكون في يوم الجمعة، وفي هذا اليوم -كما تعلمون- من الأعمال المنسوبة للإمام الحجة كثيرة، منها قراءة العهد، فعن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «من دعا بهذا الدعاء مرة واحدة في دهره كُتب في رِقٍّ ورُفع في ديوان القائم عليه السلام، فإذا قام قائمنا ناداه باسمه واسم أبيه، ثم يُدفع إليه هذا الكتاب، ويقال له: خذ هذا الكتاب العهد الذي عاهدتنا في الدنيا، وذلك قوله عز وجل: ﴿**إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْدًا**﴾[1]»[2].

تعقيبات الصلاة أم طلب الرزق:

من المعلوم آنه يستحب التعقيب بعد الصلاة، قال الباقر عليه السلام:

(١) سورة مريم، الآية ٨٧.
(٢) مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد ابن طاووس، ص٣٣٤.

«الدعاء بعد الفريضة أفضل من الصلاة تنفُّلًا»[١].

وعن الصادق عليه السلام: «التعقيب أبلغ في طلب الرزق من الضرب في البلاد»[٢].

وورد أن من أهم التعقيب تسبيحة الزهراء عليها السلام، الذي ما عُبِدَ اللَّه بشيء من التحميد أفضل منه، بل هو في كلّ يوم في دبر كلّ صلاة أحبّ إلى الإمام الصادق عليه السلام من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم، ولم يلزمه عبد فشقي، وما قاله عبد قبل أن يُثني رجليه من المكتوبة إلَّا غفر اللَّه له وأوجب له الجنّة[٣].

وفي جمال الأسبوع رواية في الصلاة على النبي محمد وآله صلوات اللَّه عليه وعليهم بعد صلاة العصر يوم الجمعة:

حدَّث الحسين بن الحسن بن بابويه قال: حدثنا ماجيلويه قال: حدثنا البرقي عن بعض أصحابنا، عن منصور بن يونس، عن أبي إسماعيل الصيقل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من صلَّى على محمد وآله عليه وعليهم السّلام حين يُصلِّي العصر يوم الجمعة قبل أن ينفتل من صلاته عشر مرات يقول: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد الأوصياء المرضيين بأفضل صلواتك، وبارك عليهم بأفضل بركاتك وعليه وعليهم السّلام، وعلى أرواحهم وأجسادهم ورحمة اللَّه وبركاته، صلَّت عليه الملائكة من تلك الجمعة إلى الجمعة المقبلة في تلك الساعة»[٤].

---

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص ٤٣٧.
(٢) وسائل الشيعة، ج٦، ص ٤٢٩.
(٣) وسيلة النجاة، الشيخ محمد تقي بهجت، ج١، ص٢٢٠.
(٤) جمال الأسبوع، ابن طاووس، ص٢٧٤.

صلاة الحجة على النبي والآل:

ومن هذه الأدعية التي تُقرأ في يوم الجمعة بعد صلاة العصر إلى المغرب الصلوات المنسوبة للحجة، وربما بعضنا غافل عن هذه الصلوات، هل نقرؤها أم لا، ولكنها من الصلوات المهمَّة التي فيها من الأسرار العظيمة، هل قرأنا هذه الصلوات أم لا؟ هل سمعناها من قبل؟ هي من أفضل أعمال يوم الجمعة من بعد صلاة العصر إلى الغروب.

هذه الصلوات على النبي وآله مروية في كتاب (مفاتيح الجنان) في أعمال يوم الجمعة، وكتاب (مصباح المتهجد) للكفعمي، وللعلم فقد ذكر الكفعمي في مصباحه -أيضًا- أحكامًا فقهية بصورة مختصرة في بداية كل فصل من فصول هذا الكتاب[1]. وكذلك كتاب (جمال الأسبوع) للسيد ابن طاووس المتوفَّى ٦٦٤ هـ، وهي صلوات مروية عن مولانا المهدي عجل الله فرجه الشريف، وإن تركت تعقيب العصر يوم الجمعة لعذر فلا تترك هذه الصلوات.

ثم هناك أدعية مختلفة بعد صلاة العصر، وتعقيب مشهور، وهو الاستغفار.

وقال الشيخ الكفعمي في المصباح: هذه صلاة مروية عن صاحب الزمان عليه السلام[2]، خرج إلى أبي الحسن الضَّرَّاب الأصفهاني بمكة، وهي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنْتَجَبِ فِي الْمِيثَاقِ، الْمُصْطَفَى فِي

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص٥.

(٢) لما كنا نزور الرضا أيام زمان كنت أرى أحد العلماء في مثل هذا اليوم لا يترك هذه الصلوات لأهميتها وحرصه على أن يقرأها.

الظِّلَالِ، الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ، الْبَرِيءِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، الْمُؤَمَّلِ لِلنَّجَاةِ، الْمُرْتَجَى لِلشَّفَاعَةِ، الْمُفَوَّضِ إِلَيْهِ دِينُ اللَّهِ. اللَّهُمَّ شَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَأَفْلِجْ حُجَّتَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وَأَضِئْ نُورَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ، وَأَعْطِهِ الْفَضْلَ، وَالْفَضِيلَةَ وَالْوَسِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ».

ثم قال: «وَصَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَسَيِّدِ الْوَصِيِّينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلِّ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِ الْعَالَمِينَ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلِّ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلِّ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...».

ثم الإمام الحجة يصل على نفسه: «وَصَلِّ عَلَى الْخَلَفِ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَئِمَّةِ الْهَادِينَ، الْعُلَمَاءِ الصَّادِقِينَ، الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، دَعَائِمِ دِينِكَ، وَأَرْكَانِ تَوْحِيدِكَ، وَتَرَاجِمَةِ وَحْيِكَ، وَحُجَجِكَ عَلَى خَلْقِك، وَخُلَفَائِكَ فِي أَرْضِكَ، الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِنَفْسِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُمْ عَلَى عِبَادِكَ، وَارْتَضَيْتَهُمْ لِدِينِكَ، وَخَصَصْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَجَلَّلْتَهُمْ بِكَرَامَتِكَ، وَغَشَّيْتَهُمْ بِرَحْمَتِكَ، وَرَبَّيْتَهُمْ بِنِعْمَتِكَ، وَغَذَّيْتَهُمْ بِحِكْمَتِكَ، وَأَلْبَسْتَهُمْ نُورَكَ، وَرَفَعْتَهُمْ فِي مَلَكُوتِكَ، وَحَفَفْتَهُمْ بِمَلَائِكَتِكَ، وَشَرَّفْتَهُمْ بِنَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِمْ، صَلَاةً زَاكِيَةً نَامِيَةً كَثِيرَةً دَائِمَةً طَيِّبَةً، لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَسَعُهَا إِلَّا عِلْمُكَ، وَلَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ غَيْرُك».

في هذا مقطع الأخير صلَّى الحجة على رسول اللَّه ﷺ ثم الأئمة واحدًا واحدًا منتهيًّا بنفسه عليه السلام حيث يقول:

«اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّك الْمُحْيِي سُنَّتَكَ، الْقَائِمِ بِأَمْرِكَ، الدَّاعِي إِلَيْكَ، الدَّلِيلِ عَلَيْكَ، حُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ، وَخَلِيفَتِكَ فِي أَرْضِكَ، وَشَاهِدِكَ عَلَى عِبَادِكَ».

«اللَّهُمَّ أَعِزَّ نَصْرَهُ، وَمُدَّ فِي عُمُرِهِ، وَزَيِّنِ الْأَرْضَ بِطُولِ بَقَائِهِ. اللَّهُمَّ اكْفِهِ بَغْيَ الْحَاسِدِينَ، وَأَعِذْهُ مِنْ شَرِّ الْكَائِدِينَ، وَازْجُرْ عَنْهُ إِرَادَةَ الظَّالِمِينَ، وَخَلِّصْهُ مِنْ أَيْدِي الْجَبَّارِينَ. اللَّهُمَّ أَعْطِهِ فِي نَفْسِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَشِيعَتِهِ وَرَعِيَّتِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ وَعَدُوِّهِ وَجَمِيعِ أَهْلِ الدُّنْيَا مَا تُقِرُّ بِهِ عَيْنَهُ، وَتَسُرُّ بِهِ نَفْسَهُ، وَبَلِّغْهُ أَفْضَلَ مَا أَمَّلَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ جَدِّدْ بِهِ مَا امْتَحَى مِنْ دِينِكَ، وَأَحْيِ بِهِ مَا بُدِّلَ مِنْ كِتَابِكَ، وَأَظْهِرْ بِهِ مَا غُيِّرَ مِنْ حُكْمِكَ، حَتَّى يَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضًّا جَدِيدًا خَالِصًا

مُخْلِصًا، لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا شُبْهَةَ مَعَهُ، وَلَا بَاطِلَ عِنْدَهُ، وَلَا بِدْعَةَ لَدَيْهِ. اللَّهُمَّ نَوِّرْ بِنُورِهِ كُلَّ ظُلْمَةٍ، وَهُدَّ بِرُكْنِهِ كُلَّ بِدْعَةٍ، وَاهْدِمْ بِعِزَّتِهِ كُلَّ ضَلَالَةٍ، وَاقْصِمْ بِهِ كُلَّ جَبَّارٍ، وَأَخْمِدْ بِسَيْفِهِ كُلَّ نَارٍ، وَأَهْلِكْ بِعَدْلِهِ كُلَّ جَوْرٍ، وَأَجْرِ حُكْمَهُ عَلَى كُلِّ حُكْمٍ، وَأَذِلَّ بِسُلْطَانِهِ كُلَّ سُلْطَانٍ. اللَّهُمَّ أَذِلَّ كُلَّ مَنْ نَاوَاهُ، وَأَهْلِكْ كُلَّ مَنْ عَادَاهُ، وَامْكُرْ بِمَنْ كَادَهُ، وَاسْتَأْصِلْ مَنْ جَحَدَهُ حَقَّهُ، وَاسْتَهَانَ بِأَمْرِهِ، وَسَعَى فِي إِطْفَاءِ نُورِهِ، وَأَرَادَ إِخْمَادَ ذِكْرِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، وَعَلِيٍّ الْمُرْتَضَى، وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَالْحَسَنِ الرِّضَا، وَالْحُسَيْنِ الْمُصَفَّى، وَجَمِيعِ الْأَوْصِيَاءِ مَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ الْهُدَى، ومَنَارِ التُّقَى، وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَالْحَبْلِ الْمَتِينِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ وَوُلَاةِ عَهْدِكَ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ، وَمُدَّ فِي أَعْمَارِهِمْ، وَزِدْ فِي آجَالِهِمْ، وَبَلِّغْهُمْ أَقْصَى آمَالِهِمْ دِينًا وَدُنْيَا وَآخِرَةً، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

دعاء السمات قبل الغروب:

دعاء السمات الوارد عن الحجة عجل الله فرجه، وقد رواه أحد وكلاء العسكري، وهو أبو عمرو العمري، المُكنَّى بأبي عمرو السمان[2].

ويستحب قراءة دعاء السمات آخر ساعة من يوم الجمعة؛ لأن فيها تفتح أبواب السماء وتستجاب الدعوات.

ومستهله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ

(١) مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، ج١، ص ٤٠٦ - ٤٠٩.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي، ج٣، ص٤١٥.

انْفَتَحَتْ، وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَضَايِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِلْفَرْجِ انْفَرَجَتْ، وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ...»[1].

والبعض منها يقضي آخر نهار الجمعة في التمشية وأمور أخرى، فإذا فاتنا شيء فيما مضى فأيام شهر رمضان قادمة، وهي أيام دعاء وذكر واستغفار، فلنجعل جزءًا من وقتنا لهذه الأعمال المستحبة. ويستغل الواحد منا يوم جمعة وهو صائم ومتوجِّه إلى اللَّه بهذه الصلوات الواردة عن الإمام، ويُنهي يومه بقراءة دعاء السمات. نسأل اللَّه أن يعيننا وإياكم على الاقتراب من أئمة أهل البيت عليهم السلام وإحياء تراثهم.

أدعية أهل البيت ثروة روحية ومعرفية:

إنَّنا نحمد اللَّه سبحانه وتعالى على هذه النعمة، نعمة الولاء لأهل البيت والمودة لهم، ومن مظاهر نعمة الولاية التراث الضخم الأهل البيت عليهم السلام في باب الأدعية. فغيرنا محروم منه، ونحن نحتاج أن نتوجَّه لهذا التراث، وأن ننهل منه، فعندنا كوثر أهل البيت عليهم السلام فلننهل من المعاني العالية التي تُهذِّب النفوس، وتقرّبنا من اللَّه، وتنبّهنا إلى أخطائنا، وتُقرِّبنا إلى أهل البيت عليهم السلام.

وقد حفلت كتب الدعاء الكثيرة بتراث غزير من أدعية أهل البيت عليهم السلام، التي تعتبر صفحة مشرقة من صفحات التراث الإنساني، وذخيرة فذَّة من ذخائر المسلمين، فهي من حيث الصياغة والبلاغة آية من آيات الأدب الرفيع، ومن حيث المضمون فقد أودع الأئمة عليهم السلام في أدعيتهم خلاصة المعارف الدينية، وهي من أرقى المناهل في الإلهيات والأخلاق، وهي وسيلة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام، وبيان أدقّ أسرار التوحيد والنبوة والمعاد،

(١) مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، ج١، ص ٤١٦ - ٤٢٢.

وغيرها من المضامين التي تترتّب عليها آثار واضحة في تعليم الناس روحية الدين والزهد والأخلاق.

يقول مروان خليفات مؤلف كتاب (وركبت السفينة): «لم أشعر باللطف الإلهيّ عيانًا أمامي إلَّا بعد اعتناقي خطّ أهل البيت عليهم السلام، وقد لاحظت أثناء كتابتي الكتاب وجود يد غيبيّة تُرشدني وتفتح أمامي آفاقًا كثيرة، أما أدعية أهل البيت عليهم السلام وسلوكهم مع اللّه فهي التي تغسل عن القلب الصدأ أو الحجب».

أنت لما تقرأ هذه الصلوات من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام الحجة، أليست تقربك منهم. لذا علينا أن نلتزم بأداء هذه الأوراد، فهي لا تأخذ عشر دقائق، فلا تغب عنا هذه المسائل، فهذا وفاء لإمامنا الحجة عجل الله فرجه.

وبين أيدينا الصحيفة المهدوية، فيها ما جاء عن الإمام الحجة من أدعية وأذكار كما في الصحيفة السجادية.

وقد جمع فيها ما ورد عن الحجة من الأدعية، مثل دعاء الندبة والسمات، وهذه الصلوات، ودعاء الافتتاح الذي يقرأ كل ليلة من ليالي شهر رمضان.

علامات الظهور

قال رسول اللَّه: « المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا»[١].

بين علامات الظهور وشرائطه فوارق:

العلامة -كما عرَّفها علماء اللغة- من العَلَم، وهو الأثر الذي يُعلم به الشيء، أو ما يُنصب ويُوضع ليُهتدى به، كعَلَم الجيش والمصابيح المنيرة في الليل على جوانب مدرج المطار، وإشارات طرق السيارات والسفن، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[٢].

وللعلامة في اللغة أسماء كثيرة، فقد يعبر عنها بـ(الأشراط) كما في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا**﴾[٣] أي علاماتها، وقد يُعبّر عنها بـ(الآية) كما في خطابه لبني إسرائيل: ﴿**إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[٤] أي علامة مُلْك ملككم المنصَّب

(١) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج٥، ص ٢٤٤.
(٢) سورة النحل، الآية ١٦.
(٣) سورة محمد، الآية ١٨.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٨.

لكم من اللَّه تعالى، أن يأتيكم التابوت تحمله الملائكة لكم، وفيه سكينة من ربكم، فهم يترقّبون تحقُّق هذه العلامة، فإذا تحقَّقت علموا أن اللَّه تعالى قد أنجز وعده لهم.

والمعنى الاصطلاحي للعلامة لا يختلف في شيء عن معناها اللغوي؛ لأنها تطلق في علم الملاحم والفتن على كل حدث دلَّ الخبر الغيبي على وقوعه في المستقبل، ويكون علامة على وقوع حدث آخر بعده[١].

قال الشيخ الأجلّ محمّد بن إبراهيم النعماني: «هذه العلامات التي ذكرها الأئمة عليهم السلام مع كثرتها واتصال الروايات بها وتواترها واتّفاقها، موجبة أَلَّا يظهر القائم إلَّا بعد مجيئها وكونها؛ إذ كانوا قد أخبروا أن لا بدّ منها، وهم الصادقون، حتى أنه قيل لهم: نرجو أن يكون ما نؤمّل من أمر القائم عليه السلام ولا يكون قبله السفياني؟ فقالوا: بلى واللَّه، إنه لمن المحتوم الذي لا بد منه»[٢].

وقد «وقع الخلط في كثير من كتب علماء أهل السنة بالنسبة إلى الأحاديث المتعلّقة بآخر الزمان، بين ما هو من أشراط الساعة وعلامات دنوّ القيامة، وبين العلامات التي تسبق ظهور الإمام المهدي المنتظر عجل اللَّه له الفرج. فقد أدرجها البعض في عنوان (الفتن)، وآخر تحت عنوان (الملاحم) و(أشراط الساعة)، وربما أورد بعضهم الأحاديث المتعلّقة بالمهدي في علائم دنوّ القيامة»[٣].

---

(١) توضيح الواضحات من أشكل المشكلات، ص١٥

(٢) قادتنا كيف نعرفهم، السيد محمد هادي الميلاني، ج٤، ص٤٧٦.

(٣) قادتنا كيف نعرفهم، ج٤، ص٤٧٦.

وفي الفرق بين علامات الظهور وشرائطه يقول السيد محمد صادق الصدر: «**الفرق الأول**: إن إناطة الظهور بالشرائط إناطة واقعية، وإناطته بالعلامات إناطة كشف وإعلام.

وهذا هو الفرق الأساسي المستفاد من نفس مفهوم اللفظين: الشرط والعلامة. فإن معنى الشرط في الفلسفة، ما كان له بالنتيجة علاقة عليّة وسببية لزومية. بحيث يستحيل وجوده بدونه.

وهذا هو الذي نجده على وجه التعيين في شرائط الظهور. فإننا سنرى أن انعدام بعض الشرائط يقتضي انعدام الظهور أساسًا بحيث لا يعقل تحقّقه.

وانعدام بعضها الآخر يقتضي فشله ومن ثم عدم إمكان نشر العدل الكامل المستهدف في التخطيط الإلهي الكبير. إذن فلا بد أولًا من اجتماع الشرائط، لكي يمكن تحقّق الظهور ونجاحه.

أما العلامة، فليس لها من دخل سوى الدلالة والإعلام والكشف عن وقوع الظهور بعدها، مثالها مثال هيجان الطيور الدال على وقوع المطر أو العاصفة بعده من دون إمكان أن يقال: إن العاصفة لا يمكن أن تقع بدون هيجان الطيور. بل يمكن وقوعها، بطبيعة الحال. وإن كان قد لا تنفك عن ذلك في كل عاصفة.

وهذا هو الذي نجده في علامات الظهور، فإنه يمكن تصوّر حدوثه بدونها...

الفرق الثاني: إن علامات الظهور، عبارة عن عدة حوادث، قد تكون مبعثرة، وليس من بد من وجود ترابط واقعي بينهما، سوى كونها سابقة على

الظهور ... الأمر الذي برّر جعلها علامة للظهور، في الأدلة الاسلامية. وأما شرائط الظهور، فإن لها -باعتبار التخطيط الإلهي الطويل- ترابط سببي ومسببي واقعي»[١].

وعليه يمكن القول: «علامات الظهور هي الدلالات التي تُنبئ بقرب ظهور المهدي عجل الله فرجه كالحوادث الخاصة، مثل الزلازل والكسوف والخسوف، وظهور أشخاص معينين كالسفياني والخراساني وما أشبه. أما شرائط الظهور فهي ما يتوقّف عليه الظهور ولا يحصل من دونه، ومنها اكتمال عدة أنصار المهدي الثلاثمائة وثلاثة عشر، ووجود القواعد الشعبية وغيرها، فمن دون اكتمال عِدَّة أنصاره لا يمكن أن يظهر المهدي عجل الله فرجه؛ لأن الظهور متوقّف على هذا الشرط»[٢].

هل لمعرفة علامات الظهور جدوى وعائد؟

للعلامات آثار إيجابية كثيرة حتى قبل وقوعها، نذكر بعضها:

١- بطلان دعوى كل من ادَّعى أنه المهدي، حيث جاء: «من روى لكم عنّا توقيتًا فلا تهابوا إن تُكذِّبوه كائنًا من كان، فإنا لا نوقّت. وهذا من أعدل الشواهد على بطلان أمر كل من ادّعى أو ادُّعي له مرتبة القائم ومنزلته، وظهر قبل مجيء هذه العلامات، لا سيما وأحوالهم كلها شاهدة ببطلان دعوى من يُدَّعى له، ونسأل اللَّه أَلَّا يجعلنا ممَّن يطلب الدنيا بالزخارف في الدين، والتمويه على ضعفاء المريدين، ولا يسلبنا ما منحنا به من نور الهدى وضيائه،

(١) تاريخ الغيبة الكبرى، ج٢، ص٣٩٦.
(٢) مركز الأبحاث العقائدية.

وجمال الحق وبهائه بمنّه وَطَوْله»[١].

٢- وضوح كذب كل من يدَّعي السفارة الخاصة في زمن الغيبة وقبل ظهور العلامات الحتمية، حيث «نفي النيابة الخاصّة والسفارة إلى حدّ سماع الصيحة من السماء في سنة الظهور، وأي مدّعٍ للنيابة والاتّصال والارتباط مع الحجّة عجّل اللَّه فرجه قبل الصيحة فهو كذّاب ومفتر أيًّا كان هذا المدّعي، ولو تقمّص بأيِّ اسمٍ وعنوان، سواء ادّعى أنّه سيظهر من اليمن أو من خراسان أو من غيرهما»[٢].

٣- شحذ الهمم، حيث العلامات تصنع روح الترقُّب والأمل، ممَّا يُبقي القضية المهدوية مُتَّقدة في النفوس، فـ«ممَّا يساعد على حفظ الهدف الكبير، وتحقيق النتائج المتوخَّاة، وله دوره في الحفاظ على الروح والحيوية الفاعلة والمؤثِّرة، هو إبلاغ الناس بعلامات الظهور، حيث لا بد أن تُرهق المشكلات والمتاعب والمصاعب روح كثير من العاملين، وتُمْنى بالإحباط عزائمهم وبالخور هِممهم، وتُصاب بالأذى مشاعرهم، وتذبل شيئًا فشيئًا زهرة أملهم.

فرؤية بعض تلك العلامات يتحقّق على صفحة الواقع ستشحذ العزائم، وتستنهض الهمم، وتُثير المشاعر، وتكون بمثابة ماء الحياة، الذي يُعيد لتلك الزهرة الذابلة نُمُوَّها، ويُسبغ عليها رواءها، ورونقها، ويزيد في بهجتها»[٣].

فـ«علامات الظهور هي أشياء محدَّدة قالها النبي والأئمة عليهم الصلاة

(١) قادتنا كيف نعرفهم، السيد محمد الميلاني، ج٤، ص٤٧٦.
(٢) فقه علائم الظهور، محمد السند، ص١٥.
(٣) دراسة في علامات الظهور، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص٣٢.

والسلام، لأجل الربط على قلوب شيعة أهل البيت عليهم السلام وهم يُواجهون التحديات والشبهات والضغوطات الهائلة»[١].

٤- مساعدة المؤمن على التمييز وعدم الوقوع في أي التباس، ففي الغيبة للنعماني عن هشام بن سالم قال: «سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: هما صيحتان: صيحة في أول الليل، وصيحة في آخر الليلة الثانية.

قال: فقلت: كيف ذلك؟

فقال: واحدة من السماء، وواحدة من إبليس.

فقلت: كيف تُعرف هذه من هذه؟

فقال: يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون»[٢].

«الحوادث الكونية القريبة من الظهور بحسب دلالة الأخبار فالسر الأساسي في دلالتها على الظهور هو أن اللَّه تعالى يُوجد بعض الحوادث الكونية خصيصًا لأجل أن تصبح علامةعلى الظهور لأجل إلفات نظر الناس إليه»[٣].

وقد بيّنا أن بعض الظواهر الكونية المخالفة للطبيعة، بمعنى أنها تخالف العرف والمتعارف، ستحصل في الكون لتؤشّر أن حدثًا هامًّا سيحدث، ومن هذه الظواهر النار في السماء، والنجم المذنب، والكسوف والخسوف في غير وقتهما المتعارف. وهذه من الظواهر الخارقة للعادة جاءت عن طريق

(١) مقالات ودراسات، السيد جعفر العاملي، السيد جعفر العاملي، ص١١٣.
(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.
(٣) تاريخ الغيبة الكبرى، ج٢، ص٤٤٤.

النصوص والروايات في كتب الفريقين. وهناك روايات متواترة تؤشّر إلى أن هناك علامات ستحصل عند ظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إذا اقترب الظهور كانت الشمس ظل يشرق من المغرب:

من الظواهر الكونية غير الطبيعية والخارقة للعادة ركود الشمس عند الزوال إلى العصر، وهذا غير متعارف، حيث المتعارف أن الشمس في هذا الوقت حارة وفي أشد قوتها، أو أنها ستشرق من المغرب، فالعادة أن الشمس تشرق من المشرق، ولكن أن تخرج من المغرب فهذا خلاف علم الفلك المتعارف، فقبل خروج الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ستحدث آية أو آيتان تتعلقان بالشمس أنها تكون راكدة أثناء الزوال، وتشرق من المغرب.

كل ذلك على سبيل الإعجاز، وهي من «العلامات الحتمية، وهي المتصلة بالظهور مباشرة، لأجل الدلالة على الإمام (عجل اللَّه فرجه)، حتى لا يبقى عذر لمعتذر على وجه الأرض، فيقول: إنه ما عرف الإمام، أو شك فيه.

فهذه العلامات، ومنها الخسف بالبيداء، وخروج الشمس من مغربها، وخروج السفياني، والأمور الأخرى التي ذكرت في الأحاديث، تكون لقطع العذر، وإقامة الحجة»[1].

يقول السيد محسن الأمين وهو يُعدِّد علامات عصر الظهور: «الستون ركود الشمس وخروج صدر ووجه في عين الشمس.

المفيد بسنده عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ**

(١) مقالات ودراسات، السيد جعفر العاملي، ص١١٧.

السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[١] قال: سيفعل اللَّه ذلك بهم. قلت: ومن هم؟ قال: بنو أمية وشيعتهم. قلت: وما الآية؟ قال ركود الشمس ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر، وخروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس، يعرف بحسبه ونسبه، وذلك في زمان السفياني، وعندها يكون بواره وبوار قومه.

غيبة الطوسي بسنده عن علي بن عبد اللَّه بن عباس: لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية.

وَمَرَّ في الأمر السابع والخمسين: يرون بدنًا بارزًا نحو عين الشمس، أو يُرى بدن في قرن الشمس»[٢].

وورد عن الباقر عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً**﴾[٣]: وسيريك في آخر الزمان آيات، وعدَّ منها طلوع الشمس من مغربها[٤].

يقول السيد محمد صادق الصدر: «عُدَّ في الإرشاد في نفس السياق السابق لعلامات الظهور، عُدَّ منها طلوعها من المغرب.. والظاهر أن هذه الآية من علامات الساعة المباشرة؛ بدليل ربطها في الأحاديث بالزمن الذي لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وهو يوم القيامة على التفسير المشهور، ومعه فالشمس تخرج من مغربها عند خراب النظام في المجموعة الشمسية لدى اقتراب يوم القيامة، وأما كونها من علامات الظهور بحيث

(١) سورة الشعراء، الآية ٤.
(٢) أعيان الشيعة، ج٢، ص٨٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٧.
(٤) انظر: تفسير نور الثقلين، ج١، ص ٧١٤.

تحدث خلال عصر الغيبة الكبرى فلم يثبت إلَّا بخبر الإرشاد الذي قلنا: إنه لا يكفي وحده للإثبات التاريخي»[١].

نداء من السماء بكل لغات العالم:

ومن الظواهر المهمَّة التي ستحصل قبل ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف النداء من السماء باسم القائم، فقد تحدَّثت الروايات وعلى نحو التواتر أن هناك نداءً سيحصل في السماء باسم القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

عن الصادق عليه السلام: «أشهد أني قد سمعت أبي عليه السلام يقول: واللَّه إن ذلك (يعني النداء باسم القائم) في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ لَبيِّن، حيث يقول: ﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾[٢]، فلا يبقى يومئذ في الأرض أحد إلا خضع وذلَّت رقبته لها. إلى أن قال: فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى من الأرض، ثم ينادي... الحديث»[٣].

وفي رواية: «إذا سمعوا الصوت أصبحوا وكأنما على رؤوسهم الطير»[٤].

وسأل زرارة الصادق عليه السلام عن النداء فقال: «خَاصٌّ أَوْ عَامٌّ؟ قَالَ: عَامٌّ، كُلُّ قَوْمٍ بِلِسَانِهِمْ.

قُلْتُ: فَمَنْ يُخَالِفُ الْقَائِمَ عليه السلام وَقَدْ نُودِيَ بِاسْمِهِ؟

---

(١) تاريخ الغيبة الكبرى، ج٢، ص٤٩٥.
(٢) سورة الشعراء، الآية ٤.
(٣) البرهان في تفسير القرآن، ج٤، ص ١٦٧.
(٤) البرهان في تفسير القرآن، ج٤، ص ١٦٨.

قَالَ: لَا يَدَعُهُمْ إِبْلِيسُ حَتَّى يُنَادِيَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَيُشَكِّكَ النَّاسَ»[١].

وفي رواية سأل زرارة الإمام الصادق عليه السلام: «فَمَنْ يَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ؟ قَالَ: يَعْرِفُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْوُونَ حَدِيثَنَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُحِقُّونَ الصَّادِقُونَ»[٢].

وسأله هشام بن سالم فقال: «وَكَيْفَ تُعْرَفُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ -أي الصيحتان-؟ فَقَالَ: يَعْرِفُهَا مَنْ كَانَ سَمِعَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ»[٣].

ويقول السيد محسن الأمين: «المستفاد من الأخبار أن هذا النداء يكون أربع مرات، المرة الأولى في رجب، روى [ذلك] النعماني والطوسي في غيبتيهما بأسانيدهما عن الحميري وغيره»[٤].

ورُوي عن قال الباقر عليه السلام: «الصَّيْحَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ، وَالصَّيْحَةُ فِيهِ هِيَ صَيْحَةُ جَبْرَئِيل عليه السلام»[٥].

ورُوي: «إِنَّهُ يُنَادِي بِاسْمِ صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَلَا إِنَّ الْأَمْرَ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، فَفِيمَ الْقِتَالُ؟»[٦].

وكأنه فيه إشارة إلى أنه قبل خروجه عجل الله فرجه يحدث قتال ونزاع، فيأتي النداء من السماء الأمر لصاحب الأمر عجل الله فرجه.

---

(١) الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص ١٣٠.
(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٦٤.
(٣) الغيبة للنعماني، ص٢٦٥ - ٢٦٦.
(٤) أعيان الشيعة، ج٢، ص٦٤٧.
(٥) الغيبة للنعماني، ص ٢٥٤.
(٦) الغيبة للنعماني، ص ٢٦٦.

وهذا النداء يتعالى، أي يُسمع بصوت مجلجل بحيث يؤثّر في الناس، وفي الروايات: الجالس يقوم، والنائم يستيقظ، والواقف يجلس، من شدَّة الصوت، فيُحدث حركة غير طبيعية بين الناس.

وفي الرواية عن محمد بن مسلم قال: «ينادي منادٍ من السماء باسم القائم فيسمع ما بين المشرق والمغرب -أي في كل الأرض- فلا يبقى راقد إلَّا قام، ولا قائم إلَّا قعد، ولا قاعد إلَّا قام على رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبريل الروح الأمين»[١].

وفي رواية أخرى: «أيها الناس، إن أميركم فلان، وذلك هو المهدي»[٢].

وروي: «أَنَّهُ يُنَادِي بِاسْمِ الْقَائِمِ وَاسْمِ أَبِيهِ، حَتَّى تَسْمَعَهُ الْعَذْرَاءُ فِي خِدْرِهَا، فَتُحَرِّضُ أَبَاهَا وَأَخَاهَا عَلَى الْخُرُوجِ»[٣].

ورُوي في الفزعة في شهر رمضان: «هي آية تخرج الفتاة من خدرها، وتوقظ النائم، وتفزع اليقظان»[٤].

وفي رواية: «صيحة في شهر رمضان تُفزع اليقظان، وتُوقظ النائم، وتُخرج الفتاة من خدرها»[٥].

وعن الإمام الرضا عليه السلام متحدِّثًا عن الإمام المهدي عجل الله فرجه لدى خروجه: «وَهُوَ الَّذِي يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالدُّعَاءِ

(١) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج٥، ص ٣٥٨.
(٢) الغيبة، للطوسي، ص ٤٦٤.
(٣) الغيبة للنعماني، ص ٢٥٤.
(٤) البرهان في تفسير القرآن، ج٤، ص ١٦٦.
(٥) الغيبة للنعماني، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

إِلَيْهِ يَقُولُ: أَلَا إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ قَدْ ظَهَرَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ فَاتَّبِعُوه»[١].

وذكر السيد الأمين في أعيان الشيعة عنهم عليهم السلام: «ورُوي باسمه واسم أبيه وأمه، بصوت يسمعه من بالمشرق والمغرب، وأهل الأرض كلهم، كل قوم بلسانهم، اسمه اسم نبي، حتى تسمعه العذراء في خدرها، فتحرض أباها وأخاها على الخروج، ولا يبقى راقد إلَّا استيقظ، ولا قائم إلَّا قعد، ولا قاعد إلَّا قام على رجليه فزعًا من ذلك»[٢].

النداء في السماء مرصود في كتب غيرنا:

أورد الحافظ القندوزي الحنفي عن كتاب (الدر المنظّم): «ومن إمارات خروج الإمام المهدي منادٍ ينادي: ألا إنَّ صاحب الزمان قد ظهر، وهو في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان، فلا يبقى راقد إلَّا قام، ولا قائم إلاّ قعد...».

وروى الحافظ الكنجي الشافعي بسنده عن كثير بن مرة، عن عبداللَّه بن عمرو قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: إن هذا المهدي فاتَّبعوه».

ثم قال: «هذا حديث حسن روته الحُفَّاظ والأئمة من أهل الحديث كأبي نعيم والطبراني وغيرهما».

وروى بسنده عن أبي رومان، عن علي عليه السلام قال: «إذا نادى منادٍ من السماء: إن الحق في آل محمّد فعند ذلك يظهر المهدي».

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٣٧٢.
(٢) أعيان الشيعة، ج٢، ٦٤٧.

قال السيوطي: «يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة، فيأتي منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة اللَّه فاتَّبعوه».

قال ابن الخشاب: «... وهو المهدي اسمه محمّد، وكنيته أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان، يقال لأمه: نرجس، وعلى رأسه غمامة تُظلّه عن الشمس، تدور معه حيثما دار، تنادي بصوت فصيح: هذا المهدي فاتّبعوه، سلام اللَّه عليه»[1].

والطريف في الأمر في (عنوان النداء باسم الإمام القائم عجل الله فرجه) أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي يروي رواية النداء بخروج الحجة عجل الله فرجه وينسبها إلى الإمام الباقر عليه السلام، فعن سيف بن عميرة قال: كنت عند أبي جعفر المنصور فقال ابتداءً: يا سيف، لا بد من منادٍ ينادي من السماء باسم رجل من ولد أبي طالب، فإذا كان ذلك فنحن أول من يُجيبه، أما إنه نداء إلى رجل إلى بني عمنا.

فقلت: رجل من ولد فاطمة؟

قال: نعم يا سيف، لولا أني سمعته من أبي جعفر محمد بن علي -ويقصد الإمام الباقر عليه السلام- يُحدّثني به، وحدّثني به أهل الأرض كلهم ما قبلته منهم، ولكنه محمد بن علي.

يقول السيد محمد صادق الصدر: «كثرة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المهدي من أحاديث وشهرتها بين الناس وانتظارهم للمهدي عليه السلام كمصلح للعالم، انعكست على ذوي النفوس المنحرفة على شكل الطمع في أن ينال

(١) قادتنا كيف نعرفهم، ج٤، ص٤٧٦.

هو أو ولده هذا المنصب الإلهي الكبير، وأن ينطبق عليه ثناء رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وبشارته، فمن هنا كَثُرَتْ دعاوى المهدوية في التاريخ الإسلامي، ومن هنا -أيضًا- تصدَّى المنصور إلى تلقيب ولده بالمهدي إيهامًا لذلك، وخاصَّة وهو يحتمل أنه سينال الخلافة في يوم من الأيام»[1].

بين نداء جبريل وصيحة إبليس حدِّد مسارك:

في الروايات أن النداء على شكل صيحتين، في رواية من جبريل، وقد تكون صيحة أخرى من إبليس.

عن هشام بن سالم، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «هما صيحتان: صيحة في أول الليل، وصيحة في آخر الليلة الثانية.

فقلت: كيف ذلك؟

قال: فقال: واحدة من السماء -يعني من جبريل- وواحدة من إبليس.

فقلت: كيف تُعرف هذه من هذه؟

فقال: يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون»[2] (يعني أصحاب الإيمان والتقوى).

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «ينادي منادٍ من السماء: ألا إنّ الحق في آل محمد، وينادي منادٍ من الأرض: ألا أن الحق في آل عيسى، أو قال: العباس».

(١) تاريخ الغيبة الكبرى، ج٢، ص٤٥٤.
(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

يقول الرواي: «أنا أشكّ فيه، وإنّما الصوت الأسفل من الشيطان يُلبس على الناس»[١].

ويرى السيد الأمين في أعيان الشيعة: أن المستفاد من الأخبار أن النداء يكون أربع مرات -يعني نداء جبريل يكون أربع مرات-، المرة الأولى في شهر رجب، والمرة الثانية بعد مبايعة الإمام المهدي عجل الله فرجه بين الركن والمقام، في شهر رمضان الليلة الثالثة والعشرين في ليلة جمعة، والمرة الثالثة النداء باسم القائم: يا فلان بن فلان قُم، رواه النعماني بسنده عن الصادق عليه السلام، والظاهر أنه غير النداءين السابقين، والمرة الرابعة نداء جبرائيل ونداء إبليس، روي أنه ينادي جبرائيل من السماء أول النهار: ألا إن الحق مع علي وشيعته، ثم ينادي إبليس من الأرض في آخر النهار: ألا إن الحق مع فلان (رجل من بني أمية وشيعته، وروي: ألا أن الحق في السفياني وشيعته، عند ذلك يرتاب المبطلون. والروايات تحذر من نداء إبليس، فعن الإمام الباقر عليه السلام: لا بد من هذين الصوتين قبل خروج القائم صوت جبرائيل من السماء وصوت إبليس من الأرض، فاتبعوا الأول، وإياكم والأخير أن تفتنوا به[٢].

الأرض تتأهب للظهور:

في الروايات -أيضًا- أنه يُصيب الأرض قحط شديد وجوع، وينقطع المطر، وقبل أن يخرج الإمام عجل الله فرجه تُمطر السماء مطرًا شديدًا متواصلًا لا ينقطع.

قال الشيخ المفيد -في كتابه (الإرشاد) وهو يتحدَّث عن علامات

(١) التشريف بالمنن في التعريف بالفتن، ابن طاووس، ص ١٣٠.
(٢) انظر: أعيان الشيعة، ج٢، ص٦٤٧، في علامات الظهور.

الظهور يتكلَّم عن آخر علامات الظهور-: «ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل، فتحيا بها الأرض بعد موتها، وتُعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة، فيتوجّهون نحوه لنصرته، كما جاءت بذلك الأخبار»[١].

وفي رواية عن سعيد بن الجبير يقول: «إن السنة التي يقوم فيها المهدي عليه السلام تُمطر الأرض أربعًا وعشرين مطرة، تُرى آثارها وبركاتها»[٢].

وعن الصادق عليه السلام: «إذا آن قيامه مُطِرَ الناسُ في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطرًا لم يَرَ الخلائقُ مثله»[٣].

ولا تخفى الحكمة من هذا المطر، وهو الاستعداد للظهور، بإنعاش الأرض إنعاشًا كافيًا لتوفير الزراعة ذلك التوفير العظيم.... ونزول المطر ليس إعجازيًّا بطبيعة الحال، إلَّا أن توقيته وكمّيته يبدو من سياق الروايات أنها بقصد إعجازيٍّ خاصٍّ من قبل البارئ الحكيم توصُّلًا للنتائج المطلوبة من ورائها[٤].

رايات الضلال تتسابق قُبيل الظهور:

من العلامات التي تسبق الظهور ادِّعاء المهدوية، فهناك قسم من الناس يدَّعون إما أنهم هم المهدي، أو يدَّعون أنهم من أولاد المهدي، أو يدَّعون أنهم أولياء المهدي، أي يدَّعون موقعًا ليس لهم. ونسمع هذه الأيام مثل هذه

(١) الإرشاد في معرفة حجج اللَّه على العباد، ج٢، ص ٣٧٠.
(٢) الإرشاد في معرفة حجج اللَّه على العباد، ج٢، ص ٣٧٣.
(٣) الإرشاد في معرفة حجج اللَّه على العباد، ج٢، ص ٣٨١.
(٤) تاريخ ما بعد الظهور، ج٣، ص١٣٧.

الادِّعاءات، بل هناك من يدَّعي النبوة قبل الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، كما في بعض المرويات، وليس فقط المهدوية.

في حديث عبد اللَّه بن عمر، رواه جماعة من أعلام العامة في كتبهم، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي، ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذَّابا، كلهم يقول: أنا نبي»[١].

وفي تصوُّر تقريبي لتسلسل الأحداث القريبة من الظهور «الذي يُفهم من الروايات الشريفة، أن فترة الستة أشهر، من خروج السفياني والنداء السماوي إلى ظهوره عليه السلام في محرم، تكون حافلة بنشاطه ونشاط أصحابه، وتظهر للناس الكرامات والآيات على أيديهم وأيدي من يتَّصل بهم، وأن ذلك سيكون حدثًا عالميًّا يشغل الناس والدول على السواء.

أما الشعوب الإسلامية فتعمُّها موجة الحديث عن المهدي عليه السلام وكراماته واقتراب ظهوره، ويكون ذلك تمهيدًا مناسبًا لظهوره.

ولكن تلك الفترة تكون أيضًا أرضية خصبة للكذَّابين والمشعوذين لادِّعاء المهدية ومحاولة تضليل الناس! فقد ورد أن اثنتي عشرة راية تدَّعي المهدية تُرفع قبل ظهوره عليه السلام، وأن اثني عشر شخصًا من آل أبي طالب يرفع كل منهم راية ويدعو إلى نفسه، وجميعها رايات ضلال، ومحاولات دنيوية لاستغلال تطلُّع العالم إلى ظهوره عليه السلام»[٢].

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «لا يخرج القائم حتى يخرج قبله اثنا عشر

(١) شرح أحقاق الحق، المرعشي النجفي، ج١٣، ص٢٦٦.
(٢) عصر الظهور، علي الكوراني، ص١٩٦.

من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه»[١].

لماذا من بني هاشم؟ لأن المهدي عجل الله فرجه من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن يدَّعون المهدوية لا يكونون عوامًّا، بل ينتسبون للسادة.

هل ادَّعى الثوار الحسنيون المهدوية؟

وقع كلام حول ثورات الحسنيين في كون منطلق ثورتهم ادِّعاء المهدوية، حيث «كل من ادَّعى المهدية كذابًا لحقته لعنتها! في عمله السياسي فأصيب بالفشل، وفي سلوكه فظهر ظلمه، تكذيبًا لادِّعائه بأنه سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا!

وهذا ما ابتُلي به الحسنيّون لما أرادوا أن يستغلّوا موجة السُّخط على بني أمية والتعاطف مع أهل البيت عليهم السلام، ويرثوا ثورة زيد رحمه الله، فابتكر مهندس حركتهم عبد اللَّه أن يجعل ابنه محمدًا المهديَّ الموعود ويأخذ له البيعة، فأقنع أولاده وبقية العباسيين ودعا إلى مؤتمر الأبواء بعد بضع سنين من شهادة زيد رحمه الله، وأخذ البيعة لابنه على أنه المهدي الموعود، وكَذَّبَه الإمام الصادق عليه السلام وقال له: إن كنت ترى أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تُخرجه غضبًا للَّه وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإنَّا واللَّه لا ندعك»[٢].

ولكن هناك دلائل واضحة أن ثورات الحسنيين قائمة على القيام بدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس على ادِّعاء المهدوية.

---

(١) الإرشاد، المفيد، ج٢، ص٣٧٢.
(٢) جواهر التاريخ، علي الكوراني، ج٥، ص٢٩٩.

«وممَّا يزيدك بيانًا ما رووه أنَّ بني الحسن عليه السلام ما كانوا يعتقدون فيمن خرج منهم أنه المهدي صلوات اللَّه عليه وآله وإن تسمَّوا بذلك؛ أن أولهم خروجًا وأولهم تسمَّيًا بالمهدي محمد بن عبد اللَّه بن الحسن عليه السلام، وقد ذكر يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب الأمالي بإسناده عن طاهر بن عبيد، عن إبراهيم بن عبد اللَّه بن الحسن عليه السلام أنه سُئل عن أخيه محمد: أهو المهدي الذي يُذكر؟ فقال: إن المهدي عِدَّةٌ من اللَّه تعالى لنبيه صلوات اللَّه عليه، وَعَدَهُ أن يجعل من أهله مهديًّا لم يُسَمَّ بعينه ولم يُوَقَّت زمانه، وقد قام أخي للَّه بفريضة عليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أراد اللَّه تعالى أن يجعله المهدي الذي يُذكر فهو فضل اللَّه يَمُنُّ به على من يشاء من عباده، وإلَّا فلم يترك أخي فريضة اللَّه عليه لانتظار ميعاد لم يُؤمر بانتظاره. وهذا آخر لفظه حديثه.

ورُوي في حديث قبله بكراريس من الأمالي عن أبي خالد الواسطي أن محمد بن عبد اللَّه بن الحسن قال: يا أبا خالد، إني خارج وأنا واللَّه مقتول -ثم ذكر عذره في خروجه مع علمه أنه مقتول-. وكل ذلك يكشف عن تمسُّكهم باللَّه والرسول صلى الله عليه وآله»[1].

حتى لا نقع ضحايا لمدَّعي المهدوية:

إن دعوى المهدوية الكاذبة بغرض الزعامة والقيادة، ولكنها لا تصمد أمام الحقائق. وممَّا يُهوِّن خطب هذه الدعاوى أن أمر أهل البيت عليهم السلام لا ينطلي على أحد، ظاهر للعيان وواضح، فالدعوات قد تُؤثِّر على بعض الناس وتأخذ بعض الشباب والأتباع ولكن الأمر لا ينطلي ولا يتم.

(١) إقبال الأعمال، ابن طاووس، ج٣، ص٨٨.

في الحديث: «إن ادَّعى مُدَّعٍ فاسألوه عن تلك العظائم التي يُجيب فيها مثله»[١]، يعني إذا ادَّعى الإمامة أحد فاسألوه عن أشياء من العلوم الدينية والمعارف اليقينية، فإن أجاب فيها مثل صاحب الأمر أو مثل ما علمتم فهو الإمام؛ لأنه لا يُجيب فيها كذلك إلا هو.

وهذا الطريق من طرق معرفته يختصُّ به العلماء والمُتخصِّصون، وليس لكل أحد من عوام الناس وبسطائهم؛ وذلك لدِقَّة وعُمق الإجابات التي تفتقر إلى إحاطة شبه تامة بجميع ما ينبغي أن يُعرف به الإمام.

وأنت خبير بأنَّ الإمام لا يُعرف في عصرنا إلَّا بإجابته عن المسائل العلمية في شتى ميادين المعرفة، وخاصة المسائل العويصة، وليس لدينا سبيل آخر بعد تقادم الزمان على غيبته نستكشف بها صحَّة المُدَّعين إلَّا عبر هذا المسلك.

عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام وعِنْدَه فِي الْبَيْتِ أُنَاسٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّه إِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ غَيْرِي، فَقَالَ: أَمَا واللَّه لَيَغِيبَنَّ عَنْكُمْ صَاحِبُ هَذَا الأَمْرِ، ولَيَخْمُلَنَّ هَذَا حَتَّى يُقَالَ: مَاتَ هَلَكَ، فِي أَيِّ وَادٍ سَلَكَ، ولَتُكْفَأَنَّ كَمَا تُكْفَأُ السَّفِينَةُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، لَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّه مِيثَاقَه، وكَتَبَ الإِيمَانَ فِي قَلْبِه، وأَيَّدَه بِرُوحٍ مِنْه، ولَتُرْفَعَنَّ اثْنَتَا عَشْرَةَ رَايَةً مُشْتَبِهَةً لَا يُدْرَى أَيٌّ مِنْ أَيٍّ، قَالَ: فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّه؟ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، كَيْفَ لَا أَبْكِي وأَنْتَ تَقُولُ: اثْنَتَا عَشْرَةَ رَايَةً مُشْتَبِهَةً لَا يُدْرَى أَيٌّ مِنْ أَيٍّ؟ قَالَ: وفِي مَجْلِسِه كَوَّةٌ تَدْخُلُ فِيهَا الشَّمْسُ، فَقَالَ: أَبَيِّنَةٌ هَذِه؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمْرُنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِه الشَّمْسِ»[٢].

(١) الغيبة للنعماني، ص ١٧٣.
(٢) الكافي، ج١، ص٣٢٩.

«لعلّ المراد باشتباه تلك الرايات ادَّعاء صاحب كلّ واحد أنه حق وغيره باطل، فيقع الاشتباه فيها، ويتحيَّر الخلائق في أمر دينهم ودنياهم، حتى لا يدرى أيّ رجل من أيّ راية؛ لتبدّد النظام فيهم، وانقطاع عنان الاجتماع وسلسلة الانضمام عنهم. ويُحتمل أن يُراد باشتباهها تداخل بعضها على بعض حتى لا يُدرى أيّ راية من أيّ رجل، واللَّه أعلم»[١].

قال الشيخ المجلسي تعليقًا على قوله: «يُجِيبُ فِيهَا مِثْلَه»: «مثل القائم عليه السلام عن مسائل لا يعلمه إلا الإمام كالأخبار بالمغيبات لعامة الخلق، والسؤال عن غوامض المسائل والعلوم المختصَّة بهم عليهم السلام، فإن أجاب بالحق فيها وموافقًا لما وصل إليكم من آبائهم عليهم السلام فاعلموا أنه الإمام، وهذا مختصٌّ بالعلماء»[٢].

وقد ذُكرت عدَّة نقاط تساعد على ردِّ مدعي المهدوية:

«١- أن نسأله ما هو الدليل على ما يدَّعيه من الرؤية؟ أو أنه مبعوث من قبل الإمام عليه السلام أو غير ذلك؟ إذ لكل دعوى لا بد من دليل لتميز الكاذب من الصادق، فمن يضمن لنا صدق هذا المدَّعي وأن ليس له مآرب أخرى، أو أرسل من قبل جهة تحارب شيعة أهل البيت عليهم السلام، مع ملاحظة أن كل من ذكر عنه في الكتب أنه رأى الامام كان من الثقات الأجلاء أو العلماء الأعلام وأنهم صُدّقوا لعلم الناس بوثاقتهم، ثم إن أكثر من نقل عنه الرؤية لم يعلم بالإمام عليه السلام إلَّا بعد ذهابه، وأما من عرفوا أنه الأمام عليه السلام فإن أكثرهم قد أوصاه الإمام عليه السلام بالتكتُّم وعدم إخبار غير الثقات، كما في رسالته عليه السلام

(١) شرح أصول الكافي، ج٦، ص٢٥٢.
(٢) شرح مرآة العقول، ج٤، ص٥٤.

للمفيد رحمه الله، وكذلك في قصة السيد ابن طاووس، والسيد بحر العلوم. بل إن العلماء الذين نقل عنهم الرؤية كانوا يتكتَّمون في ذلك. فهذا المدَّعي إما كاذب أو خالف حكمة غيبة الامام عليه السلام في عدم الإشاعة والإشهار. ثم إنه لو ادَّعى أنه من أوليائه الخاصَّين الذين يلون أمره كما في بعض الروايات، فنقول له: إن هؤلاء -أيضًا- مستورون غير معروفين، لا يدورون بين الناس يعلنون عن أنفسهم. إضافة لسؤاله الدليل والحجة.

٢- ثم نسأله: هل يدَّعي الرؤية لمرَّة واحدة؟ أو يدعي المشاهدة واللقاء المتكرّر؟ فإن قال: لمرة واحدة، نقول له -بعد سؤاله الدليل كما في النقطة الأولى-: إن الرؤية مرة واحدة لا تُثبت ما تدَّعي، فما هو فرقك عن الآخرين الذين رأوا الإمام عليه السلام وقضى لبعضهم حاجاتهم أو شفاهم أو غير ذلك. وإن ادَّعى اللقاء فنقول له: إن هذا تكذيب للإمام عليه السلام نفسه، فقد بيَّن لنا أن كل من يدَّعي المشاهدة واللقاء فهو كاذب، فكيف يُرسلك وهو قد كذَّبك قبل ذلك، بل إنه عليه السلام بيَّن لنا الموقف الشرعي في مثل هذا، وهو تكذيبك والرَّدُّ عليك، فما هو ذنبنا؟!

٣- ثم نسأله: من هو الحجة علينا في هذا الوقت، الذي هو وقت غيبة الإمام عليه السلام، هل هم المراجع أو من يدَّعي اللقاء وأنه نائب الإمام عليه السلام وغير ذلك؟ فإن قال: إن الحجة هم المراجع فقد كذَّب نفسه بنفسه؛ إذ ما حاجتنا إليه بعد ذلك. وإن قال: إن الحجة هو من يدَّعي المشاهدة واللقاء دون المراجع، فنقول له: إن هذا تكذيب للإمام عليه السلام، فقد أخبرنا بعد انتهاء الغيبة الصغرى أنه لا سفراء خاصّين له، وإنما له نُوَّاب عامُّون هم المراجع، وهم الحجَّة على العباد في زمن الغيبة الكبرى، فكيف يعود ويُكذِّب نفسه -أعوذ باللَّه- ويرسل سفيرًا خاصًّا؟! ثم كيف يتوقّع أن نتّبعهم وهو عليه السلام قد

وضَّح لنا الموقف الشرعي اتّجاههم، وأمرنا بتكذيبهم؟ فهل هذا إلَّا التناقض؟! لا يفعله الشخص العادي، فكيف بحجة اللَّه البالغة، وبقية اللَّه في الأرض؟!...[١].

أعلام مُضحِّية وأخرى غادرة:

هناك أعلام بارزة ستكون قبل ظهور الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولها دور ووجود في الواقع الخارجي قبل ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، منها السفياني، واليماني، والنفس الزكية، والخراساني، والحسني عوف السلمي.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لِلْقَائِمِ خَمْسُ عَلَامَاتٍ ظُهُورُ السُّفْيَانِيِّ وَالْيَمَانِيِّ وَالصَّيْحَةُ مِنَ السَّمَاءِ وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ وَالْخَسْفُ بِالْبَيْدَاءِ»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «خَمْسٌ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ: (خُرُوجُ) الْيَمَانِيِّ، وَالسُّفْيَانِيِّ، وَالْمُنَادِي يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ، وَخَسْفٌ بِالْبَيْدَاءِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ»[٣].

السفياني:

عن أبي منصور البجلي قال: «سألت أبا عبداللَّه عليه السلام عن اسم السفياني، فقال: وما تصنع باسمه؟ إذا مَلَك كُوَرَ الشام الخمس؛ دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقِنَّسرين، فتوقَّعوا الفرج. قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يومًا»[٤].

(١) مركز الأبحاث العقائدية.
(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٥٢.
(٣) الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص ١٢٨.
(٤) الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص ١٣٠.

وتشير الروايات أن خروج السفياني يسبق خروج الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بستة شهور، وأشار عليه السلام إلى أن من المحتوم خروج السفياني في رجب، قال: «ومن المحتوم خروج السفياني في رجب»[١].

وفي ينابيع المودة: «ومن أمارات ظهور الإمام المهدي عليه السلام خروج السفياني، هو يرسل ثلاثين ألفًا إلى مكة، وفي البيداء تخسفهم الأرض، فلا ينجو منهم إلَّا رجلان، وتكون مدَّة حكمه ثمانية أشهر، وظهور المهدي في هذه السنة»[٢].

«وتكون نهاية السفياني أن يقبض عليه أحد جنود الإمام المهدي عليه السلام ويُنهون بذلك حياة طاغية استطاع في خمسة عشر شهرًا أن يرتكب من الجرائم ما لا يستطيع أن يرتكبه غيره في سنين طويلة»[٣].

اليماني:

روى النعماني بسنده عن عبيد بن زرارة، قال: « ذُكر عند أبي عبداللَّه عليه السلام السفياني، فقال: أنّى يخرج ذلك ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء»[٤].

وروى الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده عن هشام، عن أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: «لمّا خرج طالب الحقّ قيل لأبي عبد اللَّه عليه السلام: نرجو أن يكون هذا اليماني؟ فقال: لا، اليماني يتوالى عليًّا، وهذا يبرّأ منه»[٥].

---

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٥٢، ص ٢٤٩.
(٢) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج٣، ص٢٢٠.
(٣) عصر الظهور، ص١١١.
(٤) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٥٢، ص ٢٤٥.
(٥) الأمالي، للطوسي، ص ٦٦١.

«ومفاد الرواية هو ما سبق من التزام اليماني ولاية أهل البيت عليهم السلام ومنهاجهم. كما قد يظهر منها أنّ في زمنهم عليهم السلام حصلت حركات قام بها أدعياء بأسماء مسرح الظهور، كتقمّص اسم اليماني، كما حفل التاريخ الإسلامي بالمنتحلين للمهدويّة»[١].

ويعتقد البعض أن «ظاهر دعوة الحسني ليست متمحّضة في الدعوة إلى المهدي عجّل اللّه فرجه، بل شعاره عامّ في رفع الظلم»[٢].

الخراساني:

ويعبَّر عنه في روايات أخرى بالحسني... يتبنّى الإمامة بالتصدّي للإصلاح العلني، بينما يتبنّى اليماني أنّ الإمامة بالنصّ الإلهي على الاثني عشر، آخرهم المهدي عجّل اللّه فرجه[٣].

ذو النفس الزكية:

محمد بن الحسن، وهو شخصية تحدَّثت عنها الروايات، يظهر قُبيل ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بفترة، ثم يُقتل بين الركن والمقام. ويعدُّ قتل النفس الزكية من علامات الظهور.

يقول السيد محمد صادق الصدر: «إننا يمكن أن نستفيد من مجموع هذه الأخبار، ومن كلمات من سمعنا تصريحاتهم، كالروانديّ والصافي وإبراهيم الحريري، الذين اعتبروا الأمر في عداد المسلَّمات؛ فنستفيد وجود

(١) فقه علائم الظهور، محمد السند، ص٣٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) فقه علائم الظهور، ص٢٥.

التسالم أو الشهرة الواسعة على أن مقتل الثائر الحسني الملقَّب بهذا اللقب يكون قبل الظهور بقليل بين الركن والمقام، وأنه غير مقتل الثائر الحسني الملقَّب بهذا اللقب»[١].

عوف السلمي:

روى الطوسي في الغيبة عن حذلم بن بشير، قال: «قلت لعليّ بن الحسين: صف لي خروج المهدي، وعرّفني دلائله وعلاماته؟

فقال: يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له عوف السُّلَمِيُّ بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت، وقتله بمسجد دمشق، ثمّ يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثمّ يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس»[٢].

ويحتمل من الرواية أنّه من غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام، حيث يكون مأواه تكريت وساحة حركته في المدن غير الموالية[٣].

(١) المصدر السابق.
(٢) تاريخ ما بعد الظهور، ج٣، ص١٨٦.
(٣) فقه علائم الظهور، ص٣٦.

رسالة المهدي عجل الله فرجه للشيخ المفيد

قال الإمام المهدي للشيخ المفيد في رسالةٍ أرسلها الإمام إليه:

«لِلْأَخِ السَّدِيدِ وَالْوَلِيِّ الرَّشِيدِ، الشَّيْخِ الْمُفِيدِ أَبِي عَبْدِاللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ، أَدَامَ اللَّهُ إِعْزَازَهُ مِنْ مُسْتَوْدَعِ الْعَهْدِ الْمَأْخُوذِ عَلَى الْعِبَادِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْمُخْلِصُ فِي الدِّينِ، الْمَخْصُوصُ فِينَا بِالْيَقِينِ، فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَنَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَنُعْلِمُكَ -أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ، وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَكَ عَلَى نُطْقِكَ عَنَّا بِالصِّدْقِ- أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَنَا فِي تَشْرِيفِكَ بِالْمُكَاتَبَةِ، وَتَكْلِيفِكَ مَا تُؤَدِّيهِ عَنَّا إِلَى مَوَالِينَا قِبَلَكَ، أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ، وَكَفَاهُمُ الْمُهِمَّ بِرِعَايَتِهِ لَهُمْ وَحِرَاسَتِهِ، فَقِفْ -أَيَّدَكَ اللَّهُ بِعَوْنِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ الْمَارِقِينَ مِنْ دِينِهِ- عَلَى مَا أَذْكُرُهُ، وَاعْمَلْ فِي تَأْدِيَتِهِ إِلَى مَنْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ بِمَا نَرْسِمُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَحْنُ، وَإِنْ كُنَّا نَائِينَ بِمَكَانِنَا النَّائِي عَنْ مَسَاكِنِ الظَّالِمِينَ حَسَبَ الَّذِي أَرَانَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنَ الصَّلَاحِ، وَلِشِيعَتِنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ مَا دَامَتْ دَوْلَةُ الدُّنْيَا لِلْفَاسِقِينَ، فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْمًا بِأَنْبَائِكُمْ، وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، وَمَعْرِفَتُنَا بِالذُّلِّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعًا، وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَرَاءَ

ظُهُورِهِمْ، كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّأْوَاءُ، وَاصْطَلَمَكُمُ الْأَعْدَاءُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ، وَظَاهِرُونَا عَلَى انْتِيَاشِكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَدْ أَنَافَتْ عَلَيْكُمْ، يَهْلِكُ فِيهَا مَن حُمَّ أَجَلُهُ، وَيُحْمَى عَنْهَا مَنْ أَدْرَكَ أَمَلَهُ، وَهِيَ أَمَارَةٌ لِأُزُوفِ حَرَكَتِنَا، وَمُبَاثَّتِكُمْ بِأَمْرِنَا وَنَهْيِنَا، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ... وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

اعْتَصِمُوا بِالتَّقِيَّةِ مِنْ شَبِّ نَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، يُحَشِّشُهَا عَصَبٌ أُمَوِيَّةٌ، يَهُولُ بِهَا فِرْقَةً مَهْدِيَّةً، أَنَا زَعِيمٌ بِنَجَاةِ مَنْ لَمْ يَرُمْ فِيهَا الْمَوَاطِنَ، وَسَلَكَ فِي الطَّعْنِ مِنْهَا السُّبُلَ الْمَرْضِيَّةَ، إِذَا حَلَّ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَتِكُمْ هَذِهِ فَاعْتَبِرُوا بِمَا يَحْدُثُ فِيهِ، وَاسْتَيْقِظُوا مِنْ رَقْدَتِكُمْ لِمَا يَكُونُ فِي الَّذِي يَلِيهِ، سَتَظْهَرُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ جَلِيَّةٌ، وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهَا بِالسَّوِيَّةِ، وَيَحْدُثُ فِي أَرْضِ الْمَشْرِقِ مَا يَحْزُنُ وَيُقْلِقُ، وَيَغْلِبُ مِنْ بَعْدُ عَلَى الْعِرَاقِ طَوَائِفُ عَنِ الْإِسْلَامِ مُرَّاقٌ، تَضِيقُ بِسُوءِ فِعَالِهِمْ عَلَى أَهْلِهِ الْأَرْزَاقُ، ثُمَّ تَنْفَرِجُ الْغُمَّةُ مِنْ بَعْدُ بِبَوَارِ طَاغُوتٍ مِنَ الْأَشْرَارِ، ثُمَّ يستر [يُسَرُّ] بِهَلَاكِهِ الْمُتَّقُونَ الْأَخْيَارُ، وَيَتَّفِقُ لِمُرِيدِي الْحَجِّ مِنَ الْآفَاقِ مَا يُؤَمِّلُونَهُ مِنْهُ، عَلَى تَوْفِيرٍ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَاتِّفَاقٍ، وَلَنَا فِي تَيْسِيرِ حَجِّهِمْ عَلَى الِاخْتِيَارِ مِنْهُمْ وَالْوِفَاقِ، شَأْنٌ يَظْهَرُ عَلَى نِظَامٍ وَاتِّسَاقٍ، فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ مِنْ مَحَبَّتِنَا، وَيَتَجَنَّبُ مَا يُدْنِيهِ مِنْ كَرَاهَتِنَا وَسَخَطِنَا، فَإِنَّ أَمْرَنَا بَغْتَةٌ فُجَاءَةٌ، حِينَ لَا تَنْفَعُهُ تَوْبَةٌ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عِقَابِنَا نَدَمٌ عَلَى حَوْبَةٍ، وَاللَّهُ يُلْهِمُكُمُ الرُّشْدَ، وَيَلْطُفُ لَكُمْ فِي التَّوْفِيقِ بِرَحْمَتِهِ.

نُسْخَةُ التَّوْقِيعِ بِالْيَدِ الْعُلْيَا عَلَى صَاحِبِهَا السَّلَامُ: هَذَا كِتَابُنَا إِلَيْكَ أَيُّهَا الْأَخُ الْوَلِيُّ، وَالْمُخْلِصُ فِي وُدِّنَا الصَّفِيُّ، وَالنَّاصِرُ لَنَا الْوَفِيُّ، حَرَسَكَ اللَّهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ، فَاحْتَفِظْ بِهِ وَلَا تُظْهِرْ عَلَى خَطِّنَا الَّذِي سَطَرْنَاهُ بِمَا لَهُ ضَمَّنَّاهُ أَحَدًا، وَأَدِّ مَا فِيهِ إِلَى مَنْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَأَوْصِ جَمَاعَتَهُمْ بِالْعَمَلِ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ

اللَّهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

وَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ آخَرُ مِنْ قِبَلِهِ عليه السلام يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، نُسْخَتُهُ:

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَابِطِ فِي سَبِيلِهِ، إِلَى مُلْهَمِ الْحَقِّ وَدَلِيلِهِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاصِرُ لِلْحَقِّ، الدَّاعِي إِلَيْهِ بِكَلِمَةِ الصِّدْقِ، فَإِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُنَا وَإِلَهُ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ، وَنَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ. وَبَعْدُ، فَقَدْ كُنَّا نَظَرْنَا مُنَاجَاتَكَ عَصَمَكَ اللَّهُ بِالسَّبَبِ الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ لَكَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَحَرَسَكَ بِهِ مِنْ كَيْدِ أَعْدَائِهِ، وَشَفَّعَنَا ذَلِكَ الْآنَ مِنْ مُسْتَقَرٍّ لَنَا يُنْصَبُ فِي شِمْرَاخٍ مِنْ بَهْمَاءَ صِرْنَا إِلَيْهِ آنِفًا، مِنْ غَمَالِيلَ أَلْجَأَنَا إِلَيْهِ السَّبَارِيتُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ هُبُوطُنَا إِلَى صَحْصَحٍ مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مِنَ الدَّهْرِ، وَلَا تَطَاوُلٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَيَأْتِيكَ نَبَأٌ مِنَّا يَتَجَدَّدُ لَنَا مِنْ حَالٍ، فَتَعْرِفُ بِذَلِكَ مَا نَعْتَمِدُهُ مِنَ الزُّلْفَةِ إِلَيْنَا بِالْأَعْمَالِ، وَاللَّهُ مُوَفِّقُكَ لِذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ، فَلْتَكُنْ -حَرَسَكَ اللَّهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ- أَنْ تُقَابِلَ لِذَلِكَ فِتْنَةً تُبْسَلُ نُفُوسُ قَوْمٍ حَرَثَتْ بَاطِلًا لِاسْتِرْهَابِ الْمُبْطِلِينَ، يَبْتَهِجُ لِدَمَارِهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَيَحْزَنُ لِذَلِكَ الْمُجْرِمُونَ، وَآيَةُ حَرَكَتِنَا مِنْ هَذِهِ اللُّوثَةِ حَادِثَةٌ بِالْحَرَمِ الْمُعَظَّمِ، مِنْ رِجْسٍ مُنَافِقٍ مُذَمَّمٍ مُسْتَحِلٍّ لِلدَّمِ الْمُحَرَّمِ، يَعْمِدُ بِكَيْدِهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَبْلُغُ بِذَلِكَ غَرَضَهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ؛ لِأَنَّنَا مِنْ وَرَاءِ حِفْظِهِمْ بِالدُّعَاءِ الَّذِي لَا يُحْجَبُ عَنْ مَلِكِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَلْتَطْمَئِنَّ بِذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا الْقُلُوبُ، وَلْيَتَّقُوا بِالْكِفَايَةِ مِنْهُ وَإِنْ رَاعَتْهُمْ بِهِمُ الْخُطُوبُ، وَالْعَاقِبَةُ بِجَمِيلِ صُنْعِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَكُونُ حَمِيدَةً لَهُمْ مَا اجْتَنَبُوا الْمَنْهِيَّ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَنَحْنُ نَعْهَدُ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْمُخْلِصُ الْمُجَاهِدُ فِينَا الظَّالِمِينَ، أَيَّدَكَ اللَّهُ بِنَصْرِهِ الَّذِي أَيَّدَ بِهِ السَّلَفَ

مِنْ أَوْلِيَائِنَا الصَّالِحِينَ، أَنَّهُ مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ مِنْ إِخْوَانِكَ فِي الدِّينِ، وَأَخْرَجَ مِمَّا عَلَيْهِ إِلَى مُسْتَحِقِّيهِ كَانَ آمِنًا مِنَ الْفِتْنَةِ الْمُبْطِلَةِ، وَمِحَنِهَا الْمُظْلِمَةِ الْمُضِلَّةِ، وَمَنْ بَخِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَعَارَهُ اللَّهُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ أَمَرَهُ بِصِلَتِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ خَاسِرًا بِذَلِكَ لِأُولَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُمْ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا، وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا، فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا الْبَشِيرِ النَّذِيرِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ

وَكَتَبَ فِي غُرَّةِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ نُسْخَةَ التَّوْقِيعِ بِالْيَدِ الْعُلْيَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى صَاحِبِهَا:

هَذَا كِتَابُنَا إِلَيْكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْمُلْهَمُ لِلْحَقِّ الْعَلِيِّ، بِإِمْلَائِنَا، وَخَطِّ ثِقَتِنَا، فَأَخْفِهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَاطْوِهِ، وَاجْعَلْ لَهُ نُسْخَةً تُطْلِعُ عَلَيْهَا مَنْ تَسْكُنُ إِلَى أَمَانَتِهِ مِنْ أَوْلِيَائِنَا، شَمِلَهُمُ اللَّهُ بِبَرَكَتِنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ»[1].

(١) الاحتجاج، ج٢، ص ٢٧١.

اقرأوعن أمامكم المهدي

من الضروري، بل من الواجب على كل مؤمن موالي أن يطَّلع ويتعرف على شخصية إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف للحديث المتواتر: «من مات وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيْتَةَ جَاهِلِيَّة»، من هذا المبدأالشرعي أنصح إخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات بقراءة الكتب التالية:

أولًا: كتاب الغيبة للشيخ الطوسي.
ثانيًا: كتاب الغيبة للشيخ محمدبن إبراهيم النعماني.
ثالثا: كتاب كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق.
رابعًا: كتاب مكيال المكارم للعلامة ميرزا محمد الأصفهاني.
خامسًا: كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي.

وهناك من الكتب المعاصرة كتب علمية وثقافية وفكرية متنوّعة، أهمها (كتاب موسوعة الإمام المهدي) للشهيد الصدر رضوان اللَّه تعالى عليه، وكذلك كتاب الشهيد السيدحسن الشيرازي (كلمة المهدي).

المحتويات

تقديم ٧

مقدمة المشروع ١١

الإمام الحجة محمد بن الحسن ١٣
الأم المباركة ١٣
ولادة النور المهدوي ١٩
الاختلاف في سنة ولادته عليه السلام ٢٣
مذهب التشكيك في ولادته عليه السلام ٢٤
ولادة آمنة في دائرة الخطر ٢٦

إمامة المهدي المنتظر ٢٩
معنى الإمامة والإمام ٣٠
الفرق بين النّبوة والإمامة والرسالة ٣٣

العقيدة بالثاني عشر ٣٩

المهدي عليه السلام الإمام الثاني عشر ٤٣
مزيد من البيان والتفصيل ٤٦

قلق بني العباس من حديث الاثني عشر ٦١
إقصاء جعفر عن عن الصلاة أطفأ فتنة ٦٣

شهادة الإمام العسكري عليه السلام تربك العباسيين ٦٤
الإيمان بالمهدي إيمان بالغيب ٦٥
لولا المهدي عليه السلام لساخت الأرض ٦٩
لفتة آل طوق ٧٢
الولاية المهدوية..... ٧٣
صفات المهدي ٧٧
وصف من رآه بالمشاهدة..... ٨١
مقدمة في مفهوم الغيبة ومعناها ٨٥
العقل غيب فليؤمن بالغَيبة والمغيبات ٨٦
الغيبة الصغرى والكبرى الأسباب والمنجزات ٩١
الغيبة الكبرى ثم الدولة المهدوية..... ٩٢
الطفولة في الأنبياء والأئمة اكتمال عقول وإكمال أبدان..... ٩٣
الجواد والهادي إمامة في عمر الصِّبا..... ٩٦
شرط العُمر في الإمامة الإلهية ساقط ٩٨
الغيبة الصغرى بدأت بنهاية صلاة الجنازة..... ١٠١
الغيبة الصغرى وكلاء وتوقيعات ١٠٢
الغيبة الصغرى مَدْرجة الاستعداد للغيبة الكبرى ١٠٤
خط التوقيعات وثيقة إثبات للسفراء ١٠٦
نواب الغيبة الصغرى..... ١٠٧
النائب الأول: عثمان بن سعيد العمري..... ١٠٨
عثمان بن سعيد ودعاء «اللهم عرفني نفسك» ١١١
النائب الثاني خمسون عامًا من السفارة ١١٢
أسباب غيبة المهدي عليه السلام ١١٥
معنى الحضور والشهود والظهور..... ١١٥

مقدمات مفيدة ١٢٠

العامل الأمني في غياب المهدي ١٢٩

مهزلة جعفر الكذاب: يدفع المال للخليفة ليصبح إمامًا ١٣٢

ما الفائدة من إمام غائب؟ ١٤٧

فمن يأتيكم بماء معين ١٤٨

الإمام الغائب نعمة باطنة ١٥٠

مسؤوليات الإمام المهدي في عصر الغيبة ١٥١

أولًا: حفظ ورعاية الكيان الإسلامي ١٥١

ثانيًا: تسديده للفقهاء ١٥٢

الحذر قبل إرسال السَّهم ١٥٤

علماء الرعيل الأول بعد الغيبة ١٥٥

ثالثًا: تسديده العمل الاجتهادي ١٥٦

مزيد من الإيضاح ١٥٧

أخلاقياتنا مع نُوَّاب المهدي ١٦٢

الانتظار شرعة وانتصار ١٦٣

معنى الانتظار ١٦٣

الانتظار عقيدة وسلاح ١٦٥

الانتظار الغاية والأهداف ١٦٩

خلاصة البحث ١٧٧

شرائط الانتظار ١٧٩

نصوص في انتظار الفرج ١٨٢

ما العلاقة بين الانتظار والفرج؟ ١٨٤

منزلة المنتظرين وصفاتهم ١٩١

مقدمة ١٩١

مقدمات الالتحاق بقافلة المنتظرين ١٩٣
الشرط الأول: ترسيخ معرفة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ١٩٣
الشرط: الثاني: ترسيخ الإخلاص..... ١٩٤
الشرط الثالث: علينا أن نُربِّي أنفسنا ١٩٥
الشرط الرابع: الجانب الاجتماعي لخروج الحجة ١٩٦
السيد الشيرازي قدس سره: مقصرون في حق إمام الزمان ١٩٧
الانتظار حركة إيجابية ١٩٨
الانتظار المتأهب لظهور فوري مبارك ١٩٩
لا تجعل علامات الظهور تُنسيك الاستعداد الفوري..... ٢٠١
البائسون هم اليائسون من الظهور ٢٠٢
صفات المنتظرين للمهدي ومقاماتهم ٢٠٥
١- أعظم الناس يقينًا..... ٢٠٨
٢- إنهم أعظم الناس صبرًا..... ٢٠٨
٣- أعظم الناس عقلًا وفهمًا ومعرفةً ٢٠٨
٤- إنهم كالمتشحطين بدمائهم في سبيل اللّـه ٢٠٩
٥- بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه ٢٠٩
٧- مضاعف لهم الأجر في العبادات..... ٢١٠
٨- المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول اللّـه يذبُّ عنه ٢١٢
٩- صدقهم في عقيدة التمني..... ٢١٢
١٠- إنهم أفضل من أصحاب القائم المهدي..... ٢١٣
١١- بمنزلة الشهيد ٢١٣
١٢- أولياء اللّـه ٢١٤
الوظيفة الشرعية في زمن الغيبة..... ٢١٥
الامتحان والتمحيص في زمن الانتظار ٢١٧
تداعيات مرحلة الانتظار ٢١٨
توصيات أئمة الهدى في مرحلة ما قبل الظهور..... ٢٢٣

دولة المهدي وعد اللَّه في الزبور والقرآن ٢٢٥

دولة المهدي ٢٣١
الأول: الحكم القسط ٢٣١
الثاني: الحكم بالعدل ٢٣١
دولة للَّـه ودولة لإبليس ٢٣٧
الرؤية الإسلامية لدولة اللَّـه ٢٣٩
موقف دولة إبليس من دولة المهدي ٢٤٠
دولة اللَّـه دولة المهدي ٢٤١
التبشير بدولة المهدي ٢٤١
مواصفات وزراء دولة المهدي ٢٤٣

واقع الأمة الإسلامية بعد غيبة المهدي ٢٤٥
توقعات وتوصيات ما بعد الغيبة ٢٥٠
تيار التشكيك ٢٦١
سبل النجاة من الشك ٢٦٥
ابن أبي غانم يسوق تيار التشكيك ٢٦٧
كذبة واهية بحجج هاوية ٢٦٨
خاتمة البحث ٢٧١
توقيع من الناحية المقدَّسة ٢٧٥

ظلمات الظلم قبل الظهور ٢٧٧
لم يقل: بعد أن تُملأ الأرض كفرًا وضلالًا ٢٧٨
الطعن والطاعون قبل الظهور ٢٧٩
الوازع الديني غائب أم غُيِّب ٢٨٢
ودارت الأيام وقرأنا على الأمة السلام ٢٩١

توقيت الظهور ٢٩٥

كيف نبني الارتباط مع المهدي ٣٠٩

أولًا: القيام عند ذكره عجل الله فرجه ٣١٠
ثانيًا: تقديم العقيقة لسلامة القائد المهدي ٣١٣
إكثار العقائق عن الإمام المهدي عليه السلام ٣١٤
ثالثًا: قراءة دعاء الغريق..... ٣١٥
رابعًا: الحج نيابة عن المهدي ٣١٧
خامسًا: الإعلان عن الحزن والألم ٣١٨
سادسًا: الإحاطة المعرفية بالمهدي..... ٣٢٠
مَنْ يعْرف الإمام الآخر وهو يجهل الأول ٣٢٢
أعمالنا بمحضر الحجة فاحذروا ٣٢٣
اللهم عرفني حجتك..... ٣٢٤
«لم نسمع بالحجة» أمر خطير..... ٣٢٦
قدِّمْ حوائجه على حوائجك..... ٣٢٧
سابعًا: دفع الصدقة نيابة عن المهدي عجل الله فرجه ٣٢٨
ثامنًا: زيارته في كل يوم ٣٣١
النشيد الملائكي «اللهم كن لوليك»..... ٣٣٢
تاسعًا: إحياء أمره وأمر أهل بيته عليهم السلام ٣٣٤

وسائل الارتباط بالمهدي..... **٣٣٧**
الوسيلة الأولى: الأدعية..... ٣٣٩
دعاء الندبة..... ٣٣٩
دعاء زمن الغيبة..... ٣٤٥
دعاء العهد ٣٤٩
الوسيلة الثانية: الزيارة..... ٣٥١
زيارته عجل الله فرجه في السرداب الطاهر..... ٣٥١
الدّعاء عقيب هذا القول ٣٥٣
زيارة أخرى ٣٥٤
الوسيلة الثالثة: الصلوات..... ٣٥٦

١- صلاة الحجة ٣٥٦
٢- صلاة الحجة مع الدعاء ٣٥٨
٣- صلاة الاستغاثة بالحجة ٣٥٩
الوسيلة الرابعة: الرسائل والمخاطبات المكتوبة ٣٦٠

رمزية الجمعة بالمهدي ٣٦٣
تعقيبات الصلاة أم طلب الرزق ٣٦٣
صلاة الحجة على النبي والآل ٣٦٥
دعاء السمات قبل الغروب ٣٦٨
أدعية أهل البيت ثروة روحية ومعرفية ٣٦٩

علامات الظهور ٣٧١
بين علامات الظهور وشرائطه فوارق ٣٧١
هل لمعرفة علامات الظهور جدوى وعائد؟ ٣٧٤
إذا اقترب الظهور كانت الشمس ظل يشرق من المغرب ٣٧٧
نداء من السماء بكل لغات العالم ٣٧٩
النداء في السماء مرصود في كتب غيرنا ٣٨٢
بين نداء جبريل وصيحة إبليس حدِّد مسارك ٣٨٤
الأرض تتأهب للظهور ٣٨٥
رايات الضلال تتسابق قُبيل الظهور ٣٨٦
هل ادَّعى الثوار الحسنيون المهدوية؟ ٣٨٨
حتى لا نقع ضحايا لمدَّعي المهدوية ٣٨٩
أعلام مُضحِّية وأخرى غادرة ٣٩٣
السفياني ٣٩٣
اليماني ٣٩٤
الخراساني ٣٩٥
ذو النفس الزكية ٣٩٥
عوف السلمي ٣٩٦

رسالة المهدي عجل الله فرجه الشريف للشيخ المفيد ٣٩٧
اقرأوعن أمامكم المهدي ٤٠١
المحتويات ٤٠٣

من النماذج المشرقة في مجتمعنا لعالم الدين سماحة الشيخ يوسف بن سلمان المهدي حفظه الله، فمنذ أربعة عقود وهو يعمل في الإرشاد الديني وإصلاح المجتمع.

ويمكن أن نشير إلى أهم نقاط القوة في تجربة الشيخ المهدي الدينية الاجتماعية، اعترافاً بفضله، وتقديراً لدوره الإيجابي في خدمة الدين والمجتمع، وليستفيد المنتمون إلى سلك العمل الديني من تجربته المضيئة.

١) التزام الشيخ المهدي في مسجده بدور الإرشاد الديني.
٢) الحضور الاجتماعي.
٣) اهتمامه ورعايته للفقراء والأيتام ومساعدتهم.
٤) حرصه على إصلاح ذات البين.
٥) الانفتاح مع جميع التوجهات والشرائح الاجتماعية.
٦) دعم المؤسسات الاجتماعية، حيث تحظى جمعية الصفا الخيرية، ونادي الصفا الرياضي في صفوى بدعمه ورعايته.
٧) الورع والاستقامة الأخلاقية، وهذا لايختلف فيه اثنان.